

وزارة الثقافة

المخازن التراث العربي

(٧٣)

مِنْ

تَنْشِئَةِ الدَّيْنِ

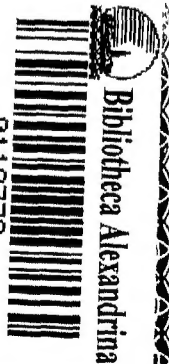
لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ أَحْسَنِ الْإِي

الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٤٢١ هـ

السُّفْرَةِ الثَّالِثَةِ

اخْتِصَارُ النَّصُوصِ وَقَدْ مِ لَهَا وَعَلَى عِلْمِهَا

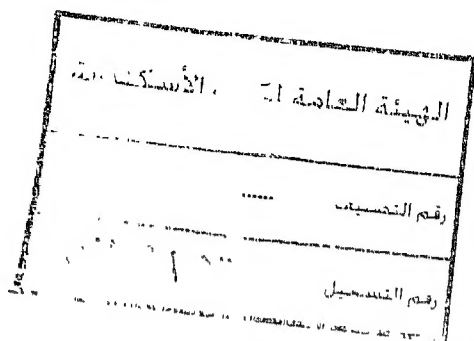
مَنْظَرُ الْحَجِيِّ



0119779

السيد الشريف

من نشر الدر
السفر الثالث



وِزَارَةُ الثَّقَافَةِ
اَلْخِتَارُ مِنَ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

٧٣

مِنْ

تَبَشِيرُ الدُّرَرِ

لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ مُحْسِنِ الْإِبْرَاقِيِّ

المتوفى سنة ٤٩١ هـ

السَّفَرُ الثَّلَاثُ

اختار له قصص وقدم لها وعلق عليها

منظر الرحمة



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٧

من نشر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الأبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق
عليها مظهر الحججي. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧. - ٤ ج؛ ٢٠ سم. -
(المختار من التراث العربي؛ ٧١-٧٤).

١- ٨١٨,٠٢ س ع د م ٢- العنوان ٣- أبو سعد الأبي
٤- الحججي ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

الباب الرابع

(«) من الجزء الرابع من « فتر الدر » وقد تقدمت الأبواب الثلاثة
في السمر الثاني من هذه الاختيارات .

نُكِتٌ من كلام الحكماء

قيل لبعضهم : أخرج هذا الغم من قلبك . فقال :
ليس بإذني دخل

قال رجل لشبيب بن شيبَةَ (١) : أنا والله أحبك
يا أبا معبد . قال : أشهدُ على صدقك . قال : وكيف
ذاك ؟ قال : لأنك لست بجارٍ قريب ، ولا ابن عم
نسب ، ولا مُشاكِل في صناعة .

وقالوا : صاحبُ السوء قطعة من النار . ولذلك
لمَّا قال القائل : ما رأينا في كلِّ خيرٍ وشرٍّ خيراً من
صاحب . قال الآخر : ولا رأينا في كلِّ خيرٍ وشرٍّ شراً
من صاحب .

(١) شبيب بن شيبَةَ الملقب بالبصري ، فصيح بليغ إخباري
توفي سنة ١٦٢ هـ .

قال بعضهم : العالمُ يعرفُ الجاهلَ لأنَّه كانَ جاهلاً ،
والجاهلُ لا يعرفُ العالمَ لأنَّه لم يكنْ عالماً .
سُئِلَ بعضهم عن الغِنَى فقال : شرٌّ مَحْبُوبٌ .
وعن الفقرِ فقال : مُسْلِكٌ ليس فيه مُحَاسِبَةٌ .
الفرصةُ ما إذا حاولتَه فأخطأك نفعُهُ لم يصلْ إليك
ضرُّهُ .

بلوغُ أعلى المنازلِ بغيرِ استحقاقٍ مِنْ أَكْبَرِ أسبابِ
الهَلَكَةِ .

كلُّ نبيٍّ يَعِزُّ إذا قَلَّ ، والعقلُ كَانَمَا كانَ أَكْثَرَ
كانَ أعزَّ وأعلى .

.. قال عامرُ بنُ عبدِ القيسِ (١) : الكلمةُ إذا خَرَجَتْ
من القلبِ وَقَعَتْ في القلبِ ، وإذا خَرَجَتْ من اللِّسانِ لم
تجاوزِ الأذَانَ .

قالوا : مَسْتَسَلُّ الرَّجُلِ بَيْنَ لِيَحْيِيَه .

(١) عامر بن عبد قيس العبدي ، تابعي ، هو الذي علم أهل البصرة
القرآن وتوفي حوالي سنة ٥٥٥ هـ .

التَّشَبُّهُ نَصْفُ الْعَفْوِ .

قال أكرمُ : الكرمُ حُسْنُ الْفِطْنَةِ . واللُّؤْمُ سوءُ
التَّغافلِ .

قيل : أسوأُ الناسِ حالا من اتَّسَعَتْ معرفتُهُ ، وبعُدَتْ
هَمَمَّتُهُ ، وضاقَتْ مَقْدَرَتُهُ .

كان عبدُ الملكِ بنُ الحجاجِ يقول : لأنا للعاقلِ
المُدبِرِ أَرْجَى مِنِّْي لِلْأَحْمَقِ الْمُتَقَبِّلِ .

وقالوا : أمرانِ لا ينفكَّانِ مِنَ الْكُذْبِ : كَثْرَةُ
المواعيدِ وشِدَّةُ الاعتدالِ .

قال خالدُ بنُ صفوانَ (١) : السَّفَرُ ثَلَاثُ عَتَبَاتٍ ؛
فأَوَّلُهَا : الْعِزْمُ ، والثَّانِيَةُ : الْعُدَّةُ ، والثَّالِثَةُ : الرَّحِيلُ ،
وأشدُّ هَنِّ الْعِزْمِ .

قال أكرمُ بنُ صَيْفِيٍّ : العَافِيَةُ الْمَلِكُ الْخَفِيُّ .

وقال الفضلُ بنُ سَهْلٍ : لَيْسَتْ الْفُرْصَةُ إِلَّا مَا إِذَا
أَخْطَأَكَ نَفْعُهُ لَمْ يَنْلِكَ ضَرَرُهُ .

(١) خالد بن صفوان أحد فصحاء العرب ، توفي بعد سنة ١٢٠ هـ .

قالوا : سوءُ حملٍ الغنيُّ يورثُ مَقْتاً ، وسوءُ حملٍ الفاقةِ يَضْعُ شَرَفاً

وقال أكثمُ : مَنْ جَزَعَ على ما خرج من يده فليَجْزَعْ على ما لم يصلُ إليه

قال بعضهم : ظَمَرُ الكَرِيمِ عَفْوٌ ، وعَفْوُ اللَّئِيمِ عَقُوبَةٌ .

كان يقال : لا ينبغي لأحدٍ أن يدعَ الحزمَ لظفرٍ ناله عاجزٌ ، ولا يرغب في التَّضْيِيعِ لِنَكْبَةٍ دَخَلَتْ على حَازِمٍ .
وكان يقال : ليس من حُسْنِ التَّوَكُّلِ أن تُقَالَ عَشْرَةٌ ثُمَّ يَرْكَبُهَا ثَانِيَةٌ .

قيل : لولا الإغضاءُ والنسيانُ ، ما تعاشرَ النَّاسُ الكثرةُ الضَّغْنان .

قالوا : ثلاثٌ يرغبن العلوُّ : كثرةُ العبيدِ ، وأدبُ الولدِ ، ومحبةُ الجيرانِ .

يُقال : سوءُ القالةِ في الإنسانِ إذا كان كاذباً نظيرُ الموتِ ؛ لفسادِ دُفْيَاهِ ، وإذا كان صِدِّيقاً أشدُّ من الموتِ لفسادِ آخرتِهِ .

قالوا : يُرضي الكرامَ الكلامُ ، ويُصادُ اللّثامُ
بالمال ، ويُسبى النّبيْلُ بالإعْظام ، ويُسْتَصاحُ السّفْسةُ
بالمهوان .

قالوا : أمران أنسُ بالنّهار وحشةُ بالليل : المالُ
والبستانُ .

قالوا : لا يزالُ المرءُ مستمراً ما لم يعثر ، فإذا عثرَ
مرّةً في الخَبَر (١) لجّ به العِثار ولو كان في جَدَد (٢) .

قال بعضهم : ما شيبني السّنون ، لكنْ شُكْري مَنْ
أحتاجُ أنْ أشكره .

قالوا : المتواضعُ كالوَهْدَةِ يجتمعُ فيها قَطْرُها
وقَطْرُ غيرها ، والمتكبرُ كالرّبوةِ لا يقرّ عليها قَطْرُها
ولا قطر غيرها .

يُقال : إنّه لا يصبرُ ويصدقُ في اللّقاء إلاّ ثلاثةُ :
مستبصرٌ في دينٍ ، أو غيّرُ أنْ على حرْمَةٍ ، أو مُتَعَصٍّ
من ذُلٍّ .

(١) الخبار : الأرض الناعمة .

(٢) الجدد : الأرضه المستوية .

قال بعضهم : في مجاوزتك مَنْ يَكْفِيكَ فَقْرٌ لَا مُنْتَهَى لَهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ عَنْهُ .

وكان يُقال : العفافُ زينةُ الفقيرِ ، والشُّكْرُ زينةُ الغني .

اعتذارٌ مِنْ مَنْعٍ خَيْرٌ مِنْ وَعْدٍ مِمْلُوكٍ .
خيرُ المزاجِ لَا يُنَالُ ، وشرُّهُ لَا يُقَالُ . وإنما
سُئِلَ مُزَاحِمًا لَاتِهِ أَزِيحَ عَنِ الْحَقِّ .
الْيَأْسُ مِنْ أَعْوَانِ الصَّبْرِ .

قيل لبعضِ الحكماءِ : أَيُّ الْأُمُورِ أَعْجَلُ عُقُوبَةً
وَأَسْرَعُ لَصَادِحِهَا صَرَعَةً ؟ قال : ظَلَمٌ مِنْ لَا نَاصِرَ لَهُ
إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . ومجاوزةُ النِّعَمِ بِالتَّقْصِيرِ واستِطالةُ
الْعَنِيِّ عَلَى الْقَسِيرِ .

يقال : من سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَضَعَ مَعْرُوفَهُ عِنْدَ مَنْ
يَشْكُرُهُ .

قالوا : شَيْئَانِ لَا يُعْرَفُ ظَعْنُهُمَا إِلَّا بَعْدَ فَقْدِ هُمَا :
العافيةُ والشَّيَابُ .

نظر شابٌ إلى شيخٍ يقاربُ خُطاهُ فقال له : مَنْ
قَسِيدُكَ ؟ قال : الذي تركتُه يفتلُ قَسِيدَكَ .

قيل لشيخٍ قد ذهبَ منه المأكُلُ والمشربُ والمنسكاحُ :
هل تشتهي أن تموتَ ؟ قال : لا . قيل : ولِمَ ذاكَ ؟ قال :
أحبُّ أن أعيشَ وأسمعَ الأعاجيبَ .

قيل لبعضهم : ما بالُ الشيخِ أحرصُ على الدُّنيا من
الشَّابِّ ؟ قال : لأنه قد ذاقَ من طعمِ الدُّنيا ما لم يذُقْهُ
الشَّابُّ .

قالوا : الدِّينُ عَقْلُهُ الشَّرِيفُ ، ما استرقَّ الكريمَ
أفظَّ من الدِّينِ .

اختصمَ رجلانِ إلى سعيدِ بنِ المسيَّبِ (١) في
النُّطقِ والصمتِ : أيُّهُما أفضَلُ ؟ فقال : بماذا أُبَيِّنُ
لكما ؟ فقالا : بالكلامِ . فقال : إذاً الفضلُ له .

وقيل لبعضهم : السكوتُ أفضَلُ أمِ النُّطقُ ؟ فقال :
السكوتُ حتَّى يُحْتَاجَ إلى النُّطقِ .

(١) سعيد بن المسيب المخزومي المدني أحد الأعلام العلماء ، وفقهه
المدينة جمع بين الحديث والفقه ، والورع . توفي سنة ١٩٤ .

قيل : العقلُ يأمرُكُ بالآتِ نفعٍ ، والمروءةُ تأمرُكُ
بالآجلِ .

قيل لبعضهم : ما جِماعُ العقلِ ؟ فقال : ما رأيتُه
مجتمعاً في أحدٍ فأصِفْه ، وما لا يوجدُ كاملاً فلا حدَّ له .
قال الزُّهريُّ : لَـ إذا أنكرتَ عقلكَ فاقدحْه بعقلٍ .
وقيل : عظمتِ المؤونة في عاقل متجاهل ، وجاهلٍ
مستعافلٍ .

وقيل : إنك تحفظُ الأحقَّ مِن كُلِّ شيءٍ
إلا مِن نَفْسِهِ .
قيل لبعضهم : العقلُ أفضلُ أمِ الجسدُ ؟ فقال :
العقلُ من الجسدِ .

قال بعضهم : ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيرهِ
وطاعةَ نفسه عليه ممتنعةٌ .

قيل لآخر : أتحبُّ أن تُهدى إليك عيوبُك ؟ فقال :
أما من ناصحٍ فننعمُ ، وأما من شامتٍ فلا .

قيل لآخر : هل شيءٌ أضرُّ من التَّواني ؟ قال :
الاجتهادُ في غير موضعه .

وقيل : العجزُ عجزانِ عجزُ التَّقصيرِ . وقد أمكن الأمرُ ، والجدُّ في طلبه وقد فات .

وقيل لآخر : أسأتَ الظنَّ . فقال : إن الدنيا لمَّا امتلأت مكارهَ وجبَ على العاقلِ أن يملأها حذرًا .

تأمل حكيمٌ شَيْبَةً فقال : مرحباً بزهرةِ الحِنَّكةِ ، ونمرةِ الهدى ، ومقدِّمةِ العفَّةِ ، ولباسِ التَّقوى .

قيل : لا يسود الرجلُ حتى لا يبالى في أيِّ ثوبه ظهرَ .

سمع حكيمٌ رجلاً يدعو لآخرَ ويقول : لا أراك اللهُ مكروها . فقال : دعوتَ له بالموتِ فإنَّ من عاش لا بد له في الدنيا من مكروه .

قالوا : من صفاتِ العاقلِ ألاَّ يتحدثَ بما يُستطاعُ تكذيبه .

قيل لبعضهم : متى يُحسَدُ الكذبُ ؟ فقال : إذا قرَّبَ بين المتقاطعين . قيل : فمتى يُدْمُ الصِّدْقُ ؟ قال : إذا كان غيبة .

صَحِبَ رجلٌ آخرَ سَيِّئِ الخلقِ فلما فارقه قال : قد فارقتَه وخُلِقَهُ لا يُنفارقُهُ .

الْمُزَاحُ فَحَلَّ لَا يُسْتَجِ إِلَّا الشَّرَّ .

المروعةُ التامةُ مُباينةُ العامةِ .

أسوأ ما فيي الكريم أن يمنعك نداءه ، وأحسن ما في اللئيم أن يكفَّ عنك أذاه .

السَّفَلُ إذا تعلَّموا تَكَبَّرُوا ، وإذا تمولوا استطالوا ،
والعِلْيَةُ إذا تعلَّموا تواضعوا ، وإذا افتقرُوا صالوا .

ثلاثٌ لا يُستصالحُ فسادُهُنَّ بشيءٍ من الحَسَنِ :
العداوةُ بين الأقاربِ ، وتحاسُّدُ الأكفَاءِ ، وركاكةُ
الملوكِ (١) .

قيل لحكيم : أي شيءٍ مِن أفعال العبادِ يُشبهه أفعالُ
اللهِ ؟ قال : الإحسانُ إلى الناسِ .

يُقَالُ : السَّخِي شُجَاعُ القلبِ ، والبَخِيلُ شُجَاعُ
الوجهِ .

البَخِيلُ يَعِيشُ عَيْشَ الفقراءِ ، ويحاسبُ مُحَسَّابَةَ
الأغنياءِ .

(١) الركاكة : الضعف .

العزلةُ توفّرُ العرضَ ، وتسترُ الفاقةَ ، وترفعُ
ثِقَلَ المكافأةِ .

ما احتنكَ أحدٌ قطُّ إلا أحبَّ الحلوةَ .

خيرُ الناسِ مَنْ لم تجرِّبه ، كما أنَّ خيرَ الدُّرِّ ما لم
تَشْقُبْهُ .

قيل : أجلُّ ما ينزلُ من السَّماءِ التَّوفيقُ ، وأجلُّ
ما يصعدُ إلى السَّماءِ الإخلاصُ .

قيل : كلُّ مالٍ لا ينتقلُ بانتقالِكَ فهو كَفِيلٌ (١) .

وقيل : ما دارُ مَنْ يشْتَاقُ إلى السَّفرِ بدارٍ سَلَامَةٍ .

قال حكيمٌ : مَنْ الذي بلغَ جَسِيمًا فلم يبطُرْ ،
واتَّبعَ الهوى فلم يعطَبْ ، وجاورَ النِّساءَ فلم يفتِنْ ،
وطلبَ إلى اللِّثامِ فلم يهْنُ ، وواصلَ الأشرارَ فلم
يندَمَ ، وصحبَ السُّلطانَ فدامتْ سلامتُه ؟ .

اثنان يهونُ عليهما كلُّ شيءٍ ؛ العالمُ الَّذي يعرفُ
العواقبَ ، والجاهلُ الَّذي يجهلُ ما هو فيه .

(١) كفيل : ضامن .

وقيل : شرٌّ من الموتِ ما إذا نزلَ تمنّيت لنزوله
الموتَ ، وخيرٌ من الحياةِ ما إذا فقدته أبغضت لفقده
الحياةَ .

لِيَتَكُنْ النَوَائِبُ مِنْكَ بِبَالٍ ؛ فَأَكْثَرُ الْمَكَارِهِ فِيمَا
لَمْ يُحْتَسَبْ .

قال سفيانُ : ما وضعَ أحدٌ يده في قصعةٍ غيرهِ
إلاَّ ذلَّ له .

وقال أبو حمزة السَّكُونِي : قال لي أبو عبيدِ الله :
من أكلَ من ثريدِنا وطشِنَا رقبته .

قال رجلٌ لمعروف (١) : يا أبا محفوظ ، أتحرَّكُ
لطلبِ الرِّزْقِ أم أجلسُ ؟ قال : لا بلُ تحرَّكُ ؛ فإنه
أصلحُ لك . فقال : أمثلُك يقولُ هذا يا أبا محفوظ ؟
فقال : ما أنا قلتهُ ولا أمرتُ به ، ولكنَّ اللهَ تعالى قاله
وأمرَ به حيثُ قال لمريمَ : « وَهَزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ

(٢) معروف الكرخي صاحب الأحوال والكرامات أسلم على يد
علي بن موسى الرضا وتوفي سنة ٥٢٠ هـ .

الذَّخْلَةَ تَسَاقَطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا» (١) ولو شاء
أن يُنْزِلَهُ عَلَيْهَا بَلَا هُزًّا لَفَعَلَ .

قال بعضهم : رأيت عِكْرِمَةَ بِيَابٍ بَلَسَخَ (٢) فقلتُ
له : ما جاء بك إلى ههنا ؟ فقال : بَنَاتِي .

قال وهبٌ : الدراهمُ خواتيمُ ربِّ العالمينَ بمعاشِ
بني آدمَ ؛ لا تُؤْكَلُ ولا تُشْرَبُ ، وأينَ ذهبتَ بخاتمِ
ربك قُضِيتَ حاجتُكَ .

قال لبعضهم : لِمَ تُحِبُّ الدراهمَ وَهِيَ تُدْنِيكَ
من الدنيا ؟ فقال : هي وإنْ أدْنَيْتَنِي مِنَ الدُّنْيَا فَقَدْ صَانَتْني
عنها .

قال لسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ (٣) : ما أَشَدَّ حُبَّكَ
للدِّرْهِمِ ! فقال : ما أَحَبُّ أنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَشَدَّ حُبًّا
لِما يَنْفَعُهُ مِنْنِي .

(١) سورة مريم : ٢٥ .

(٢) من أجمل مدن خراسان ، قيل بناها الاسكندر ، افتتحت في
أيام عثمان .

(٣) سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ الهَلَالِي ، شيخ الحجاز وأحد أعلامه ، عابد
فقيه عالم توفي ١٩٨ هـ .

قيل لبعضهم : أين بلغت في العلوم ؟ قال : إلى
الوقوف على القصور ، عنها .

قال ابنُ السَّماكِ : الكمالُ في خَمْسٍ ؛ ألاَّ
يعيبَ الرَّجلُ أحداً بعيبٍ فيه مثلهُ حتى يُصلَحَ ذلك العيبُ
من نفسه ، فإنَّه لا يفرغُ من إصلاحِ عيبٍ واحدٍ
حتى يهجمَ على آخر فتشغلته عيوبُه عن عيبِ النَّاسِ ،
والثَّانيةُ ألاَّ يُطْلقَ لسانه ويدَه حتى يعلمَ أيُّ طاعةٍ
ذاك أو في معصية ، والثَّالثةُ ألاَّ يلتَمِسَ من النَّاسِ
إلاَّ مثلَ ما يُعْطِيهم من نفسه ، والرَّابعةُ أن يَسَلِّمَ من
النَّاسِ باستِشارِ مُداراتهم ، وتَوْفِيتِهِم حقوقَهُم ،
والخامسةُ أن يُنْفِقَ الفضلَ من ماله ويُمْسِكَ الفضلَ
من قَوْلِه .

قالوا : إذا أقبلتِ الدنيا أقبلتُ على حمارٍ قَطُوفٍ (١)
مَدِينِي ، وإذا أدبرتْ أدبرتْ على البُرَاقِ .

التَّوَدَّةُ حَسَنَةٌ في كُلِّ شَيْءٍ إلا في المعروفِ
فإنَّها تُنْغِصُه .

(١) القطوف : البطيء .

أصاب متأملٌ أو كادَ ، وأخطأ مستعجلٌ أو كادَ .
 قيل لبعضهم : كيف لا يجتمعُ المالُ والحكمةُ ؟
 قال : لعزّة الكمالِ .

كان يقال : لكلِّ جديديٍّ لذّةٌ إلا من الإخوانِ .
 العجزُ عجزانٍ : التقصيرُ في طلبِ الأمرِ وقد أمكنَ ،
 والجحْدُ في طلبه وقد فات .

قال يزيدُ بنُ أسيدٍ : أسرُّ السرورِ قفلةٌ
 على غفلةٍ .

قيل : سِنَّةٌ لا تُخطئهم الكتابةُ : فقيرٌ حديثُ عهدٍ
 بالغي ، ومُكثِرٌ يخافُ على ماله ، وطالِبٌ مرْتَبَةٍ
 فوقَ قُدْرَتِهِ ، والحسودُ والحقودُ وخليطُ أهلِ الأدبِ
 وهو غيرُ أديبٍ .

قال خالِدُ بنُ صفوانَ : مَنْ لم تكنْ له دابةٌ
 كثُرَتْ ألوانُ دوابِّهِ (١) .

قال عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ : لو كنتُ شاعراً
 لبكيتُ على المروعةِ .

(١) لأنه يستدير أو يكتري كل يوم دابة .

وقال بعضهم : طلبتُ الراحةَ انفسِي فلم أجد شيئاً
أروحُ لها من تركِ مالا يعينها . وتَوَحَّشْتُ في البرِّيَّةِ
فلم أَرَّ وَحْشَةً أَشدَّ من قرينِ سوءٍ، وشهدتُ الزحوفَ (١)
ولقيتُ الأقرانَ فلم أَرَّ قِرنًا أَغلبُ للرجلِ من امرأةٍ سوءٍ ،
ونظرتُ إلى كلِّ ما يُذلُّ العزیزَ ويكسرُه فلم أَرَّ شيئاً
أذلُّه ولا أكسرُ من الفاقة .

قالوا : أوَّلُ أمرٍ العاقلِ آخرُ أمرٍ الجاهلِ .
قال رجلٌ لعبد الحميد : أخوك أحبُّ إليك أم
صديقك ؟ قال : إنَّما أحبُّ أخِي إذا كان صديقاً .
قالوا : أسوأ ما في الكريم أن يكفَّ عنك جنوه ،
وأحسن ما في اللئيم أن يكفَّ عنك شره .
كان الكنديُّ يقول : المسترشدُّ مُوتقى والمحتسِرُّ
مُسْتَقْتَى (٢) . وكان يقول : العبدُ بحر ما قنعَ والحرُّ عبْدُ
ما طمع .

(١) الزحوف : الحروب .

(٢) ملقى : ممتحن لا يزال يلقاه مكروه .

قيل لمحمد بن الجهم (١) بعد ما أُخِذَ ماله :
 أما تُفَكِّرُ في ذهاب نعمتك ؟ فقال : لا بدَّ من الزوال ؛
 فلا تَزُولَ نعمتي وأبتى خيرٌ من أن أزولَ عنها وتبقى .
 قال الشافعي : اغتنبوا الفرصةَ فإنها تحلُسُ أو
 عُصَصُ .

أغاظَ سفيهٌ لحليمٍ فقيل له : لِمَ لَمْ تَغْضَبْ ؟ فقال :
 إنَّ كان صادقا فليس ينبغي أن أغضبَ ، وإنَّ كان كاذبا
 فبالحرى ألاَّ أغضبَ .

قال بعضهم : ما أحسن حُسْنُ الظنِّ إلا أنَّ منه
 العجزَ ، وما أقبحَ سوءَ الظنِّ إلا أنَّ فيه الخِزَمَ .

لما قبضَ ابنُ عيينةَ صباةَ الخليفة قال : يا أصحابَ
 الحديثِ ؛ قد وجدتم مقالا فقولوا . متى رأيتُم أبا عيالٍ
 أفاحَ ؟ وقال : كانت لنا هيرةٌ ليس لها جِراءٌ فكانت
 لا تكشفُ القدورَ ، ولا تعيثُ في الدورِ ، فصارَ لها جِراءٌ
 فكشفتُ عن القدورِ ، وأفسدتُ في الدورِ .

(١) محمد بن الجهم البرمكي ولي المهدي بعض الولايات .

قال بعضهم : إذا أنا فعلتُ ما أُمِرْتُ به وكان خطأً لم أَدَمَمْتُ عليه ، وإذا فعلتُ ما لم أُوَمِّرْ به وكان صواباً لم أَحْمَدْ عليه .

قال آخرُ ما استَنْسِيطَ الصَّوَابُ بِمَثَلِ الْمَشُورَةِ ، وَلَا حُصِّنَتِ النَّعْمُ بِمَثَلِ الْمَوَاسَاةِ ، وَلَا اكْتُسِبَتِ الْبَغْضَةُ بِمَثَلِ الْكِبَرِ .

قيل لِرَوْحِ بْنِ زَيْنْبَاعٍ : ما معنى الصَّدِيقِ ؟ قال : هو لفظٌ بلا معنى . يعني لِعَوَازِهِ .

وقال آخر : السَّفَرُ مِيزَانُ الْأَخْلَاقِ .

قال عليُّ بْنُ عُبَيْدَةَ : الْعَقْلُ مَلِكٌ وَالْخِيَصَالُ رَعِيَّتُهُ ، فَإِذَا ضَعُفَ عَنِ الْقِيَامِ عَلَيْهَا وَصَلَ الْخَلَالُ إِلَيْهَا . قال : الْكَلْدَابُ يُخَيِّفُ نَفْسَهُ وَهُوَ آمِنٌ .

قال بعضهم : لو لم أَدْعِ الْكُذْبَ تَأْتِي مَا لَتَرَكْتُهُ تَمَكَّرَ مَا . وقال آخرُ : لو لم أَدْعِ الْكُذْبَ تَعَفَّفْتُ لَتَرَكْتُهُ تَنْظَرْتُ مَا . وقال آخرُ : لو أَدْعِ الْكُذْبَ تَحَوُّباً (١) لَتَرَكْتُهُ تَأْدُباً . وقال آخر : لو لم أَدْعِ الْكُذْبَ تَوَرُّعاً لَتَرَكْتُهُ تَصْنَعُ مَا .

(١) التَّحَوُّبُ : الْبَعْدُ عَنِ الْإِثْمِ .

قال بعضهم : الإفراطُ في الزيارة مملٌ كما أن التفریطَ فيها مُخِلٌّ .

قال العتيبي (١) : إذا تناهى الغمُّ انقطع الدَّمْعُ .

وقال إبراهيمُ بنُ أدهم (٢) : أننا منذُ عشرينَ سنةً في طلب أخٍ إذا غضبَ لم يقلَّ إلاَّ الحقَّ فما أجدُ .

وقال غيره : إذا وليَّ صديقٌ لك ولايةً فأصبته على العُشْرِ من صداقته فليس بأخٍ سوءٍ .

قصده ابنُ السَّماك رجلاً في حاجةٍ لرجل فتعسَّرَ ، فقال له : اعِلم ، أنِّي أَتَيْتُكَ في حاجةٍ ، وإنَّ الطالبَ والمطلوبَ إليه عزِيزان إن قُضِيَتْ ، وذليلان إن لم تقضِ ، فاختسَرْتُ لِنَفْسِكَ عزَّ البَدَلِ على ذُلِّ المنعِ ، واختسَرْتُ لي عزَّ النُّجْحِ على ذُلِّ الرَّدِّ . فقضاها له .

وقصده آخرُ آخرَ مَرَّةٍ في حاجةٍ فتلوَّى ، فكاد ينكلُ عن الكلام ، ثم سبقَ إلى مَعْنَى فخبَّره وقال للمسئول :

(١) محمد بن عبيد الله بن عمرو الأموي ؛ أخباري أديب شاعر توفي سنة ٢٢٩ هـ .

(٢) إبراهيم بن أدهم الزاهد صاحب الكرامات والأحوال توفي سنة ١٦٢ هـ .

أخبرني حين غلبتُ إليك في حاجتي ، أحسنُ بك الظنَّ ،
وأصوغُ فيك الثناء ، وأتخيرُ لك الشكرَ ، وأمشي إليك
بقدمِ الإجلالِ ، وأكلمُّك بلسانِ التواضعِ ، أصبتُ
أم أخطأتُ ؟ قال : فأفحِمَ الرجلُ وقال : بل أصبتَ .
وقضى حاجته وسأله المعاودة .

قال أبو العتاهية : قلتُ لعليّ بن الهيثم (١) : ما يجبُ
للمصديق ؟ قال : ثلاثُ خصالٍ : كتمانُ حديثِ الخلوةِ ،
والمواساةُ عند الشدةِ ، وإقالةُ العشرةِ .

قيل : سوءُ حملِ الغني يورثُ المدحَ ، وسوءُ
حملِ الفاقةِ قد يَضَعُ الشرفَ .
قيل : الهوى شريكُ العَمى .

قيل لصوفي : ما صناعتُك ؟ قال : مُحسِنُ الظنِّ
باللهِ وسوءُ الظنِّ بالناسِ .

ثالثةٌ لم يُؤمنَ بها أحدٌ فسلم : صحبةُ السَّاطانِ ،
وإِفشاءُ السرِّ إلى النساءِ وشُرْبُ السمِّ للتَّجربةِ .

(١) علي بن الهيثم المعروف بجونفا كاتب شاعر ، كان أحد الكتاب
المستخدمين بديوان المأمون .

لكل شيء محل ، ومحل العقل مُجالسةُ الناس .
 أعجبُ الأشياءُ بديهةُ أَمْنٍ وردتُ في مقامِ خوفٍ .
 قال ابنُ المقفَّعِ : الحرصُ مَحْرَمَةٌ ، وأُجلُّهُنَّ
 مَقْتَلَةٌ ، فانظُرْ فيمن رأيتَ أو سمعتَ : من قُتِلَ
 في الحربِ مُقبلاً أَكْثَرُ أم قُتِلَ مُبرأً ، وانظُرْ مَنْ
 يَطْلُبُ بالإجمالِ والتَّكْرُمِ أحقُّ أن تسخوَّ نفساً له أم
 مَنْ يطلبُ بالشرِّ والحرصِ .

قال بكر بنُ المعتزِ (١) : إذا كان العقلُ تسعةَ
 أجزاءٍ احتاجَ إلى جزءٍ من جهلٍ ليُقْلِمَ على الأمور :
 فإنَّ العاقلَ أبداً مُتَوَانٍ متوقِّفٌ مترقِّبٌ متخوِّفٌ .
 قال ابنُ المقفَّعِ : عملُ الرَّجلِ بما يعلمُ أنَّه خطأٌ
 هوَى ، والهُوى آفةُ العفافِ ، وتركُهُ للعَدْلِ بما يعلمُ
 أنَّه صوابٌ تهاونٌ ، والتَّهاونُ آفةُ الدِّينِ . وإقدامه
 على ما لا يدري أصوابٌ هوَ أم خطأٌ لِسَجَاجٍ ، واللَّسَجَاجُ
 آفةُ العقلِ .

سُئِلَ بعضهم : أيُّ الصَّديقِ السَّكوتُ عنه أمثلُ ؟
 قال : تزكيةُ المرءِ نفسه .

(١) بكر بن المعتز كان مقرباً للأمين ، قلده ديوان الخاتم ،
 ولأبي العتاهية شعر في مدحه .

وكان يقال : ثلاثة "يؤثرون المال على أنفسهم :
 تاجر البحر ، والعامل بالأجر ، والمرثي على الحكم .
 قالوا : قبّح الله الدنيا ، فإنّها إذا أقبلت على الإنسان أعطته
 محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .
 أعجز الناس من قصّر في طلب صديقه ، وأعجز
 منه من وجدّه فضيعة .

قال رجل لأبي عبيد الله (١) : لئن أصبحت الدنيا
 بك مشغولة لتمسين منك فارغة . فقال : أنفق ما يكون
 التعب إذا وعد كدّ أب حريصا .

اجتمع علماء العرب والعجم على أنّه لا يدرك
 نعيم إلا ببؤس ، ولا راحة إلا بتعب .

العادات قاهرات ، فمن اعتاد شيئا في سرّه وخلواته
 فضحه في علانيته وعند الملأ .

قيل : المنى تُخلّق العقل ، وتُفسد الدين ،
 وتُزري بالقناعة .

(١) معاوية بن عبيد الله كاتب المهدي ووزيره توفي سنة ١٧٠ هـ .

قال قنينةُ الحُصَيْن : ما السرورُ ؟ قال : عقلٌ يُقِيمُكَ ،
وعلمٌ يُزَيِّنُكَ وولدٌ يَسْرُكَ ، ومالٌ يَسْعُكَ ، وأمنٌ
يريحُكَ ، وعافيةٌ تجمعُ لكِ المسراتِ .

أسرَّ رجلٌ إلى صديقٍ له حديثاً فلما استقصاه قال
له : أفهيمتُ ؟ قال : بل نسيتُ .

وقيل لآخر : كيف كتمانك للسرِّ ؟ فقال : أجنحُ
المخبر وأحلفُ للمستخبر .

والعربُ تقول : من ارتاد لسرهٍ فقد أذاعه .

وقالوا : الأخُّ البارُّ متغيضُ الأسرارِ .

قيل لبعضهم : إن فلاناً لا يكتبُ ، قال : تلكِ
الزَّمانةُ الخَفِيَّةُ (١) .

قال بعضهم : قديمُ الحرمةِ وحديثُ التوبةِ
يَمَحَقَّانِ ما بينهما من الإساءةِ .

قالوا : ركوبُ الخيلِ عزٌّ ، وركوبُ البراذين (٢)
ذِلَّةٌ ، وركوبُ البغلِ مَهْرَمَةٌ ، وركوبُ الحميرِ ذُلٌّ .

(١) الزمانة : مرض يدوم .

(٢) البراذين : جمع برذون وهو الجواد الهجين غير العربي .

قالوا : أربعٌ يسودُّن العبد : الصدقُ والأدبُ
والفقهُ والأمانةُ .

قال الزُّهريُّ : الكريمُ لا تُحكِّمُه التجاربُ .

قالوا : العقلُ يظهرُ بالمعاملة ، وشيِّمُ الرجالِ
تُعرفُ بالولاية .

قال رجلٌ من قریش لشيخٍ : علِّمْنِي الحلم .
فقال : هو الذِّلُّ ، أفْتَصْبِرُ عليه ؟ .

ويقال : ما قُلَّ سُمْهَاءُ قومٍ إِلَّا ذُلُّوا .

وعزَّى رجلٌ الرشيدَ فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
كَانَ لَكَ الْأَجْرُ لَا بَلَكَ وَكَانَ الْعِزَاءُ لَكَ لَا عَنَكَ .

كَانَ يَقَالُ : لَكَ ابْنُكَ رِيحَانُكَ سَبْعًا ، وَخَادِمُكَ
سَبْعًا ، ثُمَّ عَدُوٌّ أَوْ صَدِيقٌ .

قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَا الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَحْسُنُ أَنْ
يُقَالَ وَإِنْ كَانَ حَقًّا ؟ فقال : مَدْحُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ .

جَلَسَ بَعْضُ الزُّهَّادِ إِلَى تَاجِرٍ لِيَشْتَرِيَ مِنْهُ شَيْئًا ،
فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ لِلتَّاجِرِ : هَذَا فُلَانُ الزَّاهِدِ

فأرخص ماتبعه منه . فغضب الزاهد وقام وقال :
إنما جئنا لنشري بدراهمنا لابمذاهبنا .

قيل لبعضهم : ما الشيء الذي لا يستغني عنه في
حال من الأحوال ؟ فقال : التوفيق .

قيل لبعض من يطالب الأعمال : ما تصنع ؟ قال :
أخدم الرجاء ، حتى ينزل القضاء .

قال بعضهم : أوسع ما يكون الكريم مغفرة ،
إذا ضاقت بالذنب الملعنة .

قال آخر : أمتع الجلساء الذي إذا عجبته عجب ،
وإذا فكته طرب ، وإذا أمسكت تحدث ، وإذا فكرت
لم يأسمك .

قيل لبعضهم : متى يُحَمَّدُ الغنى ؟ قال : إذا
اتصل بكرم . قيل : فمتى تدم القطة ؟ قال :
إذا اقترنت بلؤم .

قال مالك بن دينار (١) : من طآب العلم لنفسه
فالقليل يكفي ، ومن طلبه للناس فعوائج الناس كثيرة .

(١) مالك بن دينار البصري الزاهد الراوية . توفي سنة ١٢٧ هـ .

قال رجلٌ لآخر : إني أتيتُك في حاجةٍ فإن شئت
قضيتها وكنتا جميعا كريمين ، وإن شئت منعتهما وكنتا
جميعا لئيمين .

قال بعضُ النُّسَّاكِ : قد أعياني أنْ أنزل على رجلٍ
يعلمُ أني لا آكلُ من رِزْقِهِ شيئا .

قيل : مثْلُ شُرْبِ الدَّواءِ مثْلُ الصَّابونِ
للثَّوبِ يُسْقِيهِ ولكنْ يُخْلِقُهُ .

كان يقال : النظرُ يحتاجُ إلى القَبُولِ ، والحسبُ إلى
الأدبِ ، والسُّرورُ إلى الأمنِ ، والقُرْبى إلى المودة ،
والمعرفةُ إلى التجاربِ ، والشَّرَفُ إلى التواضعِ والنجدةُ
إلى الجِدَّةِ .

قال بعضهم : أعناقُ الأمور تشابه في الغيوبِ ، فربَّ
مَحْبوبٍ في مكروهٍ ومكروهٍ في محبوبٍ . وكم من
مغبوطٍ بنعمةٍ هي دأؤه ، ومرحومٍ من داءٍ فيه شفاؤه .

وقيل : ربَّ خيرٍ في شرٍّ ، ونَفْعٍ في ضَرٍّ .

قال ابنُ المقفَّعِ : الحسدُ خُلِقَ دنيًّا ، ومن دناءته
أنه يُوكَلُّ بالأقربِ فالأقربِ .

قال قتادة^(١) : أو كان أحدٌ مكتفياً من العلم
لاكتفى نبيُّ الله موسى عليه السلامُ إذ قال : « هل
أتبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَنِي رَشِداً » (٢) .
قال دغفَلُ بْنُ حَنْظَلَةَ (٣) : إِنَّ لِلْعِلْمِ أَرْبَعاً :
آفَةٌ وَنَكَدٌ وَإِضَاعَةٌ وَاسْتِجَاعَةٌ فَأَفْتُهُ النَّسِيانُ ، وَنَكَدَهُ
الْكُذْبُ ، وَإِضَاعَتُهُ وَضَعُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَاسْتِجَاعَتُهُ
أَنْتَ لَا تَشْبَعُ مِنْهُ .

قال بعضهم : عيادةُ النوكى الجلوسُ فوق القدر ،
والمجيءُ في غير وقت .

قال أكَثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : « أَحَبُّ أَنْ أَكْفَى كُلَّ
أَمْرِ الدُّنْيَا . قالوا : وَإِنْ أَسَمَنْتَ وَأَنْبَسْتَ ؟ قال :
نعم . أكرهُ عادةَ العجز . »

قال أبو عثمانَ : كتبَ شيخٌ من أهل الرِّيِّ على بابِ
داره : جَزَى اللهُ مَنْ لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ خَيْرًا ، فَأَمَّا

(١) قتادة بن دعامة السدوسي ، حافظ ثقة ، وعالم جليل ، توفي
سنة ١١٧ هـ .

(٢) سورة الكهف : ٦٦ .

(٣) دغفل بن حنظلة الشيباني السدوسي ، نسابه العرب .

أصدقائنا الخاصة فلا جزاهم الله خيراً ، فإننا لم نؤت قط إلا منهم .

قيل لرجلٍ من أهل البصرة : مالك لا يسمي مالك ؟ قال : لأنني اتخذتُ العيال قبل المال ، واتخذ الناسُ المالَ قبل العيال .

كان خالد بن صفوان يكره المزاح ويقول : يصيبُ أحدهم أخاهُ ويضكُّهُ بأشدَّ من الحديد ، وأصلب من الجندل ، ويفرغُ عليه أحرَّ من المِرْجَلِ . ثم يقول إنَّما ما زَحَّضُهُ .

كان يقال : لا ينبغي لعاقِلٍ أن يشاورَ واحداً من خمسة : القطَّانَ والغزَّالَ والمعلِّمَ وراعي الضأنِ ولا الرجلَ الكثيرَ المحادثةِ للنساءِ .

قال رجلٌ لابن عبد الرحمن بن عوف : ما ترك لك أبوك ؟ قال : ترك لي مالاً كثيراً . فقال : لا أعلمك شيئاً هو خيرٌ لك مما ترك أبوك ؟ إنه لا مالَ لعاجز ، ولا ضياعَ على حازم ، والرقِيقُ جَمالٌ وليس بمال ، فعليك من المال بما يعمُّوكُ ولا تعولُه .

وقيل لخريم الناعم (١) : ما النعمة ؟ فقال : الأمن ؛ فإنه ليس لحائف عيش ؛ والغنى ؛ فإنه ليس لفقير عيش . والصحة ، فإنه ليس لسقيم عيش قيل : ثم ماذا ؟ قال : لا مزيد بعدها .

قيل : خير الكلام ما أغنى اختصاره عن إكثاره .

أراد رجل الحج . فأتى شعبة بن الحجاج (٢) فودّعه فقال له شعبة : أما إنك إن لم تمر الحليم ذلاً ، والسفّه أنفقا سليم حجك .

روى عن بعض الأئمة أنه قال : الإنصاف راحة ، والإلحاح قحّة ، والشحّ شناعة ، والتواني إضاعة ، والصحة بضاعة ، والحيانة وضاعة ، والحرص مفقرة ، والدّناءة محقرة ، والبخل غل ، والفقر ذل ، والسخاء قربة ، واللؤم غربة ، والدّلة استيكانة ، والعجز مهانة ، والأدب رياسة ، والحزم كياسة ،

(١) هو خريم بن عامر بن الحارث المري لقب بالناعم .

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد أبو بسطام ، شيخ البصرة ، والمحدث الأشهر موصوف بالعلم والزهد والرحمة والقناعة ، كان رأساً في العربية والشعر بجانب معرفته بالحديث . توفي سنة ١٦٠ هـ .

والعُجْبَ هلاكٌ ، والصبرُ ملاكٌ ، والعجلةُ زللٌ ،
والإبطاءُ مَلَلٌ .

ثلاثةُ أشياء لاثباتُ لها : المالُ في يدٍ من يَبْذُرُ ،
وسحابةُ الصيفِ ، وغضبُ العاشقِ .

قيل للشبلي (١) : ما الفرقُ بينَ رِقِّ العبوديةِ ورقِّ
المحبةِ ؟ فقال : كم بين عبدٍ إذا أعتقَ صارَ حُرّاً ،
وبين عبدٍ كلما أعتقَ ازدادَ رِقّاً ؟ .

قالوا : الزاهدُ في الدينارِ والدرهمِ أعزُّ من الدينارِ
والدرهمِ .

وقيل لمحمد بن واسع : كيف أنت ؟ قال : كيف
أكون ، وأنا إذا كنتُ في الصلاةِ فدخلَ إنسانٌ غنيٌّ
أوسَّعُ له بخلافِ ما أوسَّعُ للفقيرِ .

سئل بعضهم : أيُّما أحمدُ في الصَّبيِّ الحياءُ أم
الخوفُ ؟ فقال : الحياءُ لأنَّ الحياءَ يدلُّ على عقلٍ والخوفُ
يدلُّ على جبنٍ .

(١) الشبلي قيل اسمه دلف بن جحدر وقيل : جعفر بن يونس ،
زاهد متصوف ، له مقامات وأحوال توفي سنة ٣٣٤ .

قالوا : ربَّ حَرْبٍ جُنَيْتَ بلفظةٍ ، وربَّ وُدٍّ غُرْسٍ بلحظةٍ .

شكا رجلٌ إلى بشرِ بنِ الحارثِ (١) كثرةَ العيالِ فقال له : فترَّغك فلم تشكره ، فعاقبك بالشغلِ .

كان يُقال : إذا تزوج الرجلُ فقد ركبَ البحرَ ، فإن وُلِدَ له فقد كُسِرَ به .

قالوا : أصبرُ النَّاسَ التَّذي لا يُفشي سرَّه إلى صديقه مخافةَ أن يقعَ بينهما شيءٌ فيفشيته .

قالوا : ثمانيةٌ إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الآتي طعاماً لم يُدْعَ إليه والمتأمرُ على ربِّ البيتِ في بيته ، وطالبُ المعروفِ من غيرِ أهله ، وراحي الفضلِ من اللثام ، والدّاخِلُ بين اثنين لم يُدْخِلاه ، والمستخفُّ بالسلطانِ ، والجالسُ مجلساً ليسَ له بأهلٍ ، والمقبلُ بحديثه على مَنْ لا يسمعه .

قالوا : ثمرةُ القناعةِ الرَّاحةُ ، وثمرَةُ التَّواضعِ المحبَّةُ ، وثمرَةُ الصبرِ الظَّمَرُ .

(١) بشر بن الحارث المروزي المشهور ببشر الخافي ، زاهد له مناقب ولد سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٢٧ هـ .

قال بعضهم : نحن في دهرٍ الإحسانُ فيه من الإنسانِ
زِلَّةٌ ، والجميلُ غريبٌ ، والخيرُ بدعةٌ ، والشفقةُ
مَلَقٌ . والدعاءُ صِلَةٌ ، والثناءُ خِداعٌ ، والأدبُ
مَسْأَلَةٌ ، والعلمُ شَبَكَةٌ ، والدينُ تَلْبِيسٌ ، والإخلاصُ
رياءٌ ، والحكمةُ سَفَهٌ ، والقولُ هَدَرٌ ، والإطراقُ
ترهيبٌ ، والسكوتُ نفاقٌ ، والبدلُ مكافأةٌ ، والمنعُ حَزَمٌ
والإنفاقُ تبذيرٌ .

جلس رجلٌ إلى سهلِ بنِ هارونَ فجعل يُسمِّعهُ
كلَّما سَخِيفاً من صنوفِ الهزلِ ، فقال له : تنحَّ عني ؛
فإنَّه لا شيءٌ أَمِيلُ إلى ضِدِّه من العقلِ .

قيل لبعضِ العلماءِ : أيُّ عِلَقٍ (١) أَنْفَسُ ؟
فقال : عقلٌ صُرِفَ إليه حظٌ .

قالوا : الاعتبارُ يفيدُكَ الرَّشَادَ ؛ وكَفَاكَ أدباً
لنفسِكَ ما كرهتَ من غيرِكَ . الجَزَعُ من أعوانِ الزَّمانِ .
الجودُ حارسُ الأعراضِ . العفوُ زكاةُ القلبِ . اللطافةُ
في الحاجةِ أجْدَى من الوسيلةِ . مَن أَشْرَفَ أفعالِ الكريمِ
غَفَلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ .

(١) العلق : النفيس من كل شيء .

احتمالُ نخوةِ الشَّرَفِ أَشدُّ من احتمالِ بَطَرِ الغِنَى وذِلَّةُ الفقرِ مانعةٌ من الصَّبْرِ .

قيل لبعضهم : مَنْ أَبْعَدُ النَّاسِ سَفَرًا ؟ قال : من كان في طلبِ صديقٍ يرضاه .

قال يونسُ بنُ عبيد (١) : أعياني شيثان : درهمٌ حلالٌ وأخٌ في الله . .

استشارةُ الأعداءِ من بابِ الخذلانِ .

قالوا : إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ هلاكاً أهلكه برأيه ، وما استغنى أحدٌ عن المشورةِ إلا هلكَ .

قال أكرمُ بنُ صيفي : الحرُّ لا يكونَ صريحَ بطنه ولا فَرْجِه .

قيل : سِتُّ خِيَصَالٍ تُعْرِفُ فِي الْجَاهِلِ : الغَضَبُ من غيرِ شيءٍ ، والكلامُ في غيرِ نفعٍ ، والعَطِيَّةُ في غيرِ موضعٍ ، ولا يعرفُ صديقهُ من عدوه . وإفشاءُ السرِّ ، والثقةُ بكلِّ أحدٍ .

(١) يونس بن عبيد بن دينار حدث عن أنس ، وتوفي سنة ١٣٩ هـ .

قال محمد بن واسع : إني لأغبطُ الرجلَ ليس له شيء
وهو راضٍ عن الله .

قالوا : سوء العادةِ كمينٌ لا يؤمنُ .

التجنيّ وافدُ القطيعةِ .

مِنك مَنْ نَهَاكَ ، وليس منك مَنْ أَغْرَاكَ .

يا عجباً من غفلةِ الحُسَّادِ عن سلامةِ الأجسادِ .

من سعادةِ المرءِ أن يطولَ عمرُهُ ويرى في عدوّه
ما يسره .

تُورثُ الضغائنُ كما تورثُ الأموالُ .

كَم من عزيزٍ أذله خُرْقُهُ ، وعزيزٍ أذله خُلُقُهُ .

لا يَصْلُحُ اللّٰهُمُّ لِأَحَدٍ ولا يَسْتَقِيمُ إِلَّا من فَرَقٍ أو
حاجةٍ ؛ فإذا استغنَى أو ذهبَت الهيئَةُ عادَ إلى جَواهره .

قيل لبعضهم : ما أبقى الأشياءُ في أنفُسِ النَّاسِ ؟

قال : أمّا في أنفُسِ العلماءِ فالنَّدَامَةُ على الذُّنُوبِ ،
وأمّا في أنفُسِ السُّفهاءِ فالْحَقْدُ .

إذا انقضى مُلْكُ القومِ جُبِنُوا في آرائِهِمْ .

الضعيفُ المحترسُ من العدوِّ القويِّ أقربُ إلى السَّلامةِ
من القويِّ المغترِّ بالعدوِّ الضعيفِ .

الحزنُ سوءُ استكانةٍ والغضبُ لؤمُ قدرةٍ .
كلُّ ما يؤكلُ يَنْتُنُ ، وكلُّ ما يُوهَبُ يَآرِجُ (١) .
لا يصعبُ على القويِّ حملُ ، ولا على اللّيبِ عملُ ،
ولا على المتواضعِ أحدُ .

الطرشُ في الكِرامِ ، والهَوَجُ والشجاعةُ في الطوالِ ،
والكَيْسُ في القصارِ والملاحَةُ في الحوَلِ ، والنُسبُ
في الرِّبْعَةِ ، والدِّكَاةُ في الخُرسِ ، والكِبَرُ في العُورِ ،
والبَهْتُ في العميانِ .

بالكُلفةِ يُكْتَسَبُ الأصدقاءُ وبكلِّ شيءٍ يُمكنُ
اكتسابُ الأعداءِ .

أفقرُ النَّاسِ أكثرُهم كسباً من حرامٍ ؛ لأنَّه استدانَ
بالظلمِ مالا بدَّ له من ردِّه ، وأنفدَ في اكتسابه أيَّامَ
عُمُرِه ، ومنعَه في حياته من حقِّه ، وكان خازناً لغيره ،

(١) يَارِجُ : يفوح طيبه .

واحتملَ الدِّينَ على ظهره ، وطُوبَ به في حين
فَقَرِه .

الْأَمُّ النَّاسِ من سعى بإنسانٍ ضعيفٍ إلى سلطانٍ جائِر .
أعسرُ الخيلِ تصويرُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ عند
العاقلِ المُسمِّزِ .

الرَّيْبَةُ ذُلٌّ حَاضِرٌ ، والغَيْبَةُ لَوْمٌ بَاطِنٌ .
القلبُ الفارغُ يبحثُ عن السَّوءِ ، واليدُ الفارغةُ
تنازعُ إلى الإثمِ .
لا يتصرَّفُ القضاءُ إلَّا خالقُ القضاءِ .

لا كثيرُ مع إصرافٍ ، ولا قليلُ مع احترافٍ ،
ولا ذنبٌ مع اعترافٍ .
من كلِّ شيءٍ يقدرُ أن يُحفظَ الجاهلُ إلَّا من
نفسه .

المتعبدُ على غيرِ فقهٍ كحمارِ الرَّحَى يدور ولا يبرحُ .
المحرومُ من طالَ نَصَبُهُ ، وكان لغيره مكسبُهُ .
كيفَ يحبُّ الدنيا من تغرُّه ، وتسوؤه أكثرَ ممَّا تسرُّه .

مع العجلة الحِطَّانُ ، وربَّما خَطِيءُ المخاطرُ
بالقضاء .

شرُّ أخلاقِ الرجالِ البخلُ والجُبْنُ وهما خيرُ
أخلاقِ النساءِ .

إذا جاءَ زمانُ الخلدانِ انعكستِ العقولُ .

سَعَةُ السمحاءِ أحدُ الخِصْبَيْنِ ، وكثرةُ المالِ عند
البخلاءِ أصعبُ الجَدْبَيْنِ .

من سوءِ الأدبِ مؤانسةُ من احتشمك ، وكشفُ
خلعةٍ من سترها عندك ، والنزوعُ إلى مشورةٍ لم
تُدعَ إليها .

قال إبراهيمُ التيميُّ (١) : نِعَمَ القومُ السُّؤالُ ؛
يدقُّون أبوابكم ويقولون : هل تُوجِّهون إلى الآخرة
شيئاً بشيءٍ ؟ .

* * *

(١) إبراهيم بن أبي يزيد التيمي العابد ، فتلّه الحجاج سنة ١٩٢ هـ .

الباب الخامس

جِنْسٌ آخَرُ مِنَ الْأَدَبِ وَالْحِكَمِ .
وهو ما جاء لَمَقْظُهُ عَلَى لَمَقْظِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ

كان يُقال : إذا غضبَ الكريمُ فآلِنُ له الكلامَ ،
وإذا غضبَ اللئيمُ فخذُ له العَصَا .

وقال بعضهم : غَضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ ، وَغَضَبُ
الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ .

قال بعضهم وقد رأى رجلاً يَتَكَلَّمُ فَيُكْثِرُ :
أَنْصِفْ أذْنِيكَ مِنْ فَمِيكَ ؛ فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أُذُنَانِ
وَفَمٌ وَاحِدٌ لِتَسْمَعَ أَكْثَرَ مِمَّا تَقُولُ .

قالوا : دَعِ الْمَعَاذَ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا مَفْاجِيرٌ .

وقال إبراهيمُ النَّخَعِيُّ (١) : دَعِ الْاعْتِدَارَ فَإِنَّهُ
يَخَالِطُهُ الْكَذِبُ .

(١) إبراهيم النخعي : فقيه العراق ، توفي سنة ٨٩٦ عن تسع وأربعين
سنة .

قالوا : مكتوبٌ في الحكمة : أشكرُ لمن أنعمَ عليك ،
وأنعمُ على من شكركَ .

قال إبراهيمُ النخعيُّ : سلْ مسألةَ الحمقى ، واحفظْ
حِفْظَ الأكياسِ . يعني العليم .

قالوا : مُرُوا الأحداثَ بالمِراء ، والكهولَ بالفكرِ ،
والشيوخَ بالصمتِ .

وقال : عودُ نفسك الصبرَ على جليسِ السوءِ ؛
فإنَّه لا يكاد يُخطئك .

قال حاتمٌ لعديِّ ابنِهِ : يا بُنَيَّ إني رأيتُ الشرَّ
يتركُّك إن تركته ، فاتركه .

وكان يقال : لا تطلبوا الحاجةَ إلى ثلاثةٍ : إلى كذوبٍ ،
فإنَّه يقرِّبها وإن كانت بعيدةً ويباعدُها وهي قريبةٌ ،
ولا إلى أحمقٍ ؛ فإنَّه يريدُ أن ينفَعَكَ فيضرَّكَ ؛ ولا إلى
رجلٍ له إلى صاحبِ الحاجةِ حاجةٌ ، فإنَّه يجعلُ حاجتَكَ
وقايةً لحاجته .

وقالوا : لا تصرفْ حاجتَكَ إلى مَنْ معيشتهُ من
رؤوسِ المكائيلِ والسنَّةِ الموازينِ .

وكان يقال : إِيَّاكَ وَصَدَرَ الْمَجْلِسِ وَإِنْ صَدَرَكَ
صَاحِبُهُ ، فَإِنَّهُ مَجْلِسٌ قُلْعَةٌ (١) .

قالوا : احذروا صولةَ الكريمِ لِذَا جَاعَ ، والثلثمِ
إِذَا شَبَعَ .

قال بعضهم : سِرُّكَ دُمُوكَ ؛ فَلَا تُجْرِيَنَّهُ فِي غَيْرِ
أَوْدَاجِكَ .

كان يقال ، إِيَّاكَ وَعِزَّةُ الْغَضَبِ ؛ فَإِنَّهَا تُصَيِّرُكَ
إِلَى ذَلَّةٍ الْاِعْتِدَارِ .

قال بعضهم : إِذَا أُرْسِلْتَ لِتَأْتِيَ بِبَعْرِ فَلَا تَأْتِ بِتَمَرٍ ،
فِيؤْكَلُ تَمْرُكَ ، وَتَعْنَقَ عَلَى خِلَافِكَ .

قالو : إِذَا وَقَعَ فِي يَدِكَ يَوْمُ السَّرُورِ فَلَا تُخْلِيهِ
فِي يَدِكَ إِذَا وَقَعَتْ فِي يَدِ يَوْمِ الْغَمِّ لَمْ يُخْلِكَ .

قالوا : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُؤَاخِيَ رَجُلًا فَانْظُرْ مَنْ
عَلَوُهُ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعَادِيَ رَجُلًا فَانْظُرْ مَنْ وَلِيُّهُ .

قيل : إِذَا قَلَدْتَ أَحَدًا مَهْمًا فَعَجِّلْ لَهُ مَنَفْعَةً ،
وَأَجْمَلْ لَهُ فِي الْعِدَّةِ ، وَابْسُطْ لَهُ فِي الْمُنِيَّةِ .

(١) فُلَّة : يتحول عنه .

قال بعضهم : الانقباضُ من الناسِ مكسبةٌ للعداوة ،
والانبساطُ مجلبةٌ لقرينِ السَّوءِ ، فكنْ بينَ المنقبضِ
والمسترسلِ ؛ فإن خيراً الأُمورِ أوساطُها .

كان يقال : اجعلْ عمرَكَ كَنَفَقَةٍ دُفِعَتْ إِلَيْكَ .
فأنتَ لا تحبُّ أن يَكْهَبَ ما تُنْفِقُ ضياعاً ، فلا تُدْهَبْ
عمرَكَ ضياعاً .

قيل : مَنْ أَظْهَرَ شُكْرَكَ فِيمَا لَمْ تَأْتِ إِلَيْهِ فاحذرْ
أنْ يَكْفُرَكَ فِيمَا أُسْدَيْتَ إِلَيْهِ .

لا تستعنْ في حاجتكِ بمن هو للمطلوبِ أنصحُ منه لك .

لا يُؤْمِنُكَ من شَرِّ جاهِلٍ قرابةٌ ولا إلفٌ ، فإن
أخوفَ ما تكونُ لحريقِ النارِ أقربُ ما تكونُ منها .

لا ترفعْ نفسَكَ عن شيءٍ قَرَبَكَ إلى رئيسِكَ .

كنْ في الحرصِ على نَفَقَتِكَ عَيْبَكَ كَعَدْلِكَ .

عليكَ بسوءِ الظَّنِّ فإنْ أَصَابَ فَالْحَزْمُ ، وإنْ
أَخْطَأَ فَالسَّلَامَةُ .

رضا الناسِ غايةٌ لا تُدْرِكُ ، فتمحَّرْ الخَيْرَ بِجَهْدِكَ ،
ولا تَكْثِرْهُ سَخَطَ مَنْ يَرْضِيهِ الْبَاطِلُ .

إذا رأيتَ الرجلَ على باب القاضي من غير حاجةٍ
فاتَّهِمهُ .

رأى رجلٌ ابنه يماكسُ في ابتِباعِ لحمٍ ، فقال :
يا بني ، سَاهِلٌ فما تُضَيِّعُهُ من عِرْضِكَ أَكْثَرُ ممَّا
تَنَالُهُ من غَرَضِكَ .

وقال بعضهم : الدِّينُ رِقٌّ ، فلا تَبْدُلْ رِقَّكَ
لمن لا يَعْرِفُ حَقَّكَ .

وقال بعضهم : احذَرُ كُلَّ الحَذَرِ أَنْ يَخْدَعَكَ
الشَّيْطَانُ فَيَسْتَلَّ لَكَ التَّوَانِي فِي صُورَةِ التَّوَكُّلِ ،
ويورثُكَ الهُؤَيْنَا بِالْإِحَالَةِ عَلَى الْقَدَرِ ، فإنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا
بِالتَّوَكُّلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْحَيْلِ ، وَبِالتَّسْلِيمِ لِلْقَضَاءِ بَعْدَ
الِإِعْدَارِ فَقَالَ : (خُذُوا حِذْرَكُمْ) (١) (وَلَا
تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (٢) .

وقال النبي عليه السلام : « اِعْقِلْ وَتَوَكَّلْ » .

(١) سورة النساء : ٧١ .

(٢) سورة البقرة : ١٩٥ .

قالوا : لتكن عنايةُك بحفظ ما اكتسبته كعنايتك باكتسابه ، ولا تصحب غنياً ؛ فإنَّك إن ساويته في الإنفاق أضربك ، وإن تفضل عليك استدلك .

إذا سألت كريماً حاجةً فدعه يتفكر ؛ فإنه لا يتفكر إلا في خير . وإذا سألت لثيماً حاجةً فخافصه (١) ولا تدعه يتفكر فيتغير . وفي ضد ذلك : إذا سألت لثيماً حاجةً فأجله حتى يروض نفسه .

العدو عدوان : عدو ظلمته ، وعدو ظلمتك .
فإن اضطرك الدهر إلى أحدهما فاستعن بالذي ظلمك ؛
فإن الآخر مَوْنورٌ .

لا تستصغرن أمرَ عدوك إذا حاربته ، لأنك إن ظفرت به لم تحمده ، وإن ظفر بك لم يعنرك ، والضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي المغتر بالضعيف .

لا تصحب من تحتاج أن تكتمه ما يعرفه الله منك .
صن الاسترسال منك محتسب تجد له مستحقاً ،
واجعل أنسك آخر ما تبدله من ودك .

(١) غامض : أخذ على غرة .

قال آخرُ : لا تجاهدِ الطَّالِبَ جهادَ المغالِبِ ، ولا
تتكلَّ اكْتالَ المستسلمِ ؛ فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ من السنَّةِ ،
والإجمالَ في الطَّالِبِ من العِفَّةِ . وليستِ العِفَّةُ بدافعةٍ
رزقا ، ولا الحرصُ بجالبِ فضلا .

سمعَ بعضهم إنساناً يتكلمُ بما لا يعنيه فقال له : يا هله
إنما تُسملي على حافِظِيكَ ، وتكتبُ إلى ربِّكَ ؛ فانظري
على مَنْ تُسملي ، وإلى مَنْ تكتبُ .

قال بعضهم : أقيمِ الرغبةَ إليكَ مقامَ الحرمةِ بكَ ،
وعظمِ نفسَكَ عن التعظمِ ، وتطوِّلْ ولا تتسَّطوِّلْ (١) .

قال آخرُ : عامِلُوا الأحرارَ بالكرامةِ المحضَةِ ،
والأوساطَ بالرغبةِ والرَّهبةِ والسَّفْلِ بالهوانِ .

كُنْ للعدوِّ المكاتِمِ أشدَّ حذراً منك للعدوِّ المبارزِ .

قال ساسمُ بنُ قُتَيْبَةَ (٢) : لأهل بيتِه : لا تَمَازِحُوا

(١) التطوِّلُ : التفضلُ ، والتطاولُ : الترفعُ على الناسِ ، والتطوِّلُ
مدوحٌ ، والتطاولُ مذمومٌ .

(٢) سلم بن فتيبة الباهلي : قائد ولي خراسان أيام هشام وولاه
المنصور البصرة مات سنة ١٥٩ .

فبستخفَّ بكم السُّوقَةُ ، ولا تدخلوا الأسواقَ فتدقَّ
أخلاقكم ولا تترجَّلُوا فيزُدَ ريتكم أكفأؤكم .

قال آخرُ : احفظْ شَيْئَكَ مَنْ تستحيي أن تسأله عن
شيءٍ لِنُ ضاعَ لك .

إذا كنتَ في مجلسٍ فلم تكنِ المحدثَ ولا المحدثُ
فقسُّم .

قالوا : لا تُدْخِلْ في مشورتك بخيلاً فيقصرُ
بعقلك ، ولا جبائاً فيُخَوِّفَكَ مالا يُخافُ .

قال ابنُ المُقَفَّعِ : الختمُ حتمٌ ، فإذا أردتَ أن
تختتمَ على كتابٍ فأعدِ النظرَ فيه فإنما تختتمُ على عقلك .

كان يقالُ : إذا قال أحدكم : واللهِ . فليُنظَرُ
ما يضيفُ إليها .

دخلَ عبدُ العزيزُ بنُ زُرارةَ الكِلَابِيُّ على معاويةَ
فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جالِسِ الألباءَ ، أعداءُ كانوا
أو أصدقاء ، فإنَّ العقلَ يقعُ على العقلِ .

كان بعضهم يقولُ : أحيوا الحياةَ بمُجالسةِ مَنْ
يُسْتَحْيَا منه .

كان يقال : إذا وجدت الشيء في السوق فلا تطلبه
من صديق .

قال العباسُ بنُ الحسنِ العلوي (١) : اعلمُ أنَّ
رأيك لا يتسعُ لكل شيءٍ ، ففرغه للمهمِّ من أموركَ ،
وأنَّ مالكَ لا يغني النَّاسَ كائهم ، فاخصمُ به أهلَ
الحقِّ ، وأنَّ كرامتك لا تطبقُ العامةَ ، فتوخَّ بها أهلَ
الفضلِ ، وأنَّ ليلك ونهارك لا يستوعبانِ حوائجك
فأحسنُ قِسْمَتِكَ بين عملك ودَعَتِكَ .
وكان يقال : أحيوا المعروفَ بِلَمَّاتِهِ .

وقال قيسُ بنُ عاصمٍ (٢) : يا بنيَّ اصحبُّوا مَنْ
يذكركم لإحسانكم إليه وينسى أيايهِ لديكم .
وكان مالكُ بنُ دينارٍ يقول : جاهدوا أهواءكم كما
تهاهدون أعداءكم .

إذا رغبت في المكارمِ فاجتنبِ المحارمَ .

* * *

(١) العباس بن الحسن العلوي شاعر بي هاشم وأديبهم . عاش في
عصر الرشيد .

(٢) قيس بن عاصم المنقري أسلم سنة ٥٩ هـ ، وكان مشهوراً بالحلم ،
وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر في الجاهلية .

أراد رجلٌ سفراً فقال له بعضهم : إنَّ لكلَّ رفقةٍ
كلباً يَشْرُكُهُمْ في فضلةِ الزَّادِ ، وَيَهْرُ دُونَهُمْ ، فإنَّ
قدرتَ ألا تكونَ كلبَ رفقتِكَ فافعلْ ، وإيَّاكَ وتأخيرَ
الصَّلاةِ عن وقتِها فإنَّك مُصَلِّيها لامحالةٍ ، فصَلِّها وهي
تُقْبَلُ منك .

قال ابنُ السماكِ : إنَّ مِنَ النَّاسِ ناساً غَرَّهم
السُّرُ ، وَفَتَنَهُمُ الثَّنَاءُ . فلا يَغْلِبَنَّ عَلَيْكَ جَهْلُ
غيرِكَ بكَ عِلْمِكَ بِنَفْسِكَ .

قيل : لا تَتَّقَنَّ كُلَّ الثَّقَةِ بِأَخِيكَ ، فإنَّ صرعةَ
الاسترسالِ لا تُسْتَقَالُ .

من أمثال التُّرْكِ : اسكُتْ تَرْبِحْ مَاعِنْدَكَ ، وشاورْ
تَرْبِحْ مَاعِنْدَ غَيْرِكَ .

قيل : لا تَكُنْ مِثْلَ مَنْ تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ
ولا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ أَنْتَقِمَ مِنَ الْحَرَصِ بِالْقَنَاعَةِ كَمَا
يُسْتَصَوُّ مِنَ الْعَدُوِّ بِالْقَصَاصِ .

أوصى أَبُو الْهُدَيْلِ (١) أَصْحَابَهُ فَقَالَ : لَا تَدْخُلُوا

(١) أَبُو الْهُدَيْلِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْهُدَيْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، مشهور بكُنْيَتِهِ وَهُوَ
شيخُ المِثْرَةِ تَوَفَّى سَنَةَ ٢٣٥ هـ .

في الشهادة فتصيروا أسرَاءَ الْحُكَّامِ . ولا في القضاء ،
 فإنَّ فرحةَ الولاية لا تنفي بترحة العزل ، ولا في رواية
 الحديث فيكذبكم الجهالُ والصبيانُ ، ولا في وصية
 فيطعنَ عليكم بالخيانة ، ولا في إمامة الصلاة فمن
 شاء صامى وراءكم ومن شاء لم يصل . وقال : لا تسجالسوا
 من لا يوثقُ بدينه وأمانته ، ولا تبدأوا المخالفين بالسلام
 فإنهم إن لم يجيبوا تقاصرت إليكم نفوسكم ولحقكم
 خجلة .

عوذُ نفسك السَّماحَ ، وتخيرُ لها من كلِّ خلقٍ
 أحسنه ، فإنَّ الخيرَ عادةٌ ، والشرَّ لاجأةٌ ، والصدودُ
 آيةُ المقتِ ، والعِلَالُ آيةُ البخلِ .

كنُ سَمَحاً ولا تكنُ مُبَدِّراً ، وكنُ مُقَدِّراً
 ولا تكنُ مُقَتِّراً .

إياك والمرئى السَّهلَ إذا كان المُنْحَدِرُ وعراً .

احترسْ من ذِكْرِ الْعِائِمِ عند مَنْ لا يريدُه ،
 ومن ذِكْرِ الْقَدِيمِ عند مَنْ لا قديمَ له ، فإنَّ ذلك يُحْدِثُ
 التَّعْيِيرَ ، وبالعَرَى أن تتخذَه سائِماً إلى الضَّغْنِ عليك .

إذا زللتَ فارجميعٌ ، وإذا نلستَ فأقلعٌ ، وإذا
أسأتَ فاندَمْ . وإذا مننتَ فاكتُثمْ ، وإذا منعتَ
فأجملْ . ومن يسلفِ المعروفَ يكنُ ربحه الحمداً .

اطلبِ الرحمةَ بالرحمةِ .

اتقِ العِشَارَ بحسنِ الاعتبارِ .

لا تستأنسْ بمن لم تهبلْ بخلائقه .

لا تأمنِ العدوَّ على حالِ .

لا تفرحْ بالرجاءِ فإنه غرورٌ ، ولا تتعجلِ الغمَّ بالخوفِ
فإنه شكٌ .

حاسبِ نفسك تسليماً وتسعداً .

إن يخلو أحدٌ من ذمٍّ ، فاجهدْ أن يخلو من ذمٍّ
الأخيارِ .

حاربْ عدوكَ ما حاربَكَ بشخصه ، فإذا أنفضى
شخصه فاحرّسْ نفسك منه ، لأنَّ مَنْ يعلمُ أنه
لا ينجيه منك إلا الموتُ لا ينجيك منه إلا مثلُ ذلك ،
والمستسلمُ للموتِ لا يبالي على ما أقدم .

احذرْ فلتاتِ المِزاحِ وصِرعَاتِ البَغْيِ .

لأنْجَاهِدِ الطَّلَبَ جِهَادَ الْمُغَالِبِ ، ولاتَتَكَلَّ عَلَى
الْقَدَرِ اتِّكَالَ الْمُسْتَسْلِمِ . فَإِنَّ ابْتِغَاءَ الْفَضْلِ سُنَّةٌ ،
وَلِجَمَالِ الطَّلَبِ عِفَّةٌ ، وَلَيْسَتْ الْعِفَّةُ بِدَافِعَةٍ رِزْقًا ،
وَلَا الْحِرْصُ بِجَالِبٍ فَضْلًا ، وَالرِّزْقُ مُقْدُورٌ وَالْأَجَلُ
مَوْقُوفٌ ، وَفِي اسْتِعْجَالِ الْحَرِيصِ اكْتِسَابُ الْمَآثِمِ .
لَا تُشَبِّهَنَّ رِضَاكَ بِغَضَبِكَ ، فَتَكُونَ مَسْنَنًا لَا يَضُرُّ
غَضَبُهُ وَلَا يَنْفَعُ رِضَاهُ .

اغْنَمِ الْعَمَلَ مَا دَامَتْ نَفْسُكَ سَلِيمَةً ، وَاجْعَلْ كُلَّ
سَاعَةٍ بِشْغَلِهَا لِآخِرَتِكَ غَنِيمَةً .

لَا تَكُونَنَّ لغيرِ اللَّهِ عَبْدًا مَا وَجَدْتَ مِنَ الْعِبَادِيَّةِ بُدًّا .
أَحْمِ نَفْسَكَ الْقَنُوطَ ، وَاتَّهِمِ الرَّجَاءَ .
لَا تُعَيِّرْ أَخَاكَ وَأَحْمِدِ الَّذِي عَافَاكَ .

انْظُرْ مَا عِنْدَكَ فَلَا تَضَعْهُ إِلَّا فِي حَقِّهِ ، وَمَا لَيْسَ عِنْدَكَ
فَلَا تَأْخُذْهُ إِلَّا بِحَقِّهِ .

احْتَمِلْ مِمَّنْ أَدَلَ عَلَيْكَ ، وَاقْبَلْ مِمَّنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ .

لِيَكُنْ عَمَلُكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَعْدَاكَ الْعَدْلَ ،
 وَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَصْدِقَائِكَ الرِّضَا ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ خَصَمٌ
 تَصْرِفُهُ بِالْحِجَّةِ ، وَتَغْلِبُهُ بِالْحُكْمِ . وَالصَّدِيقُ لَيْسَ بَيْنَكَ
 وَبَيْنَهُ قَاضٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ رِضَاةٌ وَحُكْمُهُ .

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْدَعَ النَّاسَ فَتَغَابَ عَلَيْهِمْ .
 إِذَا صَافَاكَ عَدُوُّكَ رِيَاءً مِنْهُ فَتَلَقَّ مِصَافَاتِهِ إِسَّاكَ
 بِأَوْكَدِ مَوْدَّةٍ ، فَإِنَّهُ إِذَا أَلْفَ ذَلِكَ وَاعْتَادَهُ خَلِصَتْ
 لَكَ مَوْدَتُهُ .

فَكَثُرَ قَبْلَ أَنْ تَعْزِمَ ، وَأَعْرِضْ قَبْلَ أَنْ تَصْرِمَ ،
 وَتَدَبَّرْ قَبْلَ أَنْ تَهْجُمَ ، وَشَاوِرْ قَبْلَ أَنْ تُتَّكِمَ .

* * *

الباب السادس

جِنْسٌ آخَرُ مِّنَ الْحَيِّكَمِ وَالْأَمْثَالِ وَالْآدَابِ وَهُوَ
مَا كَانَ فِي أَوَّلِهِ « مَن »

مَن كَثُرَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ كَثُرَ عَدُوُّهُ .

مَن يَصْحَبِ الزَّمَانَ يَرِ الْهَوَانَ .

مَن لَمْ يَمُتْ لَمْ يَفُتْ .

مَن صَدَقَ النَّاسَ كَرِهَهُ .

مَن يَطْلُ ذَيْلُهُ يَنْتَطِقُ بِهِ .

مَن فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَن غَضَّ بِالْمَاءِ ، فَإِنَّهُ نَو

غَضَّ بغيره أَجَازَ بِهِ غُصَّتَهُ .

مَن أَكْثَرَ أَسْقَطَ .

مَن اتَّبَعَ غِيَّ النَّاسِ كَانَ اغْوَى .

مَن لَقِيَ النَّاسَ بِمَا يَكْرَهُونَ ، قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ .

مَن أَحَبَّ الذِّكْرَ فَلَيْسَتْ عَمَلِ الصَّبْرِ .

وَمَنْ شَحَّ عَلَى دِينِهِ فَلَيْسَتْ عَمَلُ الْخُوفِ ، وَمَنْ ضَنَّ
بِعِرْضِهِ فَلَيْسَ سَكُّ عَنْ الْمِرَاءِ .
مَنْ صَفَا قَلْبُهُ صَفَا لِسَانُهُ .
مَنْ خَلَطَ خُلُطًا لَهُ .
مَنْ لَمْ يَضِنَّ بِالْحَقِّ عَنْ أَهْلِهِ فَهُوَ عَيْنُ الْجَوَادِ .
وَقَالَ الصَّادِقُ (١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَيْقَظَ .
فِتْنَةً فَهُوَ أَكْثُلُهَا .

وَمِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ
اشْتَقَّ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنْ الشَّهَوَاتِ ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ
النَّارِ كَفَّ عَنْ الْمَحَارِمِ ، وَمَنْ زَهَّدَ فِي الدُّنْيَا تَهَاوَنَ
بِالْمَصَائِبِ ، وَمَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرِ .
وَقَالُوا : مَنْ اسْتَغْنَى كَرُمَ عَنْ أَهْلِهِ .

مَنْ قَرَّبَ السَّفِيلَةَ وَاطَّرَحَ ذَوِي الْأَحْسَابِ وَالْمُرُوءَاتِ
اسْتَحَقَّ الْخَيْدَ لِأَنَّهُ .

(١) جعفر الصادق بن محمد الباقر ، أحد الأئمة الاثني عشر عند
الشيعة ، وسيد بني هاشم في زمانه توفي سنة ١٤٨ هـ .

من انتقم انتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن شفا
غِيظَه لم يُدْكَرْ في النَّاسِ فَضْلُهُ .

من كظم غِيظَه فقد حَلَمَ ، ومن حَلَمَ فقد
صَبَرَ ، ومن صَبَرَ فقد ظَفِرَ .

من طلب الدُّنْيَا بعملِ الآخرة خَسِرَهما ، ومن
طَلَبَ الآخرةَ بعملِ الدُّنْيَا ربحَهما .

قال بعضهم : مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ أَرْبَعِ حَرَمِهِ
اللَّهِ عَلَى النَّارِ : حِينَ يَغْضَبُ وَحِينَ يَرْغَبُ ، وَحِينَ
يَرْهَبُ ، وَحِينَ يَسْتَهْتِهِ .

قال بكر بن عبد الله : مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ
وَاعْظُ عَارِضَهُ سَاعَةَ الْغَفْلَةِ وَحِينَ الْحَمِيَّةِ .

من أَمَلْ أَحَدًا هَابَهُ ، ومن قَصُرَ عَنْ شَيْءٍ عَابَهُ .

قيل لحكيم : مَنْ أَسْوَأُ النَّاسِ حَالًا ؟ قال : مَنْ لَمْ
يَثِقْ بِأَحَدٍ لِسُوءِ ظَنِّهِ ، وَلَا يَثِقُ بِهِ أَحَدٌ لِسُوءِ أَثَرِهِ .

قيل لبعضهم : مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْكَ ؟ قال : مَنْ
كَثُرَتْ أَيْدِيهِ عِنْدِي قال : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ؟ قال : مَنْ
كَثُرَتْ أَيْدِيَّ عِنْدَهُ .

كان يُقال : من طالَ صمته اجتَلَبَ من الهيبة
ما ينفعه ، ومن الوحشة مالا يضره .

من طلب موضعاً لسيره فقد أوشاه .

قيلَ للحكيم : مَنْ أنعمَ الناسَ عيشاً ؟ فقال :
من كَفَيَّ أمرَ دنياه ، ولم يهتمَّ بأمرِ آخرته .

وقيل : من زاد عقله نقصَ حظُّه . وما جعلَ
اللهُ لأحدٍ عقلاً وافراً إلا احتسبَ عليه من رزقه .
مَنْ قال : لا أدري . وهو يتعلَّمُ أفضلُ ممَّن
يدرِي وهو يتعظَّمُ .

مَنْ انتحلَ من العلمِ الغايةَ لم يكنْ لجهله نهايةٌ .
من يدَّعِ العلمَ جُلَّهُ أعقلُ ممَّن يدَّعيه كُلهُ .
مَنْ جاعَ باعَ .

من أحسنَ الاستماعَ استعجلَ الانتفاعَ .
من حَلَّمْ سادَ . من اعترفَ بالخريرة فقد استحقَّ
الغفيرةَ (١) .

(١) الغفيرة والغفران بمعنى واحد .

من رَغِبَ عن الإِخوانِ جَسُرَ على الزَّمانِ .
 من اتَّبَعَ هواهُ أَضَلَّهُ .
 من جَهَّلَ النِّعَمَ عَرَفَ النِّقَمَ .
 من كَانَتْ لَهُ فِكْرَةٌ فَلَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِبْرَةٌ .
 من انْتَهَزَ الْفُرْصَةَ آمَنَ الْغُصَّةَ .
 من سَكَتَ فَسَلِمَ كَانَ كَمَنْ قَالَ فَغَنِمَ .
 من كَرِهَ النَّطَاحَ لَمْ يَنْلِ النَّجَاحَ .
 من كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ لَهُ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ .
 من كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ ، حَجَبَ عَنِ الْعَيُونِ عَيْبَهُ .
 من كَثُرَ مَحْتَدُهُ حَسُنَ مَشْهُدُهُ .
 من خَبِثَ عُنْصُرُهُ سَاءَ مَحْضَرُهُ .
 من خَانَ هَانَ .
 من أَدْمَنَ قَرَعَ الْبَابِ وَاتَّجَ .
 من اسْتَوَطَأَ مَرْكَبَ الصَّبْرِ فَلَاحَ (١) .
 من أَحْدَلَنِي أُمُورِهِ بِالْإِحْتِيَاظِ سَلِمَ مِنَ الْإِخْتِلَاطِ .
 من نَشَرَ صَبْرَهُ طَوَى أَمْرَهُ .

(١) فلج : ظفر .

من امتنَّ بمعروفه أفسدهُ .
 من قلَّ حياؤه كثرَ ذنبه .
 من لان عوده كثرَت أغصانهُ .
 من حسنَ خلقه كثرَ إخوانه .
 من يُبْرِئُ بصيرتك من العمى أكملُ ممَّن يُصِحُّ
 بصرك من القَدَى .
 من غرَّه الشبابُ تقطعت به الأسبابُ .
 من ختمَ البِضَاعَةَ أمينَ الإضاعة .
 من نظَرَ بعينِ الهوى حارَّ ، ومن حكَمَ بحُكْمِ
 الهوى جاز .
 من ساء خلقه عدَّ بِنفسه . من أحبَّك نهاك ،
 ومن أبغضك أغراك . . من أحسنَ الاعتذارَ استوجبَ
 الاعتذارَ .
 من طال صبره ضاق صدره .
 من احتاجَ إليك ثقلَ عليك .
 من زرعَ شيئاً حصدهُ ، ومن قدَّمَ خيراً وجدّه .

من تنزهه عن المطامع لم يُعْتَبَدَ .
 من لم يحتمل بشاعة الدواء دامَ أَلَمُهُ .
 من تَعَلَّلَ بِالمُسِيءِ أَفْلَسَ .
 مَنْ اغْتَابَ خَرَقَ ، ومن استغفرَ رَقَعَ .
 من بَخُلَّ عَلَيْكَ بِبَشَرِهِ لم يَجِدْ عَلَيْكَ بِبِرَّةً .
 من كَفَّ عَنْكَ شَرَّهُ فَاصْنَعْ بِهِ مَا سَرَّهُ .
 من تشاغلَ بالسُّلْطَانِ لم يَتَفَرَّغْ إِلَى الْإِخْوَانِ .
 من اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ فَقَدْ خَاطَرَ .
 من عرفَ الْأَيَّامَ لم يُخَفِّلِ الْإِسْتِعْدَادَ لَهَا . من أَحَبَّ
 مَنْ لَا يَعْرِفُهُ فَإِنَّمَا يُسَازِحُ نَفْسَهُ .
 من حَصَّنَ شَهْوَتَهُ صَانَ قُدْرَهُ . من ضَاقَ خَلْقُهُ
 مَلَتْ أَهْلُهُ .
 من تَقَدَّمَ بِحُسْنِ النِّيَّةِ بَصَّرَهُ التَّوْفِيقُ . من قَارَبَ
 النَّاسَ فِي عَقُولِهِمْ سَلِمَ مِنْ غَوَائِلِهِمْ . مَنْ التَّحَفَّ
 بِالْقِنَاعَةِ حَالَفَهُ الْعِزُّ
 من كانت له إلى الناس حاجةٌ فَقَدْ خُذِلَ .

من عالجَ الشَّوْقَ لم يستبْعِدِ الدَّارَ . من يزرع
الشَّوْكَ لا يحصد به العنب .

من اطمأنَّ قبلَ الاختِيارِ ندمٌ .
من وصلَكَ وهو مُعَدِّمٌ (١) خيرٌ ممَّن جفَاكَ وهو
مُكْثِرٌ .

من لم يغضِ على القَدَى لم يرضَ أبداً .
من تقلَّبَتْ به الأحوالُ علمَ جواهر الرِّجال .
من حفظَ ماله فقد حفظَ الأكْرَمِيْنَ : الدِّينَ
والعِرضَ .

من تأدَّبَ صَخِيْراً انتفعَ كبيراً .
من عدَّلَ سَفِيْهَا عَرَّضَ لَلشَّيْءِ نَفْسَهُ .
مَنْ زُنِيَ زُنِيَ بِهِ .
من عَتَبَ على الدهرِ طالتْ مَعْتَبَتُهُ .
من سألَ فوقَ قدرِهِ استحقَّ الحرمانَ .
من شتمَ حلِيماً رجَعَ ذَمِيماً .
من كَفَرَ النِّعْمَةَ مُنِعَ الزِّيَادَةَ .

(١) المعدم : الفقير أو قليل المال .

من لم يدارِ عيشه مات قبل أجليه .
 من لاحى الرجال ذهب كرامته . من اتخذ
 التتموى صاحباً كانت له ردءاً من الملمات .
 من كتم الأطباء مرضه فقد غش نفسه .
 من أحب أن يصرم أخاه فليقرضه ثم يتقاضاه .
 من أحب لك شيء زال حبه بزواله .
 من قال في الناس ما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون .
 من طلب ما عند السلطان بالغلبة لم يزد منه
 إلا بُعداً .

من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم
 يكذبهم ، ووعدهم فلم يخافهم ، فقد حرمت غيبته ،
 وكمالت مروتة ، وظهرت عدله ، ووجبت
 أخوته .

من استحيا من غيره ولم يستحي من نفسه فليس
 لنفسه عند مقلد .
 من أدب ولده صغيراً سر به كبيراً .

من كَثُرَ خَيْرُهُ كَثُرَ زَائِرُهُ .
من أطال الحديثَ عَرَضَ نَفْسَهُ للمالِةِ وسوءِ
الاستماعِ .
من أظهرَ شُكْرَكَ فيما لم تأتِ إِيَّاهِ فاحذرَ أَنْ يَكْفُرَ
نِعْمَتَكَ فيما أُسْدِيتَ إِيَّاهِ .
مَنْ تَحَدَّثَ بِحَدِيثٍ قَبْلَ أَنْ يَتَدَبَّرَهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ عَيْبِهِ .
من نَظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ لَمْ يَشْفِ غِيظَهُ .
من زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ سَفِيهِ فَقَدْ عَقَّبَهَا .
من مَنَعَ بِرَّهُ قَلَّ أَنْصَارُهُ .
من أَطْلَقَ لِسَانَهُ أَهْدَرَ دَمَهُ .
من تَدَكَّرَ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمْ يَسْتَعْمِلْ قُدْرَتَهُ فِي
ظَلَمِ عِبَادِهِ .
من مَنَعَ النَّاسَ مَا يَرِيدُ مِنْهُمْ مِثْلَهُ ظَلَمَ نَفْسَهُ .
من اسْتَقْصَى عَلَى النَّاسِ قُلَّةَ صَدِيقِهِ ، وَمَنْ أَغْضَى
عَلَى الْعَوْرَاءِ (١) سَهْلَ طَرِيقِهِ .

(١) العوراء : الكلمة القبيحة .

من نظر في دينه إلى من هو فوقه يستصغر عمله ،
ونظر في دنياه إلى من هو دونه ليستكثر ما أعطى فقد
وفقَ لحظته .

قال يحيى بن أَكْثَمَ : من لم يرج إلا ما هو
مُسْتَوْجِبٌ كان قَمِيناً أن يُدرك حاجته . من عرّف
ثمار الأعمال فهو جديرٌ ألا يغرس ألا طيباً . من
صحب الحكماء ظفر بحسن الشناء .

من اغترّ بالعدو الأريب خان نفسه .
من عديم ماله أنكره أهله ومعارفه . من جانب
هواه صحّ رأيه .

من عاقب بريثا فنفسه عاقب .
من عرّضت له بليّةٌ رُحيم ، ومن جناها ذمّ .
من لم يجلس في شبيبته حيث يسهو جلس في كيبه
حيث لا يهوى .

من لم يركب المصاعب لم ينل الرغائب .
من كان أغلب حصاله عليه الإحسان اغتُفِرَتْ
زَلَّتُهُ ، وأُقيلت عثرته .

من ردَّ الكرامةَ نصبَ شرَّكاً وثيقاً للعداوة .
 من بخلَ بدِينه عَظُمَ ربحه .
 من فاهَرَ الحقَّ قُهِرَ .
 من تركَ التَّوَقِّيَ فَقَدِ اسْتَسَامَ لِقَضَاءِ السُّوءِ .
 من لم تَوَدَّ بهُ المَوَاعِظُ أَدْبَتَهُ الحَوَادِثُ .
 من تَعَوَّدَ الكَفَايَةَ لم يَعْرِفْ مَقْدَارَ الرَّاحَةِ .
 من لم يَعْرِفْ قَدْرَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَبْدُلَ ، ومن لم يَدَبِّرْ
 مَالَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَفْتَقِرَ .
 من رَقَّ وَجْهُهُ رَقَّ عِيَالُهُ .
 من لم يَتَحَرَّزْ بِعَقْلِهِ مِنْ عَقْلِهِ هَلَكَ مِنْ قِبَلِ عَقْلِهِ .
 من حُرِمَ الْعَقْلَ فَلَا خَيْرَ لَهُ وَلَا لِلنَّاسِ فِي حَيَاتِهِ ،
 ومن حُرِمَ الْجُودَ فَلَا خَيْرَ لَهُ وَلَا لِلنَّاسِ فِي سُلْطَانِهِ ،
 ومن حُرِمَ الْفَهْمَ فَلَا خَيْرَ لَهُ وَلَا لِلنَّاسِ فِي قَضَائِهِ .
 من رَضِيَ عَنْهُ الْجَمِيعُ الْمُخْتَلِفُونَ اسْتَحَقَّ اسْمَ
 الْعَقْلِ .

* * *

الباب السابع

في سياسة السُّلْطَانِ وَأَدَبِ الرَّعِيَّةِ

قال بعضُ الحكماء : إنَّ قلوبَ الرِّعِيَّةِ خزانٌ
واليها فما أودعته وجدته فيها .

قالوا : صينفانٍ مُتَبَايِنانِ إِنْ صَلَحَ أَحَدُهُمَا صَلَحَ
الآخرُ : السلطانُ والرعيةُ .

قال بعضُ الحكماء : إذا صحبتَ السلطانَ فليكنْ
مدارأتكُ له مداراةَ المرأةِ القبيحةِ لزوجها ؛ فإنَّها
لا تدعُ التَّصَنُّعَ له في كلِّ حالٍ .

قال الأعمشُ : إذا رأيتَ العالمَ يأتي بابَ السلطانِ
فاعلمْ أنه ليسَ . قال بعضُ الحكماء : ليُغْنِنيَ السلطانُ
بابَ الأُنسِ بينه وبين كُفَمَاتِهِ الَّذِينَ تَنَفَّسُوا أُمُورَهُمْ
في ملكه ؛ فإنَّ مؤانستَه يساهمُ تبعثُ عليه بهم الجرأةَ وعلى
الرعيةَ الغشمَ .

قالوا : صينفانٍ لو صالَحَا صَلَحَ جميعُ الناسِ الفقهاءُ
والأُمراءُ .

قيل : من داخل السلطان يحتاج أن يدخل أعمى
ويخرج أحرص .

قيل للعتابي : لم لا تقصدُ الأميرَ ؟ قال : لأني
أراه يُعطي واحداً لغيرِ حسنةٍ ولا يد ، ويقتلُ آخرَ
بلا سيئةٍ ولا ذنبٍ ولست أدري أيَّ الرجلين أكونُ
أنا ، ولست أرجو منه مقدار ما أخطرُ به .

قيل : العاقلُ من طلبِ السلامة من عملِ السلطان ،
إن عَفَّ جَنَى عليه العفافُ عداوةَ الخاصةِ ، وإن بسطَ
جَنَى عليه البسطُ السنةَ العامةِ .

قال سعيدُ بن حميد : (١) مجلسُ السلطانِ كالحمامِ ؛
من فيه يريدُ الخروجَ ومن هو خارجٌ يريدُ الدخولَ
فيه .

ابن المقفع : إقبالُ السلطانِ تعَبٌ ، وإعراضُهُ
مَسْكَةٌ .

(١) سعيد بن حميد ، شاعر عباسي ، من أولاد الدهاقين ، كان
فصيح اللسان وعاش إلى أيام الوراق .

قالوا : ينبغي للمالك أن يتفقّد أمرَ خاصيته في كلِّ يومٍ ، وأمرَ عامّيته في كلِّ شهرٍ ، وأمرَ سلطانه في كلِّ ساعةٍ .

قال بعضهم : إذا كنتَ حافظاً للسلطان في ولايتك ، حتّمراً منه عند تقريبه لك ، أميناً له إذا ائتمنك ، تشكّراً له ولا تكلفه الشكر لك ، تعلّمه وكأنك تتعلم منه ، وتؤدبه وكأنه يؤدّبك ، بصيراً بهواه ، مؤثراً لمنفعته ، ذليلاً إن ضامك ، راضياً إن أعطاك ، قانعاً إن حرّمك ، وإلاً فابعده منه كلَّ البعد .

قال حكيمٌ : محلُّ المالك من رعيته محلُّ الروح من البدن ، ومحلُّ الرعيّة منه محلُّ البدن من الروح . فالروح تألّم لألّم كلِّ عضوٍ من أعضاء البدن ، وسائرُه لا يألّم لألّم غيره ، وفي فساد الروح فسادُ جميعِ البدن ، وقد يفسدُ بعضُ البدن وغيرُه من سائرِ البدنِ صحيح .

قال سهل بن هارون : ينبغي للنديم أن يكون كأنّما خلّق من قلب الملك ؛ يتصرف بشهواته ، ويتقلّب بإرادته ، إذا جدّ جدّ ، وإذا تطلّق تطلّق ، لا يمسّ

المعاشرَة ، ولا يسأمُ المسامرةَ ، وإذا انتشى تحفظَ ،
وإذا صحا تيقظَ ويكونُ كأنما لسره ، ناشراً لبيره ،
ويكونُ للممالك دونَ العبدِ ؛ لأنَّ العبدَ يخدمُ نائباً والنديمُ
يحضرُ دائماً .

كان مسروقٌ بنُ الأجدعِ (١) ينهى عن عملِ
السلطانِ ، فدعاه زيادٌ وولاه السلاسةَ ، فقبل له في ذلك ،
فقال : اجتمع عليّ زيادٌ وشريحٌ والشيطانُ ، فكانوا
ثلاثةٌ وكنتُ واحداً فغابوني .

قيل لبعضِ مَنْ يتصرفُ مع السلطانِ : لا
تصحبهم (٢) ؛ فإنَّ مثأَهم مثلُ قيدرٍ أسودٍ كلما
مسّه إنسانٌ سرّده . فقال : إن كان خراجُ القديرِ أسودَ
فإنَّ دأخله لحمٌ سمين ، وطعامٌ لذيذ .

كان يُقالُ : لا سلطانَ إلاّ برجالٍ ، ولا رجالَ
إلاّ بمالٍ ، ولا مالَ إلاّ بعمارةٍ ، ولا عمارةَ إلاّ بعدلٍ
وحُسْنِ سياسةٍ

(١) مسروق بن الأجدع الهمداني ، أدرك الجاهلية ، وهو تابعي مات
سنة ٦٣ هـ .
(٢) أي السلاطين .

تال بعضُ الملوِك في خُلبسة : إِنما نملكُ الأَجسادُ
لا النِياتِ ، ونحكمُ بالعدلِ لا بالرضا ، ونقصُ عن
الأعمالِ لا عن السرائِرِ .

قيل : أَفضلُ ماعُوشِرَ به الملوِك قِلَّةُ الخلافِ
وتخفيفُ المؤونةِ .

قيل : لا يقدرُ على صُحبةِ السلطانِ إلاَّ مَنْ
يَسْتَقِيلُ لما حملوه ، ولا يُلحِفُ إِذا سألهم ، ولا يغترُّ بهم
إِذا رضُوا عنه ، ولا يَتَغَيَّرُ لهم إِذا سَخَطوا عليه ، ولا يطغى
إِذا سلَّطوه ، ولا يبطرُ إِذا أَكْرَموه .

قال فيلسوفٌ : إِذا قَرَّبَكَ السلطانُ فكنْ منه على
حدِّ السَّنانِ ، وإن استرسلَ إِلَيْكَ فلا تأمنْ انقلابه
عليك ، وارفقْ به رفقك بالصَّبيِّ ، وكلمه بما يشتهي .

ودخلَ يزيدُ بنُ عمرَ بنِ هُبَيْرَةَ (١) على المنصورِ
فقال له : يا أَميرَ المؤمنين ، توسَّعْ توسُّعاً قُرْشياً ،
ولا تضيقْ ضيقاً حِجَازياً . وقال : يا أَميرَ المؤمنين ،

(١) يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراقيين لمروان بن محمد ، كان
جواداً كريماً ، وقتل سنة ١٣٢ هـ .

إِنَّ سُلْطَانَكُمْ حَدِيثٌ ، وَإِمَارَتُكُمْ جَدِيدَةٌ ، فَأَذِيقُوا
النَّاسَ حَلَاوَةَ عَدْلِهَا ، وَجَنِّبُوهُمْ مَرَارَةَ جَوْرِهَا (١) ،
فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ مَخَضْتُ (٢) لَكَ . ثُمَّ فَهَضَ
فَنَهَضَ مَعَهُ تِسْعُمِائَةِ مِنْ قَيْسٍ ، فَأَتَاهُ (٣) الْمَنْصُورُ
بَصْرَةَ ثُمَّ قَالَ : لَا يَعْزُ مُلْكٌ فِيهِ مِثْلُ هَذَا .

قَالُوا : عَدْلُ السُّلْطَانِ أَنْفَعُ لِلرَّعِيَةِ مِنْ خِيَصْبِ
الزَّيْمَانِ .

كَانَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ يَقُولُ : مَسَاءَلَةُ الْمُلُوكِ عَنْ
أَحْوَالِهِمْ مِنْ كَلَامِ النَّوْكَى (٤) ، فَإِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَقُولَ :
كَيْفَ أَصْبَحَ الْأَمِيرُ ؟ فَقُلْ : صَبَّحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ بِالْكَرَامَةِ .
وَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَقُولَ كَيْفَ يَجِدُ الْأَمِيرُ نَفْسَهُ ؟ فَقُلْ :
وَهَبَ اللَّهُ لِلْأَمِيرِ الْعَافِيَةَ وَنَحْنُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فَإِنَّ
الْمَسْأَلَةَ تَوْجِبُ الْجَوَابَ فَإِنْ لَمْ يَجِبْكَ اشْتَدَّ عَلَيْكَ
وَإِنْ أَجَابَكَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ .

(١) الْجور : الظلم .

(٢) مَخَضَ الرَّأْيَ : قَلْبَهُ وَتَدَبَّرَ عَوَاقِبَهُ . وَالْمَقْصُودُ هُنَا : نَصَحْتُ لَكَ .

(٣) أَتَاهُ النَّظَرُ : أَتْبَعَهُ إِيَّاهُ .

(٤) النَّوْكَى : الْحَمَقَى .

قيل لابن عباس : إن الناس قد فسدوا ولا يصلحهم
إلا الشر . قال : بالله الذي لا إله إلا هو للرجور
أشب للشر ، والعدل أطفأ للرجور . وفي العدل كفاية ،
ولإليه انتهت السياسة . وقد يصيب الوالي في رعيته
بأربع من نفسه وأربع من أنفسهم ، فأما الأربع
الدواتي منهم فالرغبة والرغبة والأمانة والنصيحة .
وأما الأربع الدواتي من نفسه فإعطاء من نصحه ،
والجزاء لمن أبلاه ، وعقوبة ذي الدنب بقدر ذنبه ،
والتمكين بمن تعدى أمره . فإن هو لم يفعل ذلك
وتراخى ابتلي منهم بأربع : بالغش والخللان
والخيانة والتكدي .

قيل : ليعلم من نال شرف المنزلة من السلطان
وهو دني الأصل أنه ثار الأشراف ، وأنه لانهجاة له
منهم إلا أن يعمرهم بالإحسان إليهم .

إذا كان الملك ضعيفاً ، والوزير شرهاً ، والقاضي
كذوباً ، فرقوا المسلك شعاعاً (١) .

(١) شعاع : متفرق .

إذا قنعَ الملكُ بِإفسادِ دينه لم تقنعْ رعيَّتهُ إلا بإزالةِ
ملكه .

ظلمُ الرعيةِ استجلابُ البليَّةِ .

أحزمُ الملوكِ من ملكٍ جدُّهُ هزَلَهُ ، وقهرَ
رأيهُ هواه ، وعَبَّرَ عن ضميره .

دخلَ أبو مُجَلَّزٍ (١) على قُتَيْبَةَ بخراسانَ وهو
يَضْرِبُ رَجُلًا بالعِصَا فقال : أَيُّهَا الأميرُ ، إِنَّ اللَّهَ
جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، وَوَقْتَ لَهُ وَقْتًا ، فَالعِصَا لِلْأَنْعَامِ
وَالْهُوَامِ وَالْبَهَائِمِ الْعِظَامِ ، وَالسَّوْطُ لِلْحُدُودِ (٢)
وَالْتَعْزِيرِ (٣) ، وَالدَّرَّةُ لِلْأَدَبِ ، وَالسَّيْفُ لِقِتَالِ الْعَدُوِّ
وَالْقَوْدِ (٤) .

قالوا : عَمَلُ السُّلْطَانِ حَدِيثٌ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا .

(١) أبو مُجَلَّزٍ لَاحِقُ بْنُ حَمِيدٍ الْبَصْرِيُّ أَحَدُ عُلَمَاءِ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ
يَنْزِلُ خُرَاسَانَ . تَوَفِّيَ سَنَةَ ٥١٠٧ هـ .

(٢) أَيُّ لِمَعَاظِمِ الَّذِينَ يَسْتَحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ كَشْرَبِ الْخَمْرِ أَوْ غَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ .

(٣) التَّعْزِيرُ : تَأْدِيبُ الْمُنْذَبِ تَأْدِيبًا لَا يَبْلُغُ الْحُدَّ الشَّرْعِيَّ .

(٤) الْقَوْدُ : الْقَصَاصُ .

إذا ضيعت الملوكة سنن أديانها فلتعلم أنها
تهدم أساس ممالكها .

لا ينبغي للملك أن يكون سفيهاً ومنه يلتبس
الحرام ، ولا جائراً ومنه يلتبس العدل .

إذا لم يثبت (١) الملك على النصيحة غشته الرعية .

وفد على معاوية عبيد بن كعب النميري
فسأله عن زياد وسياسته فقال : يستعمل على الجذ
والأمانة دون الهوى ، ويعاقب فلا يعدو بالذنب
قدره ويسمر ليستجم بحديث الليل تدبير النهار
قال : أحسن . إن الثقل على القلب مضرة بالرأي .
فكيف رأيه في حقوق الناس فيما عليه وله ؟ قال :
ياخذ ماله عفواً ويعطي ما عليه عفواً . قال : فكيف
عطاياه ؟ قال : يعطي حتى يقال جواد ، ويمنع حتى
يقال بخيل .

قالوا : التذلل للملوك داعية العز والتعزز عليهم
ذل الأبد .

(١) أثاب : كافاً .

كثرةُ أعوانِ السَّوءِ مَضَرَّةٌ للأعمالِ .

الدَّالةُ على الملوكِ تُعرضُ للسَّقوطِ .

خيرُ الملوكِ من مَلَكَ جَهْلَهُ بِحِلْمِهِ ، وَخَرَقَهُ
بِرَفْقِهِ ، وَعَجَّلَتْهُ بِأُنَاتِهِ ، وَعُقُوبَتَهُ بِعَفْوِهِ وَعَاجِلَهُ
بِمِرَاقِبَةِ آجِلِهِ : وَأَمَّنَ رَعِيَّتَهُ بِعَدْلِهِ ، وَسَدَّ ثُغُورَهُمْ
بِهَيْبَتِهِ ، وَجَبَّرَ فَاغْتَهُمْ بِجُودِهِ . يَعْلَمُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ ،
وَيَحْسُمُ الدَّاءَ مِنْ حَيْثُ اسْتَبْهَمَ .

السلطانُ في تَنَقُّلِهِ وَثِقَلِ النَّاسِ مَعَهُ كَالظِّلِّ
الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ السَّابِلَةُ .

شِدَّةُ الانْقِبَاضِ مِنَ السُّلْطَانِ تَوْرَثُ الشُّهْمَةَ ،
وَسَهُولَةُ الانْبِسَاطِ تَوْرَثُ الْمَلَالَةَ .

من سَعَادَةٍ جَدَّةٍ (١) المرءُ أَلَّا يَكُونَ فِي الزَّمَانِ
الْمَخْطُوطِ مُدَبِّرًا لِلسُّلْطَانِ .

من سَكَرَاتِ السُّلْطَانِ أَنْ يَرْضَى عَمَّنِ اسْتَوْجَبَ

(١) الجِد : الحُظ .

السُّخْطَ . ويسخُطُ على من استوجبَ الرِّضَا من غير
سَبَبٍ معلومٍ .

بلغ بعضُ الملوكِ حُسْنَ سِيَاةِ مَلِكٍ فكتبَ إليه :
قد بلغتَ من حُسْنِ السِّيَاةِ مَبْلَغًا لم يبلغه مَلِكٌ
في زمانك ، فأفدني الذي بَلَغَكَهُ . فكتبَ إليه :
« لم أَهْزِلْ في أمرٍ ولا نَهَيْ ، ولا وعدٍ ولا وعيدٍ ،
واستكفيتُ أهلَ الكِفَايَةِ ، وأَثَبْتُ على الغِنَاءِ لا على
الهَوَى ، وأودعتُ القلوبَ هَيْبَةً لم يشُبُّها مَقْتُ (١) ،
وودَّأ لم يشُبُّهُ كَذِبٌ ، وعممتُ بالقُوتِ ومنعتُ
الْفُضُولَ (٢) » .

أمران جليانٍ لا يصلحُ أحدهما إلَّا بالتفردِ به ،
ولا يصلحُ الآخرُ إلَّا بالتعاونِ عليه : وهما المُلْكُ والرأي ،
فإن استقامَ المُلْكُ بالشركاءِ استقامَ الرَّأيُ بالتفردِ به .
لأشيءِ أهلُكُ للسلطانِ من صاحبٍ يُحسنُ القولَ
ولا يُحسنُ العملَ .

(١) لم يشبها مقت : لم يخالطها بغض .

(٢) الفضول : مالا فائدة فيه .

أَصْحَبِ السَّلَاطَانَ بِإِعْمَالِ الْحَذَرِ ، وَ رَفْضِ الدَّالَّةِ ،
وَالاجْتِهَادِ فِي النَّصِيحِ وَأَصْحَبْهُ بِثَلَاثٍ : بِالرِّضَا وَالصَّبْرِ
وَالصَّدَاقِ .

أَعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَسَبًا ، فَمَا جَاوَزَهُ كَانَ سَرَفًا ،
وَمَا قَصَرَ عَنْهُ كَانَ عَجْزًا . فَلَا تَبْلُغْ بِكَ نَصِيحَةَ السَّلَاطَانِ
أَنْ تُعَادِيَ حَاشِيَتَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ
مِنْ حَقِّهِ عَلَيْكَ . وَلَكِنْ أَقْبِضْ لِحَقِّهِ عَنْكَ ، وَأَدْعِ
لِلسَّلَامَةِ لِيَلِيكَ أَنْ تَسْتَصْلِحَ أَوْلِيَّكَ جَهْدَكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا
فَعَلْتَ ذَلِكَ شَكَرْتَ نِعْمَتَهُ ، وَأَمْسَتْ حُجَّتُهُ ، وَفَلَسَلْتَ
عَدُوَّكَ عِنْدَهُ .

إِذَا جَارَيْتَ عِنْدَ السَّلَاطَانِ كُفْمًا مِنْ أَكْفَائِكَ فَلَتَكُنْ
مَجَارِئُكَ لِإِيَّاهُ بِالْحُجَّةِ ، وَإِنْ عَضَّهَكَ (١) ، وَبِالرَّفَقِ
وَأِنْ خَرَّقَ بِكَ ، وَاحْذَرُ أَنْ يَسْتَلْجِكَ (٢) فَتَحْمِي ، فَإِنَّ
الْغَضَبَ يُعْمِي عَنْ الْفُرْصَةِ ، وَيَقْطَعُ عَنْ الْحُجَّةِ ، وَيُظْهِرُ
عَلَيْكَ الْخِصَمُ .

احْتَرَسْ أَنْ يَعْرِفَكَ السَّلَاطَانُ بِاثْنَيْنِ : بِكَثْرَةِ الْإِطْرَاءِ

(١) عَنْهُ : كَذَبَ وَادَّعَى عَلَيْهِ الْإِذْكَ .

(٢) يَسْتَلْجِكَ : يُعَادِي فِي خَصْمَتِكَ .

للناس عنده ، وبكثرة ذمهم ؛ فبعد ذلك غلامك منك فإنه
إذا رأى كثرة إطرائك للناس وذمهم ضرر ذلك صديقك
وإن كان حقاً ، وأمن عدوك كسيّدك وإن كان مُعوراً (١)
وعليك بالقصد والتحرز ؛ فإنه إن يعرفك به كنت لعدوك
أضرراً ولصديقك أنفع .

لا تتورد على السلطان بالدالة وإن كان أخاك ،
ولا بالحجة وإن وثقت أنها لك . ولا بالنصيحة وإن كانت
له دونك فإن السلطان تعرض له ثلاث : القُدرة دون
الكرم ، والحمية دون النصفة ، والليّاج دون الحظ .

سئل بعضهم : أي شيء أرفع بذكر الملوكة ؟ قال :
تدبيرهم أمر البلاد بعديل ، ومنعهم إيّاها بعز . قيل : فما
الذي على الملوكة لرعيّتهم ، وما الذي على الرعيّة الملوكة ؟
قال : على الملوكة لرعيّتهم ما تأمن عليه أنفسهم ويرغد
عليه عيشهم . وللملوكة على رعيّتهم الشكر والنصيحة .

اعلم أن الملوكة تحتاج إلى الوزير ، وأشجع الرجال
يحتاج إلى السلاح وأجود الخيل يحتاج إلى السوط ، وأحد
الشّفار يحتاج إلى الميسن .

صلاح الدنيا بصلاح الملوكة . وصلاح الملوكة بصلاح

(١) مدوراً : أعور الفارس : بدا فيه موضع خلل لطن والفرب .

الوزراء ، ولا يصلحُ المُلْكُ إلاَّ لأهله ولا تصالحُ الوزارة إلاَّ لمستحقَّها .

خيرُ الوزراءِ أصلحُهم للرعيَّةِ ، وأصدقُهم نيَّةً في النصيحة ، وأشدُّهم ذبًّا (١) عن المملكة ، وأشدُّهم بصيرةً في الطاعة ، وأخذُهم لحقوقِ الرعيَّةِ من نفسه وسلطانِه .
ليس شيءٌ للملوكِ أولى بالفرح والسرورِ به في مُلكها من سيرة حسنة يسبِّرونها ، وسنةٍ صالحةٍ يُجرونها ، وزيرٍ صالحٍ يؤيِّدون به .

الوزيرُ الحَيِّرُ لا يرى أنَّ صلاحه في نفسه كائنٌ صلاحاً حتى يتصل بصالحِ الملِكِ ورعيَّته ، وتكون عنايته فيما عطفَ الملِكُ على عامته ، وفيما استعطف قلوب العامة على الطاعة للملكه ، وفيما قوم أمر الملِكِ والمملكة من تدبيره ، حتَّى يجمع إلى أخذِ الحقِّ وتقديمه عموم الأمان والسلامة ، ويجمع إلى صلاحِ الملِكِ صلاحِ أتباعه وإذا طرقت الحوادثُ ، ودهستِ العظامُ ، كان للملكِ عدَّةٌ وعَتادا ، وللرعيَّةِ كافيًا بمخاطا ، ومن ورائها ذاباً ناصراً ، يعنِّيه من صلاحها ما لا يعنِّيه من صلاح نفسه دونها .

* * *

(١). الذب : الدفاع .

الباب الثامن

نَوَادِرُ لِلنِّسَاءِ الْمُتَوَاجِينَ وَالْجَوَارِي

استعرض رجلٌ جاريةً فقال : في يديكِ عمل ؟
قالت : لا ولكن في رجلي .

وأدخل على المنصور جارينِ فأعجبتهما . . فقالت
التي دخلت أولاً : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد فضّلني
على هذه بقوله : « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ » (١) فقالت
الأخرى : لا بل قد فضّلني بقوله : « وَلَا خَيْرَ خَيْرٍ »
لك من الأولى « (٢) ،

طلّبتُ جاريةً محمود الوراق (٣) للمعتصم بسبعة
آلاف دينار ، فامتنع من بيعها ، واشتدّ شريته له بعد ذلك
من ميراثه بسبعمائة دينار ، فذكر المعتصمُ لها ذلك يوماً

(١) سورة التوبة : ١٠٠ .

(٢) سورة الضحى : ٤

(٣) محمود الوراق شاعر عباسي له حكم وأمثال ومواعظ ، توفي
في حدود المائتين والثلاثين .

فقالت : إذا كان الخليفةُ ينتظرُ بشهواته الموارِيثَ فسبعونُ
ديناراً في ثمنِي كثيرٌ . فكيف سبعمائة ؟

وطلب آخرُ من عشيقته خاتماً كان معها فقالت :
يا سيدي هذا ذهبٌ وأخافُ أن تذهب ، ولكن هذا العودُ
حتى تعودَ .

وقال بعضهم لآخرى : أرى شفتَيْكَ مُتَشَقَّقَتَيْنِ ،
فقالت : الشَّيْنُ إذا احْتَوَى تشققاً .

عُرِضَتْ عَلَى المَعْتَزِ (١) جاريةٌ فقال لها : ما أنتِ
من شَرَطِي قالت : ولكنك من شَرَطِي واللَّهِ . فاشتراها
وحظيَّتْ عنده .

غاب رجلٌ عن امرأته ، فبلغها أنه اشترى جارية ،
فاشتريتْ غلامَيْنِ ، فاتَّصَلَ الخبرُ بزوجهَا ، فجاء مُبادِراً
وقال لها : ما هذا ؟ فقالت : أما علمت أن الرِّحَا إلى بغلينِ
أحوجُ من البغلِ إلى الرِّحَا . بَعِ الجاريةَ حتَّى أبيعَ
الغلامينِ ففعل ذلك .

خطب ثُمَامَةُ العَوْنِي امرأةً فسألت عن حرفته فكتب إليها :

(١) الملك : ما يملك ، أي يمسخ من صمغ الصنوبر والفتق ونحوهما .

وسائلةٍ ما حيرفتني ؟ قلت : حيرفتني
مقارعةُ الأبطالِ في كلِّ مـأزقٍ

وضربي طلي الأبطالِ (١) باسيفٍ مُعاهِمًا
إذا زحف الصَّفَّان تحت الحـ————وافقٍ

فلمّا قرأت الشعر قالتُ للرسول : قل له : فديتكُ
أنتَ أسدٌ فاطلبُ لنفسكَ لَبْؤَةً ؛ فإني ظَبْيَةٌ أحتاجُ
إلى غزالٍ .

قال رجلٌ لجاريةٍ اعترضها — وكان دميماً فكرهته
وأعرضتُ عنه : إنما أريدُكِ انْفِسي . قالت : فمن نفسك
أُفِرُّ .

وذكر بعضهم قالَ : مرّت بي امرأةٌ وأنا أصلي
في مسجدِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فانقيتُها
بيدي ، فوقعْتُ على فَرْجِها فقالت : يا فتي ، ما أتيتَ
أشدُّ ممّا اتَّقَيْتَ .

دخلتُ عَزَّةً على عاتكةَ بنتِ يزيدَ فقالتُ : أخبريني
عن قولِ كُثَيْبٍ :

(١) الطلى : جمع طلية وهي العنق أو أصوله .

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْقِي غَرِيمَهُ
وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مُعْنِيٌّ غَرِيمُهَا

ما هذا الدَّيْنُ الَّذِي كُنْتُ وَعْدَتُهُ ؟ قالت : كُنْتُ
وَعْدَتُهُ قُبْلَةً ، فلم أَفِ لَهُ بِهَا . فقالت : هَلَّا أَنْجَزْتَهَا لَهُ
وَعَلِيَّ لِمِهَا .

وقال عَقِيلُ بْنُ بِلَالٍ : سَمِعْتَنِي أَعْرَابِيَّةٌ أَنْشَدَ :
وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَتُّهَا غَيْرَ آثَمِ
بِمَهْضُومَةِ الْكَشْحَيْنِ رِيَّانَةَ الْقُلُوبِ (١)
فقالت لي : هَلَّا أَثَمْتُ أَخْزَاكَ اللَّهُ .

* * *

(١) القلب : السوار .

الباب التاسع

نَوَادِرُ الْقَصَاصِ *

قيل لأبي القُطوفِ وَكَانَ يُنْفَتِي وَيُحَدِّثُ وَيَقْصُ
وهو قاضي حَرَّانَ . ما تَرى في السَّمْعِ ؟ فقال : أما
على الخَسْفِ (١) فلا . وقيل له : ما تقولُ في نبيذِ
العسل ؟ قال : لا تشربه . قيل : ولم ؟ أحرامٌ هو ؟
قال : بل هو نعمةٌ لا تقومُ بشكرِها .

وقيل لِطِرْبَالٍ : ما تقولُ في الإبطِ يُمسَسَ ،
أيتوضأُ منه ؟ قال : يابنُ أخٍ ، كما يكونُ الإبطُ
يُغْتَسَلُ منه .

وكان أبو سنانٍ السَّدُوسِيُّ يقولُ : فلانٌ عندي
أكْفَرُ من رامِهر مَزُ .

(*) حافظ المؤلف على كلام القصاص على الرغم ما فيه من تخليط .
والقصاص : مفردُها : قاص ، وهو من يجلس في مسجد الوعظ .
(١) السباع على السفس : على غير أكل .

وبكى حوله ولده وهو يريد مكة فقال : لا تبكوا ،
 بأبي أنتم . فإنني أريد أن أضحى عندكم .

قال أبو عثمان : وكان عندنا قاص^١ يقال له : أبو
 موسى فأخذ يوماً في ذِكْرِ قِصَرِ أَيَّامِ الدُّنْيَا وطُولِ
 أَيَّامِ الآخِرَةِ ، وتصغيرِ شَأْنِ الدُّنْيَا وتعظيمِ شَأْنِ الآخِرَةِ ،
 فقال : هذا الذي عاشَ خمسينَ سنةً لم يعيشْ شيئاً
 وعليه فضلُ سنتين ! قالوا : وكيف ذاك ؟ قال :
 خمسٌ وعشرونَ سنةً ليلٌ هو نائمٌ فيها ، لا يعقلُ
 قليلاً ولا كثيراً ، وخمسٌ سنينَ قائلةٌ (١) ، وعشرونَ
 سنةً إما أن يكونَ صبيّاً ، وإما أن يكونَ معه سكرٌ
 الشَّبَابِ وهو لا يعقلُ ، ولا بدَّ من صبيحةٍ بالغداةِ ،
 ونعسةٍ بين المغربِ والعشاءِ ، ويناله فيها كالغشيِ
 الذي يصيبُ الإنسانَ مراراً في دهره ، فإذا حصلنا
 ذلك فقد صحَّ الذي عاشَ خمسينَ سنةً لم يعيشْ شيئاً
 وعليه فضلُ سنتين .

قرأ سيفويه القاص^٢ : « تُسمُّ في سِلْسِلَةِ ذُرْعِهَا

(١) قال : نام وسط النهار .

تسعون ذراعاً « فقيل له : فإن الله يقول : « سَبْعُونَ ذراعاً (١) » ، وقد زدت أنت عشرين ذراعاً فقال : نعم هذه عسرات الجنا (٢) ووصيف (٣) ، فأما أنتم فيكفيكم شريطٌ بذائقٍ ونِصْفٌ .

سأل واحدٌ سيفويهِ عن حِفْظِهِ القرآنَ فقال : أحفظُهُ آيةً آيةً ، قيل له : فما أولُ الدُّخَانِ ؟ قال : الهَطْبُ الرُّطْبُ .

وكان أبو كعبٍ القاصُّ يقول في دعائه : اللهم صلِّ على جبريلَ ، واغفرْ لأمنا عائشةَ ، وعافني من وجعِ البَطنِ .

كان أبو عقيلٍ الناصي يقول : الرَّعْدُ مَآلِكَ أَصْغَرُ من نَهْمَلَةٍ وَأَعْظَمُ من زُبُورٍ . فقالوا : لعَلَّكَ

(١) الآية : « ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » سورة الحاقة : ٣٢ .

(٢) بغا الشرايبي : قائد تمرد وطني واستبد في الدولة العباسية قتل سنة ٢٥٤ هـ .

(٣) وصيف التركي أكبر أمراء الدولة في عهد المعز ، استصفى أمواله المعز ، وسجنه وقتل وصيف سنة ٢٥٣ هـ .

تريدُ أصغرُ من زنبور وأعظمُ من نحلة . فقال : لو
كان كذلك لم يكن بعجبٍ .

وسأله رجلٌ وهو في الجامع عن مسألة في الحيضِ
لم يعرفها فقال : ويلاك . خَرَّجَ هذه القاذوراتِ من المسجدِ
حتى نخرجَ .

وكان بعضهم يقول : اللهم اغفر لنا كلَّ نعمةٍ
وحسنةٍ ، واحشرني في جملة سيّدي أبي عبدِ الله بنِ
حسنٍ ، ولا تغفرْ للرّافضةِ .

كان بعضهم يقولُ . يامعشرَ الناسِ ، إنّ الشيطانَ
إذا سمّى الإنسانُ على الطعامِ والشرابِ لم يأكلْ معه .
وإذا لم يُسمَّ أكلَ معه ، فكاوا خُبزَ الأرزِ والمالحِ
ولا تسمّوا ليأكلَ معكم ، ثم اشربوا وسمّوا ليموتَ عطشاً .
وحاقَّ بعضهم لهيئته وقال : إنّها نبتت على المعصية .

وكان بعضهم يحجُّ عن حمزة ويقول : استشهد
قبل أن حجَّ ، ويضحّي عن أبي بكرٍ وعُمَرَ يقولُ
أخطأَ السنّة في تركِ الأضحيةِ .

وقيّد آخرٌ إحدى عينيه وقال : النَّظَرُ بهما إسرافٌ .
 وكان بعضُ القصّاصِ يتشددُ في خَلْقِ القرآنِ ،
 فسُئِلَ عن معاويةَ : هل كان مخلوقاً ؟ فقال : كان
 إذا كتبَ الوحيَ غيرَ مخلوق ، وإذا لم يكتبْ كان مخلوقاً .
 قال بعضُ القصّاصِ يوماً : يا قومُ ، هل علمتم أنَّ
 الله قد ذكرَ الهَرِيسَةَ في القرآن لفضلها ؟ فقالوا : أين
 ذكرها ؟ فقال : اذْبَحُوا بَقَرَةَ (١) « واضربوه
 ببَعْضِهَا (٢) » ، « وفار التَّشُّور (٣) » : « ولترَكَبْنِ
 طبقاً عَنْ طَبَقِ (٤) » .

سأل رجلٌ سيفَويهِ القاصَّ : ما الغِسلِين (٥) في
 كتابِ الله تعالى ؟ فقال : على الخبيرِ سقطت . سألتُ
 عنه شيخاً من فقهاء الحجازِ مُنذُ أكثرَ من ستين سنةً
 فقال : لا أدري .

(١) الآية : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » « سورة البقرة » : ٦٧ .

(٢) سورة البقرة : ٧٣ .

(٣) سورة هود : ٤٠ .

(٤) سورة الانشقاق : ١٩ .

(٥) في الآية : « ولاطعام إلا من غسلين » سورة الحاقة : ٣٦ .

وجاءت امرأةٌ إلى واحدٍ منهم فقالت : يا جعفرُ ،
 مريمُ بنتُ عمرانَ كانت نبيّةً ؟ قال : لا يا فاعلةُ .
 قالت له : فأيش كانت ؟ قال : كانت ملائكةً .
 كان عبدُ الأعلى قاصّاً : فقال يوماً : تزعمون أنّي
 مُراءٍ ، وكنتُ والله أُمسِ صائماً ، وقد صُمتُ اليومَ
 وما أخبرتُ بذلك أحداً .

ومرَّ عبدُ الأعلى بقوم وهو يتمايل سُكراً فقال
 إنسان : هذا عبدُ الأعلى القاصُّ . فقال : ما أكثرَ من
 يُشَبِّهني بذلك الرجلِ الصّالحِ !

قال قاصٌّ بالمدينةِ في قصصه : ودَّ إبليسُ أن لكلِّ
 رجلٍ منكم خمسين ألفَ درهمٍ يَطغى بها . فقال
 رجلٌ من القوم : اللّهم أعطِ إبليسَ سؤله فينا .

حكى عن شيخٍ منهم ببغداد كان يُعرفُ بخُشنِ
 حَمَامَةِ أَنَّهُ كان يقول : خلفاءُ الله في الأرضِ ثلاثةٌ :
 آدمُ لقوله : « إِنِّي جاعِلُكَ في الأرضِ خليفةً » (١)

(١) هكذا كتبت والآية : وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في
 الأرض خليفة « سورة البقرة : ٣٠ .

وداودُ : « إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ (١) »
 وأبو بكر ، لقول الأمة : أَيَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ .
 والأمناءُ ثلاثةٌ : جبريلُ لَأَنَّهُ تَحَمَّلَ عَنْ اللَّهِ ، ومحمدٌ
 لَأَنَّهُ بَلَغَ الْأَمَةَ ، ومعاويةُ لَأَنَّهُ كَتَبَ الْوَحْيَ .

وبلغَ من عقله أَنه رأى عَقْرَباً فِي دَارِهِ فَقَالَ لَهَا :
 يَامَشْثُومَةَ ، اخْرُجِي لِانْقِطْلُكِ أُمِّي .

وكان مولعاً بِإِطْعَامِ الْكِلَابِ وَيَقُولُ إِذَا أَطْعَمَهَا :
 هَؤُلَاءِ أُولَى مِنَ الرَّافِضَةِ .

قال الأصمعي : اخْتَصِمَتِ الطِّفَاوَةُ وَبَنُو رَاسِبٍ
 فِي صَبِيٍّ يَدْعِيهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى ابْنِ عَرَبَاضٍ ،
 فَقَالَ : الْحُكْمُ فِي هَذَا بَيْنَ . قَالُوا : وَمَاهُو ؟ قَالَ :
 يُلْقَى الصَّبِيُّ فِي الْمَاءِ ، فَإِنْ طَفَا فَهُوَ طِفَاوِيٌّ ، وَإِنْ رَسَبَ
 فَهُوَ رَاسِبِيٌّ .

كَانَتْ أُمُّ عِيَّاشٍ تُحْسِنُ إِلَى سِفْوِيهِ وَتَتَعَهَّدُهُ ،
 فَكَانَ إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ قَالَ : يَامَعَاشَرَ الْمُسْلِمِينَ
 اذْعُوا اللَّهَ لَأُمِّ عِيَّاشٍ ، فَإِنَّهَا صَدِيقَتِي . فَبَلَغَ عِيَّاشُ

(١) سورة ص : ٢٦ .

فبعثَ إليه وقال : قد فضحتني بهذا القول فأمسِكْ عنه .
فقال : سُبْحَانَ اللَّهِ ! لو أنَّها معي في إزارٍ واحدٍ
ما كنتَ تخافُ عليَّ .

قال أبو العنْبَسِ : سمعتُ قاصّاً بالكوفة يقول في
قصصه : تحت رأسٍ وليَّ الله في الجنةِ سبعون ألفِ
مخدةً ، والمخدةُ سبعون ألفَ حجابٍ ، ما بين الحجابِ
والحجابِ سبعون ألفَ عامٍ . قال : فقلتُ : فإن سقطَ
من فوقِ تلكِ الفرشِ كيف يعملُ ؟ فقال : إلى النارِ
يا صفتعانُ .

قال بعضهم في قصصه : كان أبو جهلٍ خُوزيّاً (١) ،
فقيل له : بل هو قرشيٌّ مخزوميٌّ ولكنه كافرٌ . فقال :
يتكلمُ أحدُكم بما لا يعلم ، كلُّ كافرٍ خوريٌّ .

قال آخر في مجلسه : زعم قومٌ أني لا أحسنُ القرآنَ .
وهل في القرآنِ أشرفُ من : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » .
وأنا أقرؤه مثلَ الماءِ ، وابتدأُ وقرأ فلما بلغَ قوله : « ولمْ

(١) الخوز : تطلق على خوزستان ، وأهلها مشهورون قديماً بأنهم
أسقط الناس نفساً .

يَكُنْ لَهُ» أُرْتَجَّ عَلَيْهِ فَقَالَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْضِرَ خَشْمَهُ
السُّورَةَ فَلْيَحْضِرْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ .

دَفَعَ وَاحِدٌ قِطْعَةً إِلَى قَاصٍّ وَقَالَ : ادْعُ لِي وَلِأَبِي
بِالْمَغْفِرَةِ ، فَرَفَعَ الْقَاصُّ رَأْسَهُ وَقَالَ : ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ بِقِرَاطٍ ؟
وَأَرَأَيْتُمْ إِيَّاهُ !

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : فِي لَحِينِكَ هَرِيصَةٌ (١) فَقَالَ : هَذِهِ مِنْ
تِلْكَ الْجُمُعَةِ .

وَمَاتَ عَيْسَى بْنُ حِمَّادٍ الطَّلْحِيُّ وَقَدْ أَوْصَى بِأَكْثَرِ
مَنْ تُلِّسَ مَالَهُ ، فَأَجَازَ ذَلِكَ وَلَدُهُ وَامْرَأَتُهُ ، فَأَتَوْا أَبَا
أَسِيدٍ لِيَكْتُبَ بِذَلِكَ كِتَابًا ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا فُتَيَانُ أَمْسِكُمْ
قَدْ بَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ أَمْ لَا .

وَمَرَّ بِقَوْمٍ يَصِيدُونَ السَّمَكَ ، فَقَالَ : يَا فُتَيَانُ ؛
مَالِحٌ أَوْ طَرِيٌّ .

وَدَخَلَ يَوْمًا فِي الْمَاءِ إِلَى كَعْبِهِ فَصَاحَ : الْغَرِيقَ ،
الْغَرِيقَ . فَقِيلَ لَهُ : مَا دَعَاكَ إِلَى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : أُخِذْتُ
بِالْوَثِيقَةِ .

(١) الدقيق المهروس سبيداً أو المخلوط .

قيل لبعضهم : أيسرُك أن الله أدخلك الجنة وأنت شاة ؟ قال : نعم بشرط ألا يذهبوا بي إلى التيتاس .

جاء رجل إلى واحد منهم فقال : ما تقول في شرب النبيذ ؟ قال : لا يجوز . قال : فإن كان الرجل قد أكل المالح ؟ قال : قد رجعت مسألتك إلى الطب .

صلى سيفويه يقوم وسلم عن يمينه ولم يسلم عن يساره ، فقيل له في ذلك فقال : كان في ذلك الجانب إنسان لا أكله .

جاس أبو ضمضم ينسب قبائل العرب فقال له بعضهم : يا أبا ضمضم : آدم من أبوه ؟ فحملته استباح الجهل عنده بشيء من الأنساب على أن قال : آدم بن المضاء بن الخليل وأمه ضباعة بن قيرزام . فتضاحك القوم وثاب إليه عقله فقال : إننا نسبت أبا لآدم من أمه .

رأى بعض أهل نيسابور جنازة فقال : ربّي وربك الله لا إله إلا الله فسمعه آخر فقال : أخطأت . قل : اللهم ألبسنا العافية ، وتشاجرا فتحاكما إلى قاضٍ لهم فقال : لم يُصب واحد منكما . إذا رأيتم جنازة فقولوا : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خفيته .

كان عبدُ الأعلى القاصُّ يتكلَّفُ لكلِّ شيءٍ اشتقاقاً
فقال : الكافرُ إنما سُمِّيَ كافراً لأنَّه اكْتَفَى وَفَرَ .
قيل له : بماذا اكْتَفَى ومن أيِّ شيءٍ فَرَ ؟ قال : اكْتَفَى
بالشَّيْطَانِ وَفَرَ من الله . وقال : سُمِّيَ الزَّنْدِيقُ زِنْدِيقاً
لأنَّه وَزَنَ فَدَقَّقَ . وسُمِّيَ الْبَالِغُ بَالِغاً لأنَّه بَلَغَ وَغَمَّ .
وسُمِّيَ الدَّرْهَمُ دَرْهَمًا لأنَّه دَاءٌ وَهَمٌّ . وسُمِّيَ الدِّينَارُ
دِينَاراً لأنَّه دَيْنٌ وَنَارٌ . وسُمِّيَ الْعُصْفُورُ عُصْفُوراً لأنَّه
عَصَا وَفَرَ . وسُمِّيَ الطَّفَيْشَلُ طَفَيْشَلاً لأنَّه طِفْلا
وشال (١) . وسُمِّيَ نُوحٌ نُوحاً لأنَّه كان يَنْوَحُ على قومه .
وسُمِّيَ الْمَسِيحُ مَسِيحاً لأنَّه مَسَحَ الْأَرْضَ .

جاء رجلٌ إلى بعضهم فقال : أفطرتُ يوماً من شهرِ
رمضانٍ ساهياً ، فما عليَّ ؟ قال : تصومُ يوماً مكانه .
قال : فصمتُ . فأثيتُ أهلي وقد عملوا حَيْساً (٢) ،
فسبقتني يدي لِرَإِيهِ فَأَكَلْتُ مِنْهُ . قال : تقضي يوماً آخرَ . قال :
فقضيتُ يوماً مكانه ، وأثيتُ أهلي وقد عملوا هريساً

(١) الطفيل : نوع من الطعام أو المرق .

(٢) الحيس : طعام من التمر المعجون بالسمن .

فسبقتني يدِّي إليه فأكلت منه فما ترى ؟ قال : أرى ألا
تصومَ إلّا ويدُّك مغلولةٌ إلى عنقك .

ماتت أمُّ ابنِ عيَّاشٍ فأتاه سيفويهِ معزياً فقال :
يا أبا محمد ، عَظَّمَ اللهُ مَصِيبَتَكَ . فتبسَّ ابنُ عيَّاشٍ
وقال : قد فعل . فقال : يا أبا محمد ؛ هل كان لأُمِّكَ
ولدٌ ؟ فقام ابنُ عيَّاشٍ عن مجلسِهِ وضحك حتّى استلقى
على قَتَمَاه .

* * *

الباب العاشر

نَوَادِرُ الْقَضَاةِ لِمَنْ نَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ

اختصم رجلٌ وامرأةٌ إلى سوار ، فقال الزوجُ لسوار : أصلح الله القاضي ، لو عرفتها لبصقت في استيها . فقال سوار : اغرب ، عليك لعنة الله .

قال بعضهم : سمعت رجلاً جيباً به إلى التيمي القاضي ، فقال : يا معشر القاضي . كم يسجرونك إليّ بحالٍ أنتم واحدٌ وأنا سبعةٌ ، لا يجدون أحداً يظلمونك إلا غيري .

اختصم رجلان إلى قاضي ، فدنا أحدهما منه وقال له سرّاً : قد وجهتُ للدّارِ فراريج كسكرية (١) ، وحيلةٌ بلديّةٌ كذا وكذا . فقال القاضي بصوت عالٍ : كانت لك بينةٌ غائبةٌ انتظرناها ، ليس هذا ممّا يسارُ به .

(١) نسبة إلى كسكر ، كورة واسعة قريبة من البصرية ، ينسب إليها نوع من الفراريج يكثر بها .

قال محمد بن رباح القاضي : تقدم إلي قُشْمُ مع ابن أخيه ، فادّعى عليه خمسة آلاف دينار فقال قُشْمُ : نعم له عليّ ذلك من أي وجه . فقلت : قد أقررت له بالمال ، فإن شاء فسّر الوجه ، وإن شاء لم يفسّر . فقال ابن أخيه : أشهد أنه بريء منها إن لم أثبتتها . فقلت : وأما أنت فقد أبرأته إلى أن تُشسّيت ذلك . فما رأيت أضعف منهما في الحكم .

قال بعض القضاة الحمقى : قد عزمتُ على أن أخصي عدلين للشهادة على النساء .

لما خرج المأمونُ إلى فَمِ الصَّالحِ (١) لينقل بوران بنت الحسن ، إذا جماعة على الشَّطِّ وفيهم رجل ينادي بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين ؛ نعم القاضي قاضي جبّل (٢) جزاه الله عنّا أفضل ما جزى أحداً من القضاة ؛ فهو العفيفُ النظيف ، النَّاصِحُ الحبيب ، المأمونُ الغيب .

(١) فَمِ الصَّالحِ : نهر يستمد من دجلة ، ويمر بكورة تسمى الصلح بها منازل الحسن بن سهل .

(٢) جبلة بين النعمانية وواسط ، ويقاضيها يضرب المثل .

وكان يحيى بن أكرم يعرف قاضي جبّل وهو ولاه
وأشار به . وإذا هو القاضي نفسه ، فقال : يا أمير المؤمنين :
إن هذا الذي بنادي ويُسّني على القاضي هو القاضي نفسه .
فاستضحك المأمون واستطرفه وأقره على القضاء .
وقد كان أهل جبّل رفعوا عليه وذكروا أنه
سفيه حديد يعرض رؤوس الخصوم فوقّع المأمون :
يُسْنَقُ (١) إن شاء الله .

جلس أبو ضَمَضَم القاضي للحكم فلمح في
مجلسه رجلاً معه ألواح يعلّق نواذره فرماه بالدواة
وشجّه ثم أمر به إلى الحبس . فقال كاتبه : ما أكتب
قصته في الديوان . قال : اكتب : استرق السمّع
فأثبّعه شهاب ثاقب .

اختصم إلى أبي ضَمَضَم رجلان فأقر أحدهما لصاحبه
بما ادّعاه عليه وقال : أعزّ الله القاضي . إنّي كلما
طلبته لأوفّيه حقه لا أجده فلأنه رجل شريب منهمك
في الشرب أبداً عند أصحابه وأصدقائه ، وأنا رجل منعيل

(١) يشنق : يؤخذ من الشنق ، وهو الأرض .

أحتاج أن أكسب قوت عيالي ، ولا يتهيأ لي أن أنعطّل
 عن كسبي وأدور في طلبه . فأمر أبو ضمضم بحبس
 صاحب الحق . وقال لغريمه : اذهب فاشتغل بطلب
 معاشك ومكسبك ، فإذا حضرته ما تردّه عليه فاحمله
 إلى الحبس حتّى لا تحتاج أن تدور في طلبه . فبقي الرجل
 في الحبس ثمانين يوماً وصاحبه يحمل إليه الشيء بعد
 الشيء إلى أن بقي له عشرة دراهم فأرسل إلى القاضي
 وقال : إن رأيت أن تُفرج عني فلم يتبق لي على غريمي
 إلا عشرة دراهم فقال : لا والله لا تبرح حتّى تأخذ
 حقك !

غاب رجل في بعض أسفاره ، وطالت غيبته فأرجف
 به وبموته ، وأتى على ذلك مدّة ، وبلغ قاضي البلد
 جمال امرأته فخطبها وتزوجها فصار إليه أهل بيت
 زوجها وبنو أعمامه وقالوا : أعزّ الله القاضي . لم يصح
 عندنا موت هذا الرجل ونحن في شك منه ، فكيف
 نتزوج بامرأته ؟ فغضب القاضي وقال : أنتم تسخرون
 بالنساء . والله ما يغيب أحدكم إلا تزوجت بامرأته .

تقدّم رجلان إلى قاضيٍ وادّعى أحدهما على صاحبه
 درهماً من ثمن زيتانٍ اشتراه فأنكر واستحلفه فقال القاضي :
 قل : والله الذي لا إله إلاّ هو . فقال الرجل : أصلحك
 الله ! ليست هذه يمين أصحاب الرّياحين . قال القاضي :
 وما يمينهم ؟ قال : أن يقول أمّه فاعلةٌ إن كان لهذا عليه
 شيءٌ . قال القاضي : ما أشكُ في صدقك ، وغريم
 الدرهم من عنده .

قال الأصمعيّ : لقيتُ قاضي سبّذان (١) فقلت :
 على من تقضي ؟ فقال على الضّعيف .

كان أبو السّكينة قاضياً للحجاج بن يوسف وكان
 طويلاً فقال يوماً : بلغني أنّ الطّويل يكون فيه ثلاثُ
 خلل لا بدّ منها قال : قلت : ما هي ؟ قال : يَفْرَقُ من
 الكلاب ولا والله ما خلّق الله دابةً أنا لها أشدُّ فرّقا من
 الكلاب ، أو تكون في رجله قرحةٌ ولا والله ما فارقتُ
 رجلي قرحةً قط أو يكون أحمق وأنتم أعلم بقاضيكُم .

(١) سبّذان : بلدة على أربعة فراسخ من البصرة .

ولي عكابة النميري قضاء البحرين فالتأت أهلهأ عليه
فركب فرسه وأخذ رُمحه وقال : والله لا أقضي إلا
هكذا من خالفني طعنته برمحي .

كان بالبصرة قاضي ، فاحتكم إليه حائك في حمامة
فأخذها ومسح عينها ثم أرسلها . فقال الحائك : ما فعلت
أيها القاضي ؟ قال : تذهب إلى بيت صاحبها .

وتقدم إليه رجلان ومعهم امرأة فقال أحدهما :
أصاحتك الله . هذه امرأتي تزوجتها على ستين درهماً
وهذا يدعي أنه يتزوجها على سبعين فقال القاضي :
عليّ بشمانين . فقالا : أصاحتك الله جئناك لتقضي بيننا ،
لم نجعلك لتزايدينا . قال القاضي : فأنتما في شبري وبيع ،
قوما في لعنة الله .

تقدم إلى قاضي اثنان فادعى أحدهما على صاحبه
ثلاثة أرباع دينار . فقال القاضي : ما تقول ؟ قال له :
عليّ دينار غير ربع ، ففكر ساعة ثم قال : أما تستحيان

في هذا القدر . إنتما بينكما ثلث دينار ! قوما فاصطالحا
فالصالح خير .

واختصم إليه رجلان في ديك ذبحته أحدهما فقال :
ارفعوا إلى الأمير ، فإننا لا نخكم في الدماء .

وعزل يحيى بن أكتشم قاضياً كان له على حمص
من أهلها فلمّا قدم إليه رأى شيخاً وسيماً فقال له : من
جالست با شيخ ؟ فقال : أبي . فظن أن أباه من أهل
العلم . قال : فمن جالس أبوك : قال : مكحولاً (١)
قال : فمن جالس مكحول ؟ قال : سفيان الثوري .
قال : ما كان يقول أبوك في عذاب القبر ؟ قال : كان
يكرهه .

تزوج بعض الخصيان في زمن شريشج امرأة
فأت بولد فتبرأ الخصي منه وترافعا إلى شريشج . فألحق

(١) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الولدَ به وألزمه أن يحمله على عاتقه فخرج على تلك
الصورة واستقبله نخصي آخر . فقال له : انجُ بنفسك
فإنَّ شريحاً يريدُ أن يفرِّقَ أولادَ الزَّنى على الحصيانِ .

* * *

الباب الحادي عشر

نَوَادِرُ لِأَصْحَابِ النِّسَاءِ وَالزُّنَاةِ وَالزَّوَانِي

قال بعضهم لأعرابي : هل يَطْطَأُ أحدُكم عَشِيقَتَهُ ؟
 فقال : بأبي أنت وأُمِّي ذاك طالبُ ولدٍ ليس ذاك بعاشقٍ .
 سمعَ إسماعيلُ بنُ غزوانَ قولَ اللهِ تبارك وتعالى
 « قالتِ امرأةُ العزيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحقُّ أنا راودتُهُ
 عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ » ذَلِكُ لِيَعْلَمَ
 أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ » (١)
 فقال : لا وَاللَّهِ إِنِّي سَمِعْتُ بِأَعْزَلَ مِنْ الفَاسِقَةِ .
 ولما سَمِعَ بكثرةِ مُراودتها ليوسفَ واستعصامِهِ بِاللَّهِ
 قال : أَمَا وَاللَّهِ لو بِي مَحْتَكَّتْ (٢) .

أشارَ ضيفُ لقومٍ إلى بنتٍ لهم بِقُبْلَةٍ وهي خلفُ
 الحِجَابِ ، فلما سَمِعَ الشَّيْخُ قولَ الجاريةِ : إِنِّي إِذَا
 الطَّوِيلَةُ العُنُقِ قال : وَبَيْتِ اللَّهِ لَقَدْ أَشارَ إِلَيْهَا بِقُبْلَةٍ .

(١) سورة يوسف : ٥١ ، ٥٢ .

(٢) محك : لج في المنازعة .

أتى نوفلُ بابن أخيه وقد أحبلَ جاريةً لغيره فقال :
ياعدو الله ، هلاً إذا ابتليت بالفاحشة عزّلت . قال :
بلغني أن العزلَ مكروه . قال : أفما بلغك أن الزنى
حرام .

جاء رجلٌ إلى عابدين فسأله عن القبلة للصّائم ،
فقال : تُكْرهُ للحدث ، ولا بأسَ بها للمُسْنِن ، وفي
الليل لك فُسُوحَةٌ . فقال : إن زوجتها يعودُ إلى منزله
إيلاً فقال : يابن أخٍ ، هذا يُكْرهُ في شوالٍ أيضاً .

أخذ رجلٌ مع زنجية وكان قد أعطاه نصفَ درهم ،
فلما أتى به إلى الوالي أمرَ بتجريدِه وجعل يضربه
ويقول : ياعدو الله ، تزني بزنجية ! فلما أكثر
قال : أصلحك الله ، فبنصفِ درهمٍ ليشْ أجِدُ ،
ومن يعطيني ؟ فضحك وخلّاه .

وجد شيخٌ مع زنجية في ليلة الجمعة في مسجدٍ ،
وقد نَوَّمَهَا على الجِنازة (١) فقبل له : قَبِّحْكَ الله
ياشيخ . فقال : إذا كنت أشتهي وأنا شيخٌ لا ينفعني

(١) الجنازة - بكسر الجيم - السرير الذي يحمل عليه الميت .

شبابكم ، قالوا : فزنجية : قال : من يزوجني منكم
بعريسة ؟ قالوا : ففي المسجد ! قال : مَنْ يُفَرِّغُ لي
بيته منكم ساعة ؟ قالوا : فعلى جنازة ! قال : من يعطيني
سريره . قالوا : فليلة جمعة قال : إن شئتم جئكم
ليلة السبت فضحكوا منه وخلصوه .

وكان بعضهم في مجلس شرب فيد مغنيات فقامت
واحدة منهن فكانت مليحة ، فوضعت الطبل وقعدت
عليه ، فقال : يا اخوتي . ما كنت أحسب أنني أحب يوماً
ما أن أكون طبلًا حتى الساعة !

كان بشيراز رجل وله زوجة فاسدة ، فنزل به
ضيف فأعطاهم دراهم وقال لها : اشترى لنا رؤوساً
نتغدى بها ، فخرجت المرأة ولقيها حريفاً (١) فأدخلها
إلى منزله وأحسن بهما الجيران ، فرفعوهما إلى السلطان .
وضربت المرأة وأركبت توراً أيطاف بها في البلد
فلمّا أبطأت على الرجل خرج في طلبها ، فرآها على تلك
الحال فقال لها : ما هذا ويملك ؟ قالت : لاشيء انصرف

(١) الحريف : العامل في الحرفة ، والمقصود هنا القواد .

أنت إلى البيت فإنتما بقي صمّان : صف العطارين وصف
الصيادلة ثم أشتري الرعوس وأجيئك .

قال، بعضهم : مررت ذات يوم بشارع السريّ بسرّ
من رآى فرأيت امرأتى تمشي فظننتها من البادية ،
فتعرضت لها وقلت : إلى أين يقصد الغزال ؟ فقالت لي :
إلى مغزلها يا قليل المعرفة بأصحابه .

كان فلان مفلساً فقال لامرأة : أنا أحبك . قالت :
وما الدليل على ذلك ؟ قال : تعطيني قفيز دقيق حتى
أعجنه بدموع عيني . قالت : على أن تجيء بخبزنا إلينا .
قال : ياسيديتي ، فأنت تريدين خبازاً لا تريدين عاشقاً .

تزوج رجل بشيراز امرأة فلما كان في اليوم الخامس
من زفافها ولدت ابناً ، فقام الرجل وصار إلى السوق
واشترى لوحاً ودواة فقالوا له : ما هذا ؟ قال : من يؤلّد
في خمسة أيام يذهب إلى الكتّاب في ثلاثة أيام .

* * *

الباب الأول

(٥) من الجزء الخامس من نثر الدر .

كَلَامُ زِيَادٍ وَوَلَدِهِ (١)

قال : **إِنْ تَأَخَّرَ جَزَاءُ الْمَحْنِ لَوْمْ ، وَتَعَجَّلَ عَقُوبَةُ الْمُسِيءِ دَنَاءَةٌ .** وَالتَّيَبُّتُ فِي الْعُقُوبَةِ رَبُّمَا أَدَّى إِلَى سَلَامَةٍ مِنْهَا ، وَتَأَخُّيرُ الْإِحْسَانِ رَبُّمَا أَدَّى إِلَى نَدَمٍ لَمْ يُسَكَّنْ صَاحِبُهُ أَنْ يَتَلَفَاهُ .

وَقَالَ زِيَادٌ لَوْ أَنَّ لِي أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَلِي بَعِيرٌ أَجْرَبُ لَقَمْتُ عَلَيْهِ قَامَ رَجُلٍ لَا يَمْلِكُ غَيْرَهُ . وَلَوْ أَنَّ لِي عَشْرَةَ دِرْهَمٍ لَا أَمْلِكُ غَيْرَهَا ، وَلِزَمَنِي حَقٌّ لَوْضَعْتُهَا فِيهِ .

وَقَالَ لِابْنِهِ : عَلِيَّكَ بِالْحِجَابِ ، فَإِنَّمَا تَجَرَّأَتِ الرَّعَاةُ عَلَى السَّبَاعِ بِكَثْرَةِ نَظَرِهَا إِلَيْهَا .

وَنَحَطَبَ فَقَالَ : **الْأُمُورُ جَارِيَةٌ بِأَقْدَارِ اللَّهِ ، وَالنَّاسُ مُتَصَرِّفُونَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ ؛ وَهُمْ بَيْنَ مُتَسَخِّطٍ وَرَاضٍ ،**

(١) وَلَدَ زِيَادٌ : هُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ، وَلَدَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ

٨٢٨ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٨٦٧ .

وكل يجري إلى أجلٍ وكتابٍ ، ويصيرُ إلى ثوابٍ أو
عقابٍ . ألا ربَّ مسرورٍ بنا لا نسرهُ ، وخائفٍ ضلُّنا
لا نضرهُ .

وكان في مجلسه الذي يأذنُ فيه الناسَ أربعةُ أسطرٍ
في نواحيه ، أولُها : الشدةُ في غيرِ عنفٍ ، واللينُ في
غيرِ ضعفٍ . والثاني : المُحسنُ يُجازى بِمُحسنه ،
والمسيءُ يكافأُ بِإساءته . والثالثُ : العَطَيَاتُ وَالْأَرْزَاقُ
في إبتائِها وَأوقَاتِها . والرابعُ : لا احتجابَ عن صاحبِ
ثَغْرِ ولا طارقِ ليلٍ .

قدمَ رجلٌ خصمًا إلى زياد في حقٍّ له عليه ،
فقال : إن هذا يُدلىُّ بِخاصَّةٍ ذكرَ أنها له منك . فقال
زيادُ : صدقَ . وسأُخبرُك بما ينفعه عندي من مودته
إن يكنِ الحقُّ له أَخَذُك به أَخَذًا عَنيفًا ، وإن يكنِ الحقُّ
لَكَ عليه أَقْضِي عليه ثم أَقْضِي عنه .

وقال : ليس العاقلُ الذي يَحْتالُ لِلْأَمْرِ إِذَا وَقَعَ ،
ولكن العاقلُ الذي يَحْتالُ لِلْأَمْرِ أَلَّا يَقَعَ فِيهِ .

قالوا : قدم زيادُ البصرةَ (١) والياً لمعاويةَ والفسقُ
بالبصرةَ ظاهرٌ فاشٍ فمخطبَ خطبةً بترأء لم يحمد الله فيها .
ويُقالُ : بل قال : الحمدُ لله على أفضاله ، ونسألُه
المزيدَ من نِعَمِهِ ولمِ كرامِهِ . اللهم كما زدتنا نعماً
فألهمنا شكراً . أما بعدُ :

فإن الجاهليةَ الجهلاءَ ، والضلالةَ العمياءَ والغَيَّ
المُوفدَ لأَهله على النارِ ، ما فيه سفهاؤُكم ، ويشتملُ
عليه حُلُمُاؤُكم ، من الأُمُورِ العظامِ ، ينبتُ فيها الصغيرُ ،
ولا يتعمشُ منها الكبيرُ . كأنتكم لم تقرأوا كتابَ
اللهِ ، ولم تسمعوا ما أعدَّ اللهُ من الثوابِ الكريمِ لأهلِ
طاعته ، والعذابِ الآليمِ لأهلِ معصيته في الزمنِ السرمديِّ
الذي لا يزولُ .

أَتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسَدَّتْ مَسامعُه
الشهواتُ ، واختارَ الفانيةَ على الباقيةِ ولا تذْكُرُونَ أنكم
أُحْدِثْتُمْ في الإسلامِ الحَدَثَ الذي لم تُسَبِّقُوا لِيهِ :
مِنْ تَرَكْكُمْ الضعيفَ يَتَشَهَّرُ ، ويُوْخَذُ ماله ،

(١) البصرة : بلد بالعراق ، وأحد موانيه .

الم يكن منكم نهاية تمنع الغواية عن دلج الليل ،
 وغارة النهار ؟ قرئتم القراية ، وباعدتم الدين .
 تعتذرون بغير العذر وتغضون على المختلس ، كل
 امرئ منكم يذُبُّ عن سفيهه صنيع من لا يخاف
 عاقبة ، ولا يرجو معاداً . ما أنتم بالحلما ، ولقد
 اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم
 دونهم ، حتى انتهكوا حرَم الإسلام ، ثم أطرقوا
 وراءكم كئوساً في مساكن الرب . حرَم علي
 الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هلماً وإحراقاً ،
 لاني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح لـ لا بما صلح به
 أوله : لين في غير ضعيف ، وشدة في غير عنيف .
 ولاني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولى ، والمقيم بالطاعن ،
 والمقبل بالمبسر ، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى
 يتلقى الرجل منكم أخاه فيقول : « انجُ سعد فقد هلك
 سعيد » (١) أو تستقيم لي قناتكم .

(١) أصل المثل : أنه كان لضبة بن أد ابنان : سعد وسعيد ، فخرجا
 يطلبان إبلاهما ، فرجع سعد ، ولم يرجع سعيد فكان ضبة إذا رأى سواداً
 تحت الليل قال : سعد أم سعيد .

إِنْ كَلْبَتَةَ الذَّيْبِ بَلْقَاءُ (١) مشهورة ، فإذا تعلقتُم
عليَّ بكذبة فقد حلَّ لكم معصيتي . مَنْ نَقِبَ عليه
منكم فأنا ضامنٌ لما ذهبَ منه ، فإياي ودلجَ الليل ،
فإنِّي لا أوتى بمُدْلِج (٢) إلا سفكتُ دمه وقد أجالتكمُ
في ذلك بقدر ما يأتني الخبرُ إلى الكوفة ، ويرجعُ إليكم .
ولِإيائي ودعوى الجاهلية (٣) ، فإنِّي لا أجدُ أحداً دعَا
بها إلاّ قطعْتُ لسانه . وقد أحدتُسنمُ أحدائلمُ تكن ، وقد
أحدتُنا لكلِّ ذنبٍ عقوبةٌ ؛ فمن غرقَ قوماً غرقناه ،
ومن أحرَقَ على قومٍ أحرَقناه ومن نَقِبَ على قومٍ بيتاً
نَقَبْنَا عن قلبه ، ومن نَبَشَ قبراً دفنَّاه فيه حيّاً كفواً
عني أيديكم ، وألْسنتكمُ أكُفَّ عنكم يدي ولساني .
ولا يظنُّه من أحدكمُ خلافُ ما عليه عامتكمُ إلاّ ضربتُ
عنقه . وقد كانت بيني وبين أقبامٍ إحنٌ (٤) فجعلتُ
ذلك دبرَ أذُنِي ، وتحتَ قلبي ، فمن كانَ منكم

(١) بلقاء : البلق : السواد والبياض . والمعنى : واضحة و ظاهرة .

(٢) المدلج : من دلج : سار أول الليل .

(٣) المراد هو التعصب الأعمى للقبيلة .

(٤) الإحن : جمع إحنة : الحقد .

مُحْسِنًا فَلْيَزِدْهُ إِحْسَانًا ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيُرْتَدِعْ
عَنْ إِسَاءَتِهِ . إني لو علمتُ أن أحدكم قد قتلَهُ السُّلَّ
مَنْ بَغْضِي لم أكشف عنه قناعاً ، ولم أهلك له شيئاً حتى
يُبدِي لي صفحته ، فإذا فعل لم أنظره فاستأنفوا
أُمُوركم ، وأعينوا على أنفسكم ، فربُّ مُبْتَلِسٍ
بِقُدُومنا سيَّسِرُ ، ومسرورٍ لقُدُومنا سيَّبِتِسُ .

أيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَامِعَةً ، وَعِنَكُمْ ذَادَةً ،
نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَاهُ ، وَنَدُودُكُمْ
بِفِيءِ اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا . فلنا عليكم السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فيما
أَحْبَبْنَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فيما وَلَيْنَا . فاستَوْجُوا
عَدْلَنَا وَفِيئتنا بِمُناصحتِكُمْ لنا .

واعلموا أنَّي مهتمٌّ بقصرت عنه فإن أقصرت عن ثلاث :
لستُ مُحتجِباً عن طالبِ حاجةٍ منكم ، ولو أتاني طارقاً
بِإِلٍّ ، ولا .. أبساً عطاءً ولا رزقاً عن إِيَّانه ، ولا
مُجسِّراً (١) لكم بعثاً ، فادعوا الله بالصلاح لا بمُتكم ،
فإنهم ساستُكم المؤدَّبون ، وكهفُكم الذي إليه تأوُّون .

(١) يقال : جمر الجيش أي حبسه .

ومتى صلحوا تصالحوا ، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشدّ لذلك غيظكم ، ويطولُ لذلك حزركم ، ولا تدركوا حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيهم كان شراً لكم . أسألُ الله أن يعينَ كلّا على كل .

وإذا رأيتموني أنفذُ فيكم الأمر فأندوه على أذلاله (١) ، وأبسمُ الله إن لي فيكم لصراً كثيرةً فليحذر كل امرئ أن يكون من صرعاي .

قال : فقام عبدُ الله بنُ الأَهمم ، فقال : أشهدُ أيُّها الأميرُ لقد أوتيتَ الحكمةَ وفصلَ الخطابِ . فقال له : كذبت . ذاكَ نبيُّ الله داودُ صلى الله عليه وسلم . فقامَ إليه الأحنفُ بنُ قيسٍ ، فقال : إنما الثناء بعدَ البلاء ، والحمدُ بعدَ العطاء ، وإنا لا نُشني حتى نبشلي ، ولا نحمدُ حتى نعطي .

فقال زياد : صدقت .

قال : فقام أبو بلال يهمسُ وهو يقولُ : أنبأنا اللهُ — جل وعز — بغير ما قلت . قال اللهُ تبارك وتعالى :

(١) على أذلاله : أي على وجوهه وطرقه . وأذلال جمع ذل بالكسر .

« وإبراهيمَ الذي وَفَّى . ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى .
وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ
يُسْرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى (١) » وأنت تَزْعُمُ أَنَّكَ
تَأْخُذُ الصَّحِيحَ بِالسَّقِيمِ ، والمَطِيعَ بِالْعَاصِي ، والمُقْبِلَ
بِالسُّبْرِ .

قال زيادٌ لحاجبه : ياعجلاً ، إنِّي وليتُكَ هذا
البابَ ، وعزلتُكَ عَن أربعةٍ : عزلتُكَ عن هذا المَنَادِي
إِذَا دَعَا لِلصَّلَاةِ ، فلا سبيلَ لَكَ عليه ، وعن طَارِقِ
الليل ، فشرُّ مَا جَاءَ بِهِ . ولو جَاءَ بِخَيْرٍ مَا كُنْتُ مِنْ حَاجِبِهِ .
وعن رسولِ صَاحِبِ الثَّغْرِ (٢) فَإِنْ إِبْطَاءُ سَاعَةٍ يُفْسِدُ
تَدْبِيرَ سَنَةٍ فَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُ فِي لِحَافِي . وعن هذا
الطَّبَاخِ إِذَا فَرَّغَ مِنْ طَعَامِهِ فَإِنَّهُ إِذَا أُعِيدَ عَلَيْهِ التَّسْخِينُ فُسِدَ .
وقال يُعْجِبُنِي مِنَ الرَّجُلِ إِذَا سِيمَ خُطَّةَ الضَّيْمِ أَن
يَقُولَ : لَا بَمَلٍّ فِيهِ وَإِذَا أَتَى نَادِي قَوْمٍ عَلِمَ أَيْنَ يَنْبَغِي
لِثَلْهُ أَن يَجْلِسَ ، فَجَلَسَ . وَإِذَا رَكَبَ دَابَّةً حَمَلَهَا عَلَى
مَا يُحِبُّ ، وَلَمْ يَتَّبِعْهَا إِلَى مَا يَكْرَهُ .

(١) سورة النجم من ٣٧ - ٤١ .

(٢) صَاحِبِ الثَّغْرِ : قائد الجيش المواجه للعدو .

وكان حارثةُ بنُ بدر (١) الغُدانيُّ قد غلبَ على
 زياد — وكان الشرابُ قد غلبَ عليه (٢) — فقليلٌ لزيادٍ :
 إن هذا قد غلبَ عليك وهو مُستهترٌّ بالشرابِ فقال زياد :
 كيف باطّراح رجلٌ هو يُسائِرني ؟ قد دخلتُ عليه
 العراقَ ، فلم يصبكُ ركابي ركاباه وماراكبني قطُّ
 فمستُ رُكبتِي ركبتهُ ولا تقدمني فنظرتُ إلى قفاه ،
 ولا تأخرَ عني فلويتُ عنقي إليه ، ولا أخذَ عليَّ الشمسَ
 في شتاءٍ قطُّ ، ولا الرّوحَ في صيفٍ قطُّ ، ولا سألتُهُ عن
 علمٍ إلا ظننتُهُ لم يُحسنَ غيره .

فلما مات زياد جفاهُ عبيد الله ، فقال له حارثةُ :
 أيها الأميرُ . ما هذا الجفاهُ . مع معرفتكُ بالحال عند أبي
 المغيرة ؟ فقال له عبيدُ الله : إن أبا المغيرة كان قد برع
 برُوعاً لا يلحقهُ معه عيبٌ وأنا حدثٌ ، وإنما أنسبُ
 إلى مَنْ تغلّبَ عليَّ ، وأنت رجلٌ تُديمُ الشرابَ ، فمتى

(١) حارثه بن بدر من فرسان بني تميم ووجوهها وساداتها . وكان
 زياد مكرماً له قابلاً لرأيه فلما ولي عبيد الله بن زياد آخر حارثة بعض التأخير .
 (٢) أي على حارثة بن بدر .

قَرَّبْتُكَ ، فظهرت رائحةُ الشرابِ منك لم آمَنُ أن
يُظَنَّ بي . فدعِ النبيذَ ، وكُنْ أولَ داخلٍ ، وآخرَ
خارجٍ .

فقال له حارثةُ : أنا لأدعُهُ لمن يملكُ ضرِّي ونفعي .
أفأدعُهُ للحال عندك ؟ قال : فاختَرُ من عملي ما شئت .
قال : تُولِّيني رامهرمز (١) فإنها أرضٌ عَدِيَّةٌ (٢)
وسُرْقٌ (٣) وإنَّ بها شراباً وُصِفَ لي عنه . فوَلَّاهُ إِيَّاهُ .
وفيه قيل :

أحارِ بنُ بلسٍ قدْ وَلَّيتَ ولايةً
فكُنْ جُرْداً فيها تَخُونُ وتَسْرِقُ (٤)

• • •

-
- (١) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .
(٢) أرضٌ عَدِيَّةٌ : العذاة : الأرض الطيبة البعيدة من الماء ، والوخم .
(٣) سُرْقٌ : إحدى كور الأهواز .
(٤) قائل هذا البيت أبو الأسود الدؤلي من قصيدة يشبع بها حارثة
ابن بدر . وحرار : منادى مرخم .

الباب الثاني

كلامُ الحَجَّاجِ (١)

نَحَطُّبُ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ . مَنَ أَعْيَاهِ دَاوُّهُ
فَعَنْدِي دَوَاؤُهُ ، وَمَنْ اسْتَبْطَأَ أَجْلَهُ ، فَعَلِيَّ أَنْ أَعْجَاهُ .
وَمَنْ ثَقُلَ عَلَيْهِ رَأْسُهُ وَضَعْتُ عَنْهُ ثِقْلَهُ ، وَمَنْ اسْتَطَالَ
مَاضِي عَمْرِهِ قَصَّصْتُ عَلَيْهِ بَاقِيَتَهُ .

إِنَّ لِلشَّيْطَانِ طَيِّفًا (٢) ، وَلِلسُّلْطَانِ سَيِّفًا ، فَمَنْ
سَقَمَتْ سِرِيرَتُهُ صَحَّحْتُ عَقُوبَتَهُ ، وَمَنْ وَضَعَهُ ذَنْبُهُ
رَفَعْتُ صَلْبَهُ ، وَمَنْ لَمْ تَسْعَهُ الْعَافِيَةُ (٣) لَمْ تَضُقْ عَنْهُ

(١) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفى . ولي الحجاز سنين ،
ثم العراق ، وخراسان عشرين سنة ، وأقره الوليد على عمله بعد أبيه عبد
الملك بن مروان . توفي في رمضان سنة ٨٩٥ عن خمسين سنة .

(٢) المراد بطيف الشيطان : المس من الشيطان ، وقولهم : طيف
من الشيطان كقولهم : لمس من الشيطان .

(٣) العافية : السلامة .

الهلكة . ومن سبقتهُ بادرةُ (١) فسبِقَ سبِقَ بدنَه
بسفكِ دمه .

إني أنذرُ ثم لا أنظرُ (٢) ، وأحذرُ ثم لا أعذرُ ،
وأتوعدُ ثم لا أغفِرُ إنما أفسدكم ترئيقُ (٣) ولانكم .
ومن استرخى لبيته (٤) ساء أدبه .

ونخطب الحجاج يوماً فقال في خطبته : والله ما بقي
من الدنيا إلا مثلُ ماضِي ، وهو أشبهُ به من الماءِ بالماء .
والله ما أحبُّ أن ماضِي من الدنيا لي بعمامتي هذه .

وقال على المنبرِ يوماً : والله لألحونكم (٥) لحو
العصا ، ولأعصبنكم عصبَ السِّلَمةِ ، ولأضربنكم

(١) بادرة فمه : البادرة ما يخرج من الفم من غير قصد في غضب
أو غيره ، والمراد بسبق بدنَه سفك دمه : سرعة قتله انتقاماً منه .

(٢) نظره : تأنى عليه ، وأنظره : أخره .

(٣) الترئيق : كسر جناح الطائر من داء أو رمي حتى يسقط والمراد :
الضعف في الأمر .

(٤) اللب : ما ينشد في صدر الدابة أو الناقة ، ويكون للرجل
والسرج يمتعها من الاسترخاء .

(٥) لألحونكم : لحا العصا : قشرها .

ضربَ غرائبِ الإبل (١) . يا أهلَ العراقِ ، يا أهلَ
الشَّقَاقِ والنَّفَاقِ ، ومساوئِ الأخلاقِ . إني سمعتُ
لكم تكبيراً ليس بالتكبيرِ الذي يُرادُ به اللهُ في التَّغْيِبِ ،
ولكنَّه التَّكْبِيرُ الذي يُرادُ به التَّهْيِيبُ . وقد عرفنا أنها
عجاجةٌ تحتها قصفٌ . أي بَني اللَّكِيعة (٢) ، وعبيدُ
العصا ، وأبناءُ الإماء . إنما مثلي ومثلكم ماقال ابنُ
برَاقَةَ الحمداني (٣) :

وكنْتَ إذا قومٌ غزوني غزوتهم
فهل أنا في ذا يالَ هَمْدانَ ظالمٌ ؟

متى تجمعُ القلبَ اللدكيَّ وصارماً
وأنفأَ حميماً ، تعجّنُكِ المظالمُ

أما والله لا تفرغُ عصاً عصاً إلا جعلتها كأمسِ
الذَّاهِبِ .

(١) غرائبِ الإبل : هذا مثل ضربه لنفسه مع رعيته يهددهم ؛ وذلك
أن الإبل إذا وردت الماء فدخلت عليها فرية من غيرها ، ضربت وطردت
حتى تخرج عنها .

(٢) المراد وصفهم بالثوم .

(٣) هو عمرو بن براقَةَ بن براق .

قال مالكُ بنُ دينارٍ : رَبِّمَا سَمِعْتُ الْحِجَاجَ يَذْكُرُ
 مَا صَنَعَ بِهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَمَا صَنَعَ بِهِمْ ، فَيَقَعُ فِي نَفْسِي
 أَنَّهُمْ يَظْلُمُونَهُ لَبِيَانَهُ ، وَحَسَنَ تَخْلُصِهِ لِلْحِجَاجِ .
 وَنَخِطَبَ الْحِجَاجُ مَرَّةً فَقَالَ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الْغَنَى غِيًّا
 فَأَجْتَنِبَهُ ، وَارْزُقْنِي الْهَيْدَى هَيْدَى فَأَتَّبِعَهُ ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى
 نَفْسِي فَأُضِلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا .

قال مالكُ بنُ دينارٍ : غَدَوْتُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، فَجَلَسْتُ
 قَرِيبًا مِنَ الْمَنبَرِ ، فَصَعِدَ الْحِجَاجُ ثُمَّ قَالَ : أَمْرُؤُ زَوْرٌ
 عَمَلُهُ (١) ، وَأَمْرُؤُ مُحَاسِبُ نَفْسِهِ ، أَمْرُؤُ فَكَّارٌ فِيمَا
 يَقْرُؤُهُ غَدَا فِي صَحِيفَتِهِ ، وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ . أَمْرُؤُ كَانَ عِنْدَ
 قَلْبِهِ زَاجِرٌ ، وَعِنْدَ هِمَّتِهِ أَمْرٌ ، أَخَذَهُ بَعْنَانُ قَلْبِهِ كَمَا يَأْخُذُ
 الرَّجُلُ بِخِطَامِ جَسَمَانِيهِ ، فَإِنْ قَادَهُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَبِعَهُ ،
 وَإِنْ قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَفَّهُ .

وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّا وَاللَّهِ مَا خُلِقْنَا لِلْفَنَاءِ ، وَإِنَّمَا خُلِقْنَا
 لِلْبَقَاءِ ، وَلَكِنْ نُنْقَلُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ .

(١) زور عمله : حسنه .

وخطب يوماً فقال : إن الله أمرنا بطلبِ الآخرةِ ،
وكفانا مؤونةَ الدنيا ، فليتنا كُفينا مؤونةَ الآخرةِ ،
وأمرنا بطلبِ الدنيا .

فقال الحسنُ : ضالةُ المؤمنِ نخرجتُ من قلبِ المنافقِ .

وأهدى إلى عبد الملك (١) فرساً وبغلةً وكتب إليه :
وجهتُ إلى أمير المؤمنين فرساً سهلاً الخدَّ ، حسنَ
القدِّ ، يسبقُ الطرفَ ، ويستغرقُ الوصفَ . وبغلةً
هواها زمامُها وسوطُها .

وكان يقول : العفو عن المُقرِّ لا عن المُصرِّ .

وقال : الكوفةُ امرأةٌ حسناءٌ عاَطل (٢) ، والبصرةُ
عجوزٌ درداءٌ (٣) ، قد أُوتيتُ من كُلِّ شيءٍ .

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد ،
من أعظم الخلفاء ودهاتهم . استعمله معاوية على المدينة وسنه ١٦ سنة ،
وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٨٦٥ .

(٢) العاَطل : الخالية من الزينة .

(٣) المجوز الدرداء : الدرداء : مؤنث أدرد ، والأدرد : رجل

ليس في فيه سن .

وقال له بعضُ ولاةِ الحجاز : إن رأى الأميرُ أن يستهديني ما شاء فإيفعلُ .

قال : أستهديك بغلةً على شَرطِي . قال : وما شَرطُك ؟ قال : بغلةٌ قصيرةٌ شعرُها ، طويلٌ عِنانُها ، همُّها أَمامُها ، وسوطُها بلِجامُها ، تستبينُ فيها العِلقةُ ، ولا تهزُّها الرِّكبةُ .

وقال يوماً لجلسائه : ما يذهبُ الإِعياءُ ؟ فقال بعضهم : التمرُّ . وقال آخر : التمرُّحُ وقال آخر : النومُ . قال : لا ، ولكن قضاءُ الحاجةِ التي أُعْيِيتا بسببها .

كتب الحجاجُ إلى قُتَيْبَةَ : لا تهجِّنْ بلاءَ أحدٍ من جنُودِكَ وإن قلَّ ؛ فإنك إذا فعلت ذلك لم يرغبُ أحدٌ منهم في حُسْنِ البلاءِ . وأعطِ الذي يَأْتِيكَ بما تكرهه صادقاً مثل الذي يَأْتِيكَ بما تحبُّ كاذباً ، فإنك إن لم تفعل غرورك ولم يَأْتوك بالأمر على وجهه . واعلمُ أنه ليس لمكذوبٍ رأيٌ ، ولا في حسودٍ ، حيلةٌ .

وقال لكاتبه : لا تجعلَنَّ مالي عند من لا أستطيع أخذه منه . قال : ومن لا يستطيع الأميرُ أن يأخذه منه ؟ قال : المفلسُ .

وكتب الوليدُ بن عبد الملك إليه يأمره أن يكتب
إليه بسيرته . فكتب إليه : إني قد أيقظتُ رأيي ، وأُمتُّ
هواي ، فأدّيتُ السيّد المطاع في قومه ، وولّيتُ الحرب
الحازم في أمره ، وقلّدتُ الخراج الموفّر لأمانته ،
وقسمتُ لكلّ خصمٍ من نفسي قسماً أعطيه حظّاً من
نظري ، ولطيف عنايتي ، وصرفتُ السيف إلى النّطف (١)
المسيء والثواب إلى المُحسن البريء ، فخاف المُريب
صوالة العقاب ، وتمسّك المُحسنُ بحظّه من الثواب .
وقال : لأطلبنّ الدنّيا طلب من لا يموتُ أبداً
ولأنّني قد سمّنتُ كمن لا يعبرُ أبداً .

قال بعضهم : رأيتُ الحجاج وعنبسة بن سعيد
واقفين على دجلة . فأقبل الحجاجُ ، وقال : يا عنبسة ،
إذا كنت في بلد يضعفُ سلطانه ، فأخرجْ عنه ؛ فإن
ضعف السلطان أضرَّ على الرعية من جُوده .

وكان يقول : خيرُ المعروف ما نعيش به عثرات
الكرام .

(١) النطف : الميب . يقال : هم أهل الريب والنطف : التلطف بالميب .

وضرب رجلاً فقال : اعتديت أيُّها الأميرُ . فقال :
 ((فلا عُدُوَّانٍ إلَّا على الظالمين)) (١) .

وقف رجلٌ له فقال : أصالح اللهُ الأميرَ ، جئني
 جَنانَ في الحَيِّ ، فأخذتُ بحريزته ، وأسقط عطائي .
 فقال : أمّا سمعت قول الشاعر :

جانِيكَ مَنْ يَجْعَلِي عَلَيْكَ وَقْدٌ
 تُعْذِي الصَّحاحَ مَبَارِكُ الْجُرْبِ
 وَلَرُبَّ مَأْخُوذٍ بِذَنْبٍ صَدِيقٍ—
 وَنَجَا الْمُقَارِفُ صَاحِبُ الذَّنْبِ

فقال الرجلُ : كتابُ اللهِ أولى ما اتَّبِع . قال الله تعالى :
 ((مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعِنَا
 عَنْده)) (٢) . فقال الحجاجُ : صدقت . وأمر بردَّ عطاءه .

وقيل له — وقد احتُضر — : ألا تَتُوبُ ؟ فقال :
 إن كنت مُسِيئاً فليستْ هذه ساعةُ التَّوْبَةِ ، وإن كنتُ
 مُحْسِناً فليستْ ساعةُ الْفِرْعِ .

(١) سورة البقرة : ١٩٣ وأولها « فأن انتهوا فلا »

(٢) سورة يوسف : ٧٩ وأولها : « قال معاذ الله » .

وقال على المنبر : اقدعوا هذه الأَنفُسَ فانها أَسْأَلُ
شيءٍ إِذَا أُعْطِيَتْ ، وأَعْصَى شيءٍ إِذَا سُئِلَتْ . فرحم
اللهُ أَمْرَأً جعل لنفسه خطاماً وزماماً ، فقادها بخطامها
إلى طاعة الله ، وعَطَفَها بزمامها من مَعْصِيَةِ الله ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ
الصَّبرَ عن محارمه أَيْسَرَ من الصَّبرِ على عذابه .

وكان يقول : إِنَّ أَمْرَأً أَتَتْ عَلَيْهِ سَاعَةٌ من عُمْرِهِ
لم يَذْكُرْ رَبَّهُ ، ولم يَسْتَغْفِرْ من ذَنْبِهِ ، أو يَفْكَرْ في مَعَادِهِ .
لجَدِيرٌ أَنْ تَطُولَ حَسْرَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

كان الْحِجَاجُ إِذَا اسْتَغْرَبَ صَحِيكاً وَالتَّى بَيْنَ
الاسْتِغْفَارِ . وكان إِذَا صَعِدَ الْمَنْبَرَ تَلَفَّحَ بِمِطْرَفِهِ (١) ، ثُمَّ
تَكَاسَمَ رَوِيداً فَلَا يَكَادُ يُسْمَعُ مِنْهُ ، ثُمَّ يَتَزَيَّدُ فِي الْكَلَامِ
حَتَّى يُسْجَرُ يَدُهُ مِنْ مِطْرَفِهِ يَزْجُرُ الزُّجْرَةَ فَيَقْرَعُ بِهَا
أَقْصَى مَنْ فِي الْمَسْجِدِ . وَكَانَ يُطْغِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى
أَلْفِ مَائِدَةٍ ، عَلَى كُلِّ مَائِدَةٍ ثَرِيدٌ وَجَنْبٌ مِنْ شِوَاءٍ ،
وَسَمَكَةٌ طَرِيَّةٌ . وَيَطَافُ بِهِ فِي مِحْفَظَةٍ (٢) عَلَى تِلْكَ

(١) والمطرف : رداء من خبز مربع ، ذو أعلام ، والمطرف من
الثياب : ما يجعل في طرفيه علمان .

(٢) المحفة بالكسر مركب من مراكب النساء كالهودج إلا أنها
لا تقب كالهودج .

الموائد ليتفقد أمور الناس ، وعلى كل مائدة عشرة^١ . ثم يقول : يأهل الشام . كَسِّرُوا الخُبْزَ (١) لثلاث يُعاد عليكم .

وكان له ساقيان : أحدهما يسقي الماء والعسل ، والآخر يسقي اللبن .

يُروى عن محمد بن المنتشر الهمداني ، قال : دفع إليّ الحجاج « أ زاد^٢ ميرد بن الهزبل » وأمرني أن أستخرج منه ، وأُغليظ له . فلما انطلقتُ به قال لي : يا محمد . إن لك شرفاً وديناً ، وإني لا أُعطي على القسْرِ شيئاً ، فاستأدني (٢) ، وارفُق بي . قال : ففعلت : قال : فأدّي إليّ في أسبوع خمسمائة ألف . قال : فبلغ ذلك الحجاج ، فأغضبته ، وانتزعه من يدي ، ودفعه إلى رجل كان يتولّى له العذاب ، فدقّ يديه برجليه ، ولم يعطهم شيئاً .

قال محمد بن المنتشر : فلإني لأمرُّ يوماً في السوق إذا صائح بي : يا محمد . فالتفتُ فإذا به معروضاً على

(١) كناية عن كثرة الطعام ووفرة الخيرات .

(٢) استأذاه : طلب منه أداء ما عليه .

حمار ، مَوْثُوقُ اليدين والرجلين فَخِيفْتُ الْحِجَاجَ إِنْ أَتَيْتُهُ ، وَتَذَمَّتْ (١) مِنْهُ . فَمَلْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِي : إِنْكَ وَلَيْتَ مِنْي مَا وَلِيَ هَؤُلَاءِ ، ذَرَفَتْ بِي فَأَحْسَنْتَ إِلَيَّ ، وَلَئِنْ صَنَعُوا بِي مَا تَرَى ، وَلَمْ أَعْطِهِمْ شَيْئًا . وَهَذَا خَمْسُمِائَةِ أَلْفٍ عِنْدَ فُلَانٍ . فَخُذْهَا ، فَهِيَ لَكَ .

قَالَ : فَقُلْتُ : مَا كُنْتُ لَأَخْذَ مِنْكَ عَلَى مَعْرُوفٍ أَجْرًا ، وَلَا لَأَرْزَأَكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ شَيْئًا .

قَالَ : فَأَمَّا إِذْ أَبَيْتَ فَاسْمِعْ أَحَدُثُكَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ دِينِكَ عَنْ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : إِذَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْ قَوْمٍ أَمْطَرَهُمُ الْمَطَرُ فِي وَقْتِهِ ، وَجَعَلَ الْمَالَ فِي سَمَحَاتِهِمْ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ خِيَارَهُمْ ، وَإِذَا سَخِطَ اللَّهُ عَلَى قَوْمٍ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ شِرَارَهُمْ ، وَجَعَلَ الْمَالَ عِنْدَ بَخْلَائِهِمْ ، وَامْطَرَهُمُ الْمَطَرُ فِي غَيْرِ حِينِهِ .

قَالَ : فَانْصَرَفْتُ ، فَمَا وَضَعْتُ ثَوْبِي حَتَّى آتَانِي رَسُولُ الْحِجَاجِ يَأْمُرُنِي بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ . فَأَلْفَيْتُهُ جَالِسًا عَلَى فَرَسِهِ . وَالسَّيْفُ مُنْتَضِي فِي يَدِهِ . فَقَالَ لِي : اُدْنُ .

(١) تَذَمَّتْ مِنْهُ : أَيِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ ، وَاسْتَنْكَفَتْ .

فدنوتُ شيئاً ، ثم قال : اُدْنُ . فدنوتُ شيئاً . ثم صاح
الثالثة : اُدْنُ . لا أبالك ! ! فقلت : ما بي إلى الدُّنُو من
حاجة . وفي يد الأمير ما أرى . فأضحك الله سِنَّهُ ،
وأغمدَ عني سيفَه . فقال لي : اجلس . ما كان من حديث
الخبث ؟

فقلت اه : أيُّها الأميرُ . والله ما غششتُك منذ
استنصحتني ، ولا كذبتُك منذ استخبرتني ، ولا خنتُك
منذ ائتمنتني . ثم حدَّثتُه الحديث .

فلما صرتُ إلى ذكر الرجل الذي المالُ عنده أعرضَ
عني بوجهه ، وأومأ إليَّ بيده . وقال : لا تُسمِّه .
ثم قال : إنَّ للخبثِ نفساً ، وقد سمعَ الأحاديثَ ! !

* * *

الباب الثالث

كَلَامُ الْأَحْنَفِ (١)

رَأَى مَعَ رَجُلٍ دَرَهْمًا ، فَقَالَ : تَحِبُّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
أَمَّا إِنَّهُ لَا يَنْفَعُكَ حَتَّى تَفَارِقَهُ .

قَالَ : مَا عَرَضْتُ إِلَّا نِصَافَ عَلَى رَجُلٍ فَقَبِلَهُ إِلَّا هَيْبَتُهُ ،
وَلَا أَبَاهُ إِلَّا طَمَعْتُ فِيهِ .

وَقَالَ : لَأَذَى تَحْكُوكَ فِي نَاحِيَةِ بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
أَيْتَمٍ رَدَدْتُ عَنْهَا كُفُورًا .

وَقِيلَ لَهُ : مِنَ السَّيِّئِ ؟ قَالَ : الذَّلِيلُ فِي نَفْسِهِ ،
الْأَحْمَقُ فِي مَالِهِ ، الْمُعْنَى بِأَمْرِ قَوْمِهِ ، النَّاضِرُ لِلْعَامَّةِ .

وَقَالَ : رُبَّ رَجُلٍ لَا تُشْمَلُ فَوَائِدُهُ وَإِنْ غَابَ ،
وَأَخَّرَ لَا يَسْلَمُ جُلَيْسُهُ وَإِنْ احْتَرَسَ .

وَقَالَ : كُلُّ مُلْكٍ غَمْدَارٌ وَكُلُّ دَابَّةٍ شُرُودٌ وَكُلُّ
امْرَأَةٍ خَوْفٌ .

(١) الْأَحْنَفُ : هُوَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ مَعَاوِيَةَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي
الْحِلْمِ حَتَّى قِيلَ : « أَحْلَمُ مِنَ الْأَحْنَفِ » .

وقال : سهرتُ ليلةً في كلمة أُرضي بها سُلطاني .
ولا أُسخطُ بِهَا ربيَّ فما وجدتها .

وقيل له : ما الحلمُ ؟ قال : الرِّضاءُ بالذَّل .
وقيل لرجل : ليت طولَ حِلْمنا عنك لا يدعُو
جهل غيرنا إليك .

وقال : أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار
والنار .

وقال : وإياك والكسلَ والضجرَ ، فإنك إن كسلتَ
لم تُؤدِّ حقاً ، وإن ضَجِرتَ لم تصبرَ على حقٍّ .

وذكر رجلاً فقال : لا يحقر ضعيفاً ، ولا يحسدُ شريفاً .

وقال : الشريفُ مَنْ عُدَّتْ سَقَطَاتُهُ .

وقيل له : ما اللُّؤمُ ؟ قال : الاستعصاءُ على الملهوف (١) .

قيل : فما الجود ؟ قال : الاحتيالُ للمعروف .

وسمع رجلاً يقول : ما بُتُّ البارحة من وَجَعِ ضرسٍ .

(١) الاستعصاء على الملهوف : يقصد التلکؤ في نجدة صاحب الحاجة .

وجعل يُكثر ، فقال له الأحنفُ : كم تكثُرُ ! ! فوالله
لقد ذهبتُ عيني منذ ثلاثين سنة ، فما قلتُ لأحد .
وقال : لستُ بحليمٍ ولكنني أتحائم .

وقال يومَ قُتل مُصْعَبُ : انظروا إلى المُصْعَبِ ،
على أي دَابَّةٍ يخرجُ ؟ فإن خرج على بِرْذَوْنٍ (١) فهو
يريد الموتَ ، وإن خرج على فرس فهو يريد الهربَ .
قال : فخرج على بِرْذَوْنٍ يجرُّ بَطْنَهُ .

وقال الأحنفُ : استمِيلُوا النِّسَاءَ بحسنِ الأخلاقِ
وفُحِّشِ النِّكَاحِ .

وقال : وجدتُ الحليمَ أنصَرَ لي من الرجالِ .
وقال له رجلٌ : بِمَ سُدَّتْ ؟ قال : بِتَرْكِي من
أمرِكِ مالا يعنيني ، كما عَنَّاكَ من أمري مالا يعينك .
وقال : من حقِّ الصديق أن تُسَحِّمَ له ثلاثٌ :
ظلمُ الغضبِ ، وظلمُ الدَّائَةِ ، وظلمُ الهَفْوَةِ .
خطب معاويةُ مرةً ، فقال : إن الله يقول في كتابه :

(٢) البرذون : تطلق هذه التسمية على غير العربي من الخيل .

« وإن من شيء إلا عندنا خزائنه » (١) فعلام تلوموني إذا قصرت في أعطيائكم ؟

فقال الأحنف : فجعلته أنت في خزائنك ، وحملت بيننا وبينه ولم تنزله إلا بقدر معلوم .

وقال : مانازعني أحد قط إلا أخذت عليه بأمره ثلاثة : إن كان فوقني عرفت له قدره . وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه ، وإن كان مثلي تفضلت عليه .

وقام بصفتين ، فاشتد ، فقليل له : أين الحليم يا أبا ببحر ؟ قال : ذاك عند عقبر الحي (٢) .

وقال : لاتشاور الجائع حتى يشبع ، ولا العطشان حتى يروى ، ولا الأسير حتى يُسَلَقَ ، ولا المصل حتى يبعد ، ولا الراغب حتى ينجح .

وأتى مصعب بن الزبير (٣) يكلمه في قوم حبسهم ، فقال : أصلح الله الأمير ، إن كانوا حبسوا في باطل فالحق يُخْرِجُهُمْ وإن كانوا حبسوا في حق فالعفو يسعهم ، فخلاهم .

(١) سورة الحجر : ٢١ .

(٢) يقصد بقوله : مقر الحي وقت السلم لا وقت الحرب حيث يكون مقيماً بحيه وبلده .

(٣) مصعب بن الزبير بن العوام ، وأخوه عبيد الله بن الزبير وأمهما أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

وقال : السُّودَدُ ، مع السَّوَادِ . يريد أن السيّد مَنْ
أنته السَّيَادَةُ في حدّاته وسَّوَادِ رأسه ولحيته .

وجلس على باب زياد ، فمرّت به ساقيةٌ ، فوضعت
قربتها ، وقالت : يا شيخُ . احفظْ قربتي حتى أعود ،
ومضتْ ، وأتاهُ الآذَنُ (١) فقال : انهضْ . قال : لا ،
فإن معي ودِعةً . وأقام حتى جاءت .

وشتمه يوماً رجلاً وألحَّ عليه فقال له : يا ابنَ أُمِّي .
هل لك في الغداء ؟ فإنك منذُ اليومَ تَحْدُو بِجَمَلٍ تَمَالٍ (٢) .
وقال : كُنَّا نَخْتَلِفُ إلى قيسِ بنِ عاصمِ (٣) في
الحِلْمِ ، كما يُخْتَلَفُ إلى الفُقهاءِ في الفقه .

(١) الآذَنُ : الحاجب .

(٣) جمل ثفال بفتح الثاء والثفال من الإبل البطيء الثقيل الذي لا يكاد

ينبعث .

(٣) قيل للأحنف بن قيس : من تعلمت الحلم ؟ قال من قيس بن
عاصم المنقري ، رأيته قاعداً بفناء داره ، محتبياً بحمال سيفه يحدث
قومه ، حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول . فقيل له : هذا ابن أخيك
قتل ابنك ، فوالله ما حل حبوته ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت إلى ابن أخيه
فقال : يا ابن أخي ، أثمت بربك ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت
ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : يا بني قم فوار أخاك ، وحل كتاب ابن
عمك ، وسق إلى أمه مائة دابة دابة ابنها نأبها غريبة .

وشتمه رجلٌ ، فسَكَت عنه ، فأعاد ، فسَكَت ،
فقال الرجلُ : والهفاهُ . ما يمنعه أن يردَّ عليَّ إلا هَوَانِي
عليه .

وقال الأحنفُ : متن لم يصبر على كلمة سمعَ كلمات ،
ورُبَّ غيظٍ قد تجرَّعَتْهُ مخافةَ ما هوَ أشدُّ منه .

وكان إذا أتاهُ إنسانٌ أوسعَ له ، فان لم يجد موضعا
تحركَ ليريه أنه يوسعُ له .

وقال : ماجلستُ قطُّ مجلساً . فخفتُ أن أقامَ عنه
لغيري .

وكان يقولُ : إياك وصدرَ المجلس فإنه مجلسٌ
قاعةٌ (١) .

وقال : خيرُ الإخوان مَنْ إذا استغثتَ عنه لم يزدك
في المودةِ ، وإن احتجتَ إليه لم ينقصك منها ، وإن
كوثرَت عَصْبُكَ ، وإن احتجتَ إلى معاونته رَفَدَكَ .
وقال : العتابُ مفتاحُ التَّقَالِي ، والعتابُ خيرٌ من الحقد .

(١) مجلس قلة : إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن يقوم مرة بعد مرة .

وكان يقول : ما تزالُ العربُ بخير ما لبستِ العمامَ ،
وتقلدتِ السيوف ولم تَعُدَّ الحِلْمَ ذُلًّا ولا التواهبَ بينها
ضبعة .

قوله : لبستِ العمامَ ؛ يريد ما حافظت على زيِّها .
وقال : ما شامتُ أحدًا منذُ كنتُ رجلاً ، ولا زحمتُ
رُكبتاي ركبتيه ، وإذا لم أصل مُجتديَّ حتى يَنْتَحِ جبينه ،
كما تنتح الحميتُ (١) ، فوالله ما وصلته .
وقال : إني لأُجالسُ الأحمقَ الساعةَ فأَتَبِّنُ ذلك
في عقلي .

وقال له معاويةُ : بلَّغني عنك الثقةُ . فقال : إن الثقةَ لا يبلِّغُ .
وعُدَّت على الأحنف سقطةٌ ؛ وهو أن عمرو بن
الأَهم (٢) دسَّ إليه رجلاً ليسفَّههُ . فقال : يا أبا
بحر : مَنْ كان أبوك في قومه ؟ قال : كان من أوسطهم ،

(١) الحميت من كل شيء : المتين ، والحميت : وعاء السمن .

(٢) هو عمر بن سنان الأَهم التميمي المنقري ، ولقب أبوه بالأَهم
لأن ثنيته هتبت يوم الكلاب . وكان عمرو هذا من عظماء بني تميم وساداتهم ،
ومن شعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام وقد وفد على الرسول عليه
السلام هو والزيرقان بن بدر وأسلماء . وقد توفي عمرو سنة ٥٧ هـ .

لم يسدّهم ولم يتخلف عنهم . فرجع إليه ثانية ، ففطن
الأحنف أنه من قبيل عمرو . فقال : ما كان مالُ أبيك ؟
قال : كانت له صرمة (١) يمنح منها ، ويقرى (٢) ولم
يكن أهتم سلاّحاً .

وسمع رجلاً يقول : التعلّم في الصّغر ، كالنّقش
على الحجر . فقال الأحنف : الكبيرُ أكبرُ عقلاً ، ولكنه
أشغلُ قلباً .

ولم قدمَ عيسى عُمَرَ في وفد أهل البصرة وأهل
الكوفة فقضى حوائجهم قال الأحنف : إن أهل هذه
الأمصار نزلوا على مثل حدقة البعير ، من العيون الحِلابِ
تأقيهم فواكههم لم تتغير . وإنا نزلنا بأرض سيخة
نشاشة (٣) ؛ طرفُها بالفلاة ، وطرفُها بالبحر الأجاج (٤)

(١) صرمة يمنح منها : الصرمة القلعة من الإبل ما بين العشرة
إلى الأربعين .

(٢) قرى الضيف يقره قرى بالكسر والقصر ، والفتح والمد :
أضافه ، كافتراه .

(٣) أرض سيخة نشاشة : لا يحف ثراها ، ولا ينبت مرعاها ،
والذي يقصده الأحنف بقوله « نزلنا سيخة نشاشة » : البصرة . أي
نرازة تنز بالماء .

(٤) الأجاج : الملح المر .

يَا تُنِينَا مَا يَا تُنِينَا فِي مِثْلِ مَرِيءِ النَعَامَةِ ، فَإِنْ لَمْ تَرْفَعْ
خَمْسِيستنا (١) بِعِطَاءٍ تَفْضِّلُنَا بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ نَهْلِكَ .

قِيلَ : لِمَا أَجْمَعَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ جَمْعَ الْخُطَبَاءِ
فَتَكَلِّمُوا - وَالْأَحْنَفُ سَاكِتٌ -- فَقَالَ : يَا أَبَا بَحْرٍ .
مَا مَنَعَكَ مِنَ الْكَلَامِ ؟ قَالَ : أَنْتَ أَعْلَمُنَا بِبَيْرِيدٍ لَيْلِيَةٍ
وَنَهَارِيَةٍ وَسِرِّهِ ، وَعَمَلَانِيَّتِهِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْخِلَافَةَ
خَيْرٌ لَهُ فَاسْتَخْلَفْهُ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا شَرٌّ لَهُ فَلَا تُؤَلِّهِ
الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَلْهَبُ إِلَى الْآخِرَةِ ؛ فَإِنَّمَا لَكَ مَا طَابَ ،
وَعَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

وَقَالَ الْأَحْنَفُ : الْمَرْوَةُ كُلُّهَا إِصْلَاحُ الْمَالِ ،
وَبَذَلُهُ لِلْحَقُوقِ .

* * *

(٣) تَرْفَعُ خَمْسِيستنا: رَفَعَتْ مِنْ خَمْسِيستِهِ : إِذَا فَعَلْتَ بِهِ أَمْرًا يَكُونُ
فِيهِ رَفَعَتُهُ .

الباب الرابع

كلامُ المهلبِ وولده (١)

قيل للمهلب : ما التَّيْلُ ؟ قال : أن يخرج الرجلُ
من منزله وحده ، ويعود في جماعة .
وقال : ما رأيتُ الرجال يضيقُ قلوبُها عند شيءٍ
كما تضيقُ عند السرِّ .

خطب يزيدُ بنُ المهلبِ بواسط (٢) فقال : إنِّي
قد أسمع قول الرَّعاع : قد جاء مسلمةٌ وقد جاء العباسُ ،
وقد جاء أهلُ الشام . وما أهلُ الشام إلا تسعةُ أسياف :
سبعةٌ منها معي ، واثنان عليَّ . وأما مَسْلَمَةٌ فجرادةٌ

(١) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي المتكي البصري . نشأ في
دولة بني أمية ، ثم أمره مصعب بن الزبير على البصرة نيابة عنه في أيام أخيه
عبد الله بن الزبير ، ثم ولاء عبد الله خراسان ، وهو الذي قاتل الخوارج ،
وكسر شوكتهم ، وقد توفي زمن ولاية الحجاج الثقفي سنة ٨٣ هـ وأما
أولاده فهم : المغيرة ، ويزيد ، وقبيصة ، وعبد الملك ، وسعيد ،
ومحمد ، والمفضل ، ومدرک .

(٢) واسط : موضع بين البصرة والكوفة .

صفراء ، وأما العباسُ فنسطوسُ (١) بنُ نسطوس ،
أذاكم في بَرابرة (٢) وصقالبة (٣) .

ومن كلام المهلب : عجبْتُ لمن يشتري المماليك
بماله ، ولا يشتري الأحرار بمعرُوفه .

وقال يزيدُ بن المهلب لابنه مُستَلد — حين ولّاه
جُرْجَان : استظرفُ كاتيك ، واستعقلُ حاجبتك .

قال حبيبُ بن المهلب : ما رأيت رجلاً مُستَلثماً (٤)
في الحرب إلا كان عندي رجُلين ، ولا رأيت حاسرين (٥)
إلا كانا عندي واحداً .

(١) نسطوس : اسم رومي يشير إلى أصل العباس بن الوليد حيث
كانت أمه رومية .

(٢) البرابرة : جمع بربري ، وهي تطلق في مصر على الثوبين أو
البرابرة ، كما يعرفون عادة بهذا الاسم الآن . وموطنهم الوادي العلوي
لنهر النيل من الجهات المجاورة لأسوان . وهم جنس خفيف الحركة ، نشط ،
يتعلمون بسرعة اللغة العربية أو أية لغة . ودينهم الإسلام . والبرابرة
جيل بالمغرب .

(٣) الصقالبة : هم جيل من الناس بين بلاد البلغار والقسطنطينية .

(٤) رجلاً مستلثماً : أي لا بساً اللأمة ، وهي لباس الحرب .

(٥) الحاسر : من لا مغفر له ، ولا درع ، أولاً جنة له .

فسمع بعض أهل المعرفة هذا الكلام ، فقال : صدق :
 إن للسلاح فضيلة . أمّا تراهم ينادون عند الصّريخ :
 السّلاح السلاح ، ولا ينادون : الرّجال ، الرجال .

فيل يزيّد بن المهلب : ألا تبني داراً ؟ فقال : منزلي
 دار الإمارة أو الحبس .

أغلظ رجلٌ للمهلب ، فحلم عنه ، فقليل له : جهل
 عليك وتحلم عنه ؟ فقال : لم أعرف مساويّه ، وكرهت
 أن أهبته بما ليس فيه .

قال يزيّد بن المهلب : ما رأيتُ عاقلاً ينوبه أمرٌ
 إلا كان مقولته على لحيّيه (١) .

وقيل له : إنك لتُلقني نفسك في المهالك . قال : إني
 لتستُ آتي الموت من حُبّه ، وإنما آتيه من بغضه ، ثم تمثل :
 تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ
 لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ (٢)

(١) لحيه : اللحي : منبت اللحية . والمراد : بدا على وجهه ما يريد
 أن يقوله .

(٢) قائل البيت : هو الحصين بن الحمام من قصيدة مشهورة .

كتب المهلب إلى الحجاج لما ظنّ قهر بالأزارقة (١) :
 الحمد لله الذي كفّتي بالإسلام فقد ما سواه ، وجعل الحمد
 متصلاً بنعمه ، وقضى ألا ينقطع المزيد من فضله ، حتى
 ينقطع الشكر من عباده ثم إنا وعدونا كنا على حالين
 مختلفتين ؛ نرى فيهم ما يسرنا أكثر مما يسوءنا ، ويرون
 فينا ما يسوءهم أكثر مما يسرهم . فلم يزل الله يكثرنا
 ويمحقهم ، وينصرنا ويخذلهم ، على اشتداد شوكتهم ؛
 فقد كان عاكناً أمرهم حتى ارتفعت له الفتاة ، ونوّم
 به الرضيع ، فأنتهزت منهم الفرصة في وقت إمكانها ،
 وأدنيّت السواد ، من السواد حتى تعارفت الوجوه .
 فلم نزل كذلك حتى بلغ بنا وبهم الكتاب أجله .
 ((فقمطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
 العالمين)) (٢) .

وقال المهلب لبنيه : يا بنيّ ؛ إذا غدا عليكم الرجل ،
 ولاح مسلماً ، فكفّتي بذلك تقاضياً .

(١) الأزارقة : إحدى فرق الخوارج ، وتنسب إلى نافع بن الأزرق .

(٢) سورة الأنعام : ٤٥ .

وقيل له : أيُّ المجالس خيرٌ ؟ قال : ما بَعُدَ فيه
مَدَى الطرف ، وكَثُرَتْ فيه فائدةُ الجليس .
قال المهلبُ : العيش كله في الجليس الممتع .

وكتب لإيّه الحجاجُ : أما بعدُ . فلإنك تراخى عن
الحرب حتى يأتِكَ رُسلي . فيرجعوا بَعْدُ رِكَ ، وذلك
أنك تُمسِكُ حتى تبرأ الجراحُ ، وتُنسى القَتْلُ ،
ويجُمُّ الناسُ ، ثم تُلْقاهم فتَحْمِلُ منهم مثل ما يحتملون
منك من وُحْشة القَتْلِ ، وألمِ الجراح . ولو كُنْتَ تُلْقاهم
بذلك الجِدْ لكان الداءُ قد حُسِمَ ، والقرنُ قد قُصِمَ .
ولعمري ما أنْتَ والقومُ سواءٌ ؛ لأن من ورائك
رجالاً ، وأمامك أموالاً . وليس للقومِ إلا ما معهم ،
ولا يُلْدركُ الوجيفُ (١) بالدبيب ولا الظفرُ بالبعير .

فكتب المهلبُ لإيّه : أما بعدُ . فأنِّي لم أعطِ رسلكَ
على قول الحقِّ أجراً ، ولم أحتجْ منهم مع المشاهدةِ إلى
تلقين . ذكرتُ أنِّي أجُمُّ القومَ ، ولا بدَّ من راحةٍ
يسترجح فيها الغالبُ ، ويحتال فيها المغلوبُ ،

(١) الوجيف : ضرب من سِر الإبل والهيول ، وأوجف دابته إذا حثها .

وذكرت أن في الحمام ما يُنسي القتل ، ويبريء الجراح . وهيهات أن يُنسي ما بيننا وبينهم ؛ تأتي ذلك قتلى لم تُجَنّ ، وقروح لم تُتَمَقَرَف (١) . ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات ، إن طمعوا حاربوا ، وإن ملأوا وقفوا ، وإن يشؤوا انصرفوا ، وعلينا أن نقاتلهم إذا قاتلوا ، وننحزر إذا وقفوا ، ونطلب إذا هربوا ؛ فإن تركني والرأي كان القرن (٢) مفصوماً ، والداء - بلذن الله - مسموماً ، وإن أعجلكني لم أطعك ، ولم أعص ، وجعلت وجهي لي بابك وأنا أعوذ بالله من سخط الله عز وجل ومقت الناس !

* * *

(١) تقرفت القرحة : تقشرت .

(٢) كان القرن مفصوماً : القرن من معانيه السيف أو النصل ، والجمع قرون وقران . مفصوماً : مقطوعاً .

الباب الخامس

كلام أبي مسنم (١)

قيل له : ما كان سببُ خروجِ الدولة عن بني أمية ؟
فقال : ذلك لأنهم أبعدوا أولياءهم ثقةً بهم ، وأدنوا أعداءهم تألفاً لهم ، فلم يصبر العدوُّ بالذنو صديقاً وصار الصديقُ بالبعد عدوًّا .

وقيل له في حديثه : إنا نراك تأرق كثيراً ، ولا تنام
كأنك مؤكلٌ برعي الكواكب ، أو متوقعٌ للوحي من السماء . فقال : والله ما هو ذاك ، ولكن لي رأيٌ جوالٌ ،
وغريزةٌ تامةٌ ، وذهنٌ صافٍ ، وهمةٌ بعبادةٍ ونفسٌ
تستوقُ إلى معالي الأمور مع عيشٍ كعيش الهمسج والرعاع ،
ومحالٌ متناهية من الاتضاع ، وإنِّي لأرى بعضَ هذا
مصيبةٌ لا تُجبرُ بسهر ، ولا تُتلافى بأرقٍ .

قيل له : فما الذي يُبسرِدُ عليك ، ويشفي أججاجَ صدرِكَ ؟ قال : الظفرُ بالملك .

(١) أبو مسلم الخراساني : أحد أعلام الفرس الخارجين على بني أمية ، والثائرين على حكمهم ، والممهدين لقيام دولة بني العباس سنة ١٣٣ هـ . قتله أبو العباس السفاح خوفاً منه سنة ١٣٦ هـ .

قيل له : فاطلبُ . قال : إن المُلْك لا يطلب إلا
برُكوب الأهوال . قيل : فاركبِ الأهوال : قال :
هيهات . العقلُ مانعٌ من ركوبِ الأهوال . قيل فمآ
تصنع وأنت تبلى حسرةً وتذوب كمداً ؟ قال : سأجعلُ
من عقلي بعضه جهلاً ، وأحاول به خطراً ، لأنالَ
بالجهل مآلاً ينال إلا به . وأدبُ بالعقل مالا يحفظ
إلا بقوته ، وأعيش عيشاً يسببُ مكان حياقي فيه من مكان
موتي عليه ، فإنّ الخمولَ أنحوُ العدم والشهرةَ أبو الكون .
قال رجلٌ من أهل العراق : أوصاني أبو مُسلم
وآتسني ، ثم سألني ، فقال : أيُّ الأعراض أدنى ؟
فقلت : عِرْضٌ بخيل . قال : كالأ . رُبَّ بُخلٍ لم يَكْتَم
عِرْضاً . قلت : فأيهما أصلح الله الأمير ؟ قال : عرضٌ لم
يسرّ فيه حربٌ ولادم .

قال أبو زيد : سمعت رُوبة (١) يقول : ما رأيت أروى
لأشعارنا من أبي مُسلم من رجل يرتضخ لُكنةً . قال أبو زيد :
وإذا قال رُوبة لرجل يرتضخ لُكنة فهو من أفصح الناس .

(١) رُوبة بن العجاج المصري التيمي السعدي . كان هو وأخوه من
المدونين في الرجز ، وكان عارفاً باللغة ، وحشيها وغريبها . والروية :
جريدة اللبن ، والروبة بالهمزة : القطعة من الخشب يشعب بها الإناء ،
توفي سنة ٨١٤٨ .

الباب السادس

كلامُ جَماعَةٍ مِنِ الأَمراءِ

خطب يوسفُ بنُ عُمر (١) ، فقال : اتقوا الله عبادَ
الله . فكم من مؤمِّلٍ أَمَلًا لا يبلُغُهُ ، وجامعٍ مالًا
يأكُلُهُ ، ومانعٍ ماسوفٍ يترُكُهُ ، ولَعَلَّه من باطلٍ جَمعَهُ ،
ومن حقٍّ منعه . أَصابه حراما وورثه عدوا ، واحتمل
إِصرَهُ (٢) ، وباءَ بوزرِهِ ، وورَدَ على رَبِّهِ آسَفًا لاهِفًا
خسر الدنيا والآخرة « ذلك هُوَ الخسران المبين » (٣) .
صَعِدَ ورْدُ بنُ حاتمِ المنبرِ ، فلما رآهم قد فتحُوا
أَسْماعَهُمْ ، وشَتَّقُوا أَبْصارَهُم نحوه قال : نكَّسُوا
رؤوسكم ، وغَضُّوا أَبْصاركم ، فإنَّ أوَّلَ مركبٍ
صعبٌ ، وإذا يسَّرَ اللهُ فَتَحَ قُفْلَ تَيْسَرٍ .

-
- (١) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود
الثَّقَفِي ، وهو ابن عم الحجاج .
(٢) الإِصرُ : العهد الثقيل . وأصل الإِصر : الثقل والشد ؛ لأنها
أثقل الإيمان وأصعبها مخرجا
(٣) سورة الحج : ١١ .

كان يوسف بن عمر يقول : كان الحجاج الدخان
وأنا الذهب ؟

قام خالد (١) بن عبد الله على المنبر بواسط
خطيباً . فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم قال : أيُّها الناسُ تنافسُوا في المكارم ،
وسارعُوا إلى المغنم ، واشتروا الحمد بالجود ، ولا تكسبوا
بالمطل ذمّاً ولا تعتدُوا بالمعروف ما لم تُعجبوا ، ومهما
يكن لأحدكم عند أحد نعمةٌ فلم يبأسْ شكرها فالله
أحسنُ لها جزاءً وأجزلُ عليها عطاءً . واعلمُوا أن حوائجَ
الناسِ إليكم نِعَمٌ من الله عليكم ، فلا تملأوا السَّعْمَ
فتتحولَ نعمةً . واعلمُوا أن أفضلَ المالِ ما أكسبَ أجراً ،
وورثَ ذكراً ، ولو رأيتمُ المعروف رجلاً رأيتموه
حسناً جميلاً يسرُّ الناظرينَ ويفوقُ العالمين . ولو رأيتمُ
البُخل رجلاً رأيتموه مُشوّهاً قبيحاً تنفر عنه القُلوبُ
وتغضبي عنه الأبصارُ . أيُّها الناسُ : إن أجودَ الناسِ من
أعطى مَنْ لا يرجوه ، وأعظمَ الناسِ عفواً مَنْ عفا عن
قدرة ، وأوصلَ الناسِ من وصلَ من قطعهُ ومن لم

(١) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري . ولاء
الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٥٨٩ ، وولي العراقين في عهد هشام بن عبد الملك .

يطبُ حرثُهُ لم يَزَكُ نَبْتُهُ . والأصولُ عن مغارسها تنمُو ،
وبأصولها تسدو . أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .
أراد رجلٌ أن يمدح رجلاً عند خالد بن عبد الله ،
فقال : والله لقد دخلتُ إليه فرأيتُه أهدي الناس داراً
وفرشاً وآلةً . فقال خالدٌ : لقد ذمتهُ من حيثُ أردت
مدحهُ هذا والله مثالٌ من لم تلدع فيه شهوتهُ للمعروف
فضلاً .

حدث بعضهم قال : لما وليَ أبو بكر بنُ عبد الله
المدينةَ وطال مكثُهُ عليها كان يبليغهُ عن قوم من أهلها
تناولوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وإسعافاً من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات
ووجوه الناس في يوم الجمعة أن يقرئوا من المنبر ، فلما
فرغ من خطبة الجمعة قال : « أيُّها الناسُ : إنِّي قائلٌ »
قولاً ، فمن وعاه وأداهُ فعلى الله جزاؤه ومن لم يعه فلا
يَعُدْ مَنْ ذمّاً مهدياً قصرْتُم عنه من تفصيله فإن تعمزوا
عن تفصيله ، فأرعوهُ أبصاركم ، وأوعوه أَسْمَاعكم ،
وأشعروهُ قُلُوبكم . فالموعظةُ حَيَاةٌ والمؤمنون

إِخْوَةٌ . وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ . وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١) فَأَتُوا الْهَادِيَ تَهْتَدُوا . وَاجْتَنِبُوا الْغِيَّ تَرشُدُوا «(وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)» (٢) .
والله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه أمَرَكم بالجماعة ،
ورضيها لكم ، ونهاكم عن الفرقة ، وسخطها منكم
«(اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون .
واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرَّقوا واذكروا نعمةَ
الله عليكم إذ كنتم أعداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ
بِرَحْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ
مِنْهَا)» (٣) جَعَلَنَا اللَّهُ وَلِيَّاءَكُمْ مِنْ تَتَّبَعَ رِضْوَانَهُ ، وَتَجَنَّبَ
سَخَطَهُ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَلَهُ .

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِينَ ،
وَاخْتَارَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا عَلَى الْحَقِّ ،

(١) يقتبس من الآية ٩ من سورة النحل « وعلى الله قصد السبيل
ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين » .

(٢) سورة النور : ٣١ . وأولها : « وقل للمؤمنات يفضن من
أبصارهن ... » .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣ .

وزراء دون الخاق ، اختصهم به ، وانتخبهم له ،
فصل قوه . ونصروه . وعزروه (١) . ووقروه ، فلم
يُتقدّموا إلا بأمره ، ولم يُحجّجوا إلا عن رأيه ، وكانوا
أعوانه بعهد . وخلفاءه من بعده ، فوصفهم فأحسن
صفتهم ، وذكرهم فأثنى عليهم . فقال وقوله الحق :
«(محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداء على الكفارِ رُحَمَاءُ
بينهم تراهم رُكُوعاً سُجّداً يَبْتَغُونَ فَضلاً من الله
ورضواناً سِيمَاهُمْ في وجوههم من أثر السجود ذلك
مثليهم في التوراة ومثليهم في الإنجيل كزرعٌ أُخرجَ
شطأه فأزره فاستغاث فاستوى على سوقه يُعجبُ الزّارعَ
ليغيظَ بهم الكفارَ وعدّ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ
منهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا)» (٢) .

فسن غاظوه فقد كفر ، وخاب ، وفجر ، وخسر ،
وقال عز وجل : ((للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من
ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون
اللهَ ورسولَه أولئك همُ الصادقون . والذين تبوءوا

(١) عزروه : نصروه وقروه .

(٢) سورة الفتح : ٢٩ .

الدارَ والإيمانَ من قبلهم يُخْبِتُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا
يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَفِّ شَيْخَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْمَفَاحُونَ . وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي
قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (((١)

فمن خالف شريعة الله عليه لهم ، وأمره إياه فيهم ،
فلا حتى له في النبي ، ولا سبهم له في الإسلام في أي
كثيرة من القرآن . فمَرَقَتْ مَارَقَةٌ مِنَ الدِّينِ وَفَارَقُوا
المسلمين ، وجعلوهم عِصْيِينَ (٢) وتشعبوا أحزاباً
أَشْيَابَات (٣) ، وَأَوْشَابَا ، فخالقوا كتاب الله فيهم ،
وثناءه عليهم ، وآذوا رسول الله - صلى الله عليه وآله
وسلم - فيهم ، فخابوا ، وخسروا الدنيا والآخرة ،
ذلك هو الخسران المبين . ((أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ
كَمُنَ زَيْنٌ لَهُ سُوءٌ عَمِلَهُ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)) (٤) .

(١) سورة الحشر : ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) عصيان - العضة - كعدة : الفرقة ، والقطعة ، والكذب .

(٣) أشابات : الأشابة - بالضم : الأخلاط ، ومن الكسب :
ما خالطه الحرام .

(٤) سورة محمد : ١٤ .

وقال قتيبة : إن الحريص يستعجلُ الذلة قبلَ
إِدراكِ البُغيةِ .

أَهْدَى عبيدُ الله بن السَّدي إلى عبدِ الله بنِ طاهر
لما وَلى مصرَ ، مائةَ وصيفٍ ، مع كلِّ وصيف ألفُ
دينارٍ ، ووجهَ بذلك ليلاً . فردَّه ، وبَعَثَ إليه :
لو قبلتُ هديتكَ ليلاً لقبلتها نهاراً وما ((آتاني الله خيرُ
مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون)) (١) .

قال المأمونُ لطاهر بنِ الحسين : صف لي عبدَ الله
ابنك . قال : إن مدحْتُه هجنته ، وإن هجوْتُه ظلمتُه .
ولدتِ الناسُ ابناً ، وولدتِ ابناً يُحسِن ما أحسن ولا أحسن
ما يحسن .

ولَّى عبدُ الله بن طاهر رجلاً بريد ما وراء النهر ،
فكتب إليه : إنَّها هنا قوماً من العرب قد تَعَصَّبُوا ،
وثأَّشَبُوا (٢) ، وأظنُّ أمرهم سيرتقي إلى ما هو أغلظ منه .

(١) سورة النمل ٣٦ . وأولها « فما آتاني .. » .

(٢) تأشَبُوا : اجتمعوا واختلطوا .

فكتب إليه عبدُ الله : إنما بُعثتَ للأخبار السابقة
والحوادثِ الظَّاهِرة لا للكهانة والتَّظَنِّي (١) .

قال عبيدُ الله بنُ عبد الله بنِ طاهر : لا ينقضي عَجْبي
من ثلاثة : إفلات عبَّاس بن عمرو من القرمطي ،
وهللك أصحابه ، ووقوع الصغار ، وإفلات أصحابه .
وولاية ابني الجسرَيْن وأنا متعطِّلٌ .

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر لولده . عِفُّوا
تشرُّفوا ، واعشقوا تَظَرُّفُوا

وقال عبيدُ الله بن عبد الله في علته : لم يبق علي من
بأس الزمان إلا العلة والخلة (١) وأشدُّهما علي أهونُهما
على الناس . ولأنَّ ألمَ جسمي بالآوجاع أهون عليَّ من ألم
قلبي للحقِّ المُضاع .

جرى ذكرُ رجل في مجلس سَلَم بنِ قُتَيْبَة (٢) ،

(٣) التَّظَنِّي : إعمال الظن ، وهو اتهام الإنسان بلا دليل ، والكهانة
القضاء بالغيب .

(١) الخلة : الحاجة والفقر ، والخصاصة .

(٢) سلم بن قتيبة : هو سلم بن قتيبة الباهلي الخرساني ، أبو عبد الله :
ولي البصرة لي زيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان بن محمد ، ثم وليها
في أيام أبي جعفر المنصور ، فكان من الموثوق بهم في الدولتين (الأموية
والعباسية) وكان من عقلاء الأمراء ، عادلا حسنت سيرته ، ومات بالري .

فقال منه بعضهم ، فأقبل سَلَمٌ فقال : يا هذا ؛ أوجَّهتُنَا
من نفسك ، وأيَّاستُنَا من مَوَدَّتِكَ ، ودَلَّمتُنَا على عورتِكَ .
قال بعضهم : كنت عند يزيد بن حاتم بإفريقية ،
وكنْتُ به خاصاً فعرضَ عليه تاجرٌ أدراعاً ، فأكثرَ
تَقْلِيلِهَا ، ومزاولةَ صاحبِهَا . فقالت له : أصاحَ الله الأَمِيرَ .
فعلامَ تلوم السُّوقَ ؟ فقال : ويحك ! ! إني لست
أشتري أدراعاً إنما أشتري أعماراً .

قال المؤمن لطاهر بن الحُسين : أشرُّ عليّ بإنسان
يكفيني أمرَ مصرَ والشَّامِ . فقال له طاهرٌ : قد أصبته .
قال : من هو ؟ قام : عبدُ الله ابني ، وخادمُك ،
وعبدُك . قال : كيف شجاعته ؟ قال : معه ما هو خيرٌ
من ذلك . قال له المؤمن : وما هو ؟ قال : الحزمُ .

قال : فكيف سخاؤه ؟ قال : معه ما هو خيرٌ من
ذلك . قال : وما هو ؟

قال : التَّنَزُّهُ وخُيُفُ النَّفْسِ .

مرضَ عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهر ، فركبَ
إليه الوزيرُ ، فلما انصرف عنه كتب إليه عبدُ الله :

ما أعرف أحداً جَزَى العِلَّةَ خيراً غيري ، فلإني جزيتها
الخيرَ ، وشكرتُ نعمتهاً علي ، إذ كانت إلى رؤيتك
مؤديةً .

وكتب المأمونُ إلى طاهر يسأله عن استقلالِ ابنه
عبدِ الله .

فكتب طاهرٌ إليه : عبدُ الله — يا أميرَ المؤمنين —
ابني . وإن مدحتُه ذمتهُ وإن ذمتهُ ظلمتهُ . ولنعم الخليفةُ
هو لأَمير المؤمنين من عبده .

فكتبَ إليه المأمونُ : ما رضيتَ أنْ قرظتهُ في
حياتك حتى أوصيتنَا به بعدَ وفاتك .

قال طاهرٌ : طولُ العمرِ ثائرُ (١) مولاه لأنه لا
يُخْلِيكَ من رؤيةِ محبةٍ في عدو .

قال الكلبيُّ : قال لي خالدُ بنُ عبدِ الله بنِ يزيد
القسري : ما يُعدُّ السُّودُّ فيكم ؟ فقلتُ : أما في
الجاهليةِ فالرياسةُ ، وأما في الإسلامِ فالولايةُ ، وخيرٌ من
هذا وذاك التقوى .

(١) الثائر : من لا يبقي على شيء حتى يدرك ثأره . والمراد أن طول
عمر الإنسان يتيح له التشني من خصومه لما ينزل بهم من مكروه .

فقال لي : صدقت .

كان أبي يقول : لم يُدرك الأولُ الشرفَ إلا بالفعل ،
ولا يُدركُ الأخيرُ إلا بما أدرك به الأولُ .

قال : فقلت : صدقَ أبوك . ساد الأحنفُ بحكمه ،
وساد مالكُ بنُ مِسمعٍ بمحبة العَشيرة له ، وساد قُتيبةُ
بدهائه ، وساد المهاسبُ بجميع هذه الخِلال .

فقال لي : صدقت . كان أبي يقول : خيرُ الناسِ
لِلناسِ خيرُهُمُ لِنَفْسِهِ . إنه إذا كان كذلك أبقى على نفسه
من السرقة ثلثاً يُقطع ، ومِن القتل ثلثاً يُقَاد ، ومِن
الزنى ثلثاً يُحد ، فسكِمَ الناسُ منه بأبقائه على نفسه .

قيل : وكان عبدُ الله بنُ يزيدَ أبو خالدٍ مِن عقلاء
الرَّجال .

وقال له عبدُ الملكِ يوما : ما مالُك ؟ فقال : شيطان
لا عَمِيلَةَ (١) عليَّ معهما : الرضا عن الله عز وجل ،
والغنى عن الناس .

(١) لا عَمِيلَةَ : العيلة : الفقر .

فلما نهض من بين يديه قيل له : هلا خبرته بنقدار
ماليك ؟

فقال : لم يعدد أن يكون قليلاً فيحقيرني ، أو
كثيراً فيحسدني .

وقيل أنصري بن سيار (١) : إن فلاناً لا يكتب .
فقال : تلك الزمانة الخفية (٢) .

وقال : أولاً أن عمر بن هبيرة كان بدويّاً ما ضبط
أعمال العراق ، وهو لا يكتب .

اعتذر رجل إلى مسلم بن قتيبة من أمر بلغه عنه ،
فعدده ثم قال له : يا هذا : لا يحملنك الخروج من أمر
تخلصت منه على الدخول في أمر لعلك لا تتخلص منه .

وقال مسلم بن قتيبة : الشباب الصّحة ، والسلاطان
الغنى ، والمروءة الصبر على الرجال .

وقال خالد بن عبد الله القسري : يُحمد الجود

(١) هو نصر بن سيار بن أبي رافع بن ربيعة الليثي قلده هشام
أمر خراسان .

(٢) الزمانة الخفية : الزمانة : العاهة ، والمراد العيب المستمر
الذي لا يبرء منه .

مَسْلَمٌ يَسْبِقُهُ مَسْأَلَةٌ وَمَالٌ يَتَّبِعُهُ مَنْ ، وَلَمْ يُزْرَ بِهِ
قُصُورٌ ، وَوَاقِقٌ مَوْضِعُ الْحَاجَةِ .

قال الرشيد لسعيد بن سَلَمٍ : يَا سَعِيدُ ، مَنْ بَيْتٌ
قَيْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . بَنُو فِزَارَةٍ .
قال : فَمَنْ بَيْتُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ؟

قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : الشَّرِيفُ مَنْ شَرَفْتُمُوهُ .
قال : صَدَقْتَ : أَنْتَ وَقَوْمُكَ .

قال بعضهم : رَأَيْتُ نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ (١) عَلَى الْمَنْبَرِ
بِسَرِّ نَحْسٍ (٢) . وَقَدْ حَسَرَ ذِرَاعِيهِ — وَكَانَ أَشْعَرَ طَوِيلَ
السَّاعِدَيْنِ — وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ
مُحَمَّدٍ حَدَّثَنِي عَنْ آبَائِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ — قَالَ : مَا مِنْ أَحَدٍ أَنْشَعَمَ عَلَى قَوْمٍ نِعْمَةً فَكَفَرُوا
نِعْمَتَهُ ، فَدَعَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ .

(١) نصر بن سيار : أحد ولاية مروان بن محمد آخر خلفاء بني
أمية وكان نصر والياً على إقليم خراسان . وفي أيامه قام أبو مسلم
الخراساني يدعو لبني العباس ، فأرسل نصر إلى مروان يخبره بأمره
في رسالة طويلة .

(٢) سرخس : مدينة قديمة من نواحي خراسان بين نيسابور ، ومرو .

اللهم إنَّكَ تعلمُ أَنِّي أَحْسَنْتُ إِلَى آلِ بِسَامٍ فَكفروا
نعممني .

اللهمَّ افعل بهم . ودعنا عليهم :

قال : فإمَّ يَحِلُّ الحِلُّ وَعَلَى الْأَرْضِ مِنْهُمْ عَيْن
تطرف (١) ، وكانوا سبعين رجلاً ، كلُّهم قَدْرُكَبَ الحِلِّ
كان أبو هَبيرة يقول : أعوذ بك من كلِّ شيطان
مُسْتَعْرِبٍ وكلِّ نبطيٍّ مُسْتَعْرِبٍ .

خطب بلالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ بالبصرة ، فعرف
أنهم قد استحسنوا كلامه . فقال : لا يمنعكم أقبحُ
ما تعلمون فينا أن تقبلوا أحسنَ ما تسمعون منا .

* * *

(١) كناية عن فنائهم .

الباب السابع

فضولُ الكتّابِ والوزراءِ وتوقيعاتُ ونكتُ من كلامِهِمْ ونَوَادِرُ لَهُمْ

أمرَ المأمونُ أحمدَ بنَ يوسفَ (١) أن يكتبَ في
الآفاق بتعليق المصاييح في المساجد في شهر رمضان . قال :
فأخذتُ القُرطاس لأكتب ، فاستعجم عليّ ، ففكّرتُ
طويلاً ، ثم غشيّتنى نعسه ففيل لي : أكتب : فإنَّ
في كثرة المصاييح إضاعةً للمتجهّدين ، وأنساً
للسَّابِلةِ (٢) ، ونفياً لمكامن الرّيب ، وتمزيهاً لبيوت الله
عن وحشة الظُّلم .

أهدى سعيدُ بنُ حنّسٍ إلى المأمون في يوم

(١) هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن لجيم ،
كاتب المأمون ، وكان عالي الطبقة في البلاغة . ووزر للمأمون بعد أحمد بن
أبي خالده .

(٢) السَّابِلة : أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم .
والجمع السوابل .

مهترجان خوان جزع (١) ، واتخذ ميلاً من ذهب بقدر ،
وحمله معه . وكتب إليه : قد أهديتُ إلى أمير المؤمنين
خوان جزع ميلاً في ميل . فاستحسن ذلك وقبله .

وقَعَ جعفر بن يحيى (٢) في رُقعةٍ مُتحرِّم به :
هذا فتى له حرمةُ الأمل ، فامتنع به بالعمل ؛ فإن كان
كافياً فالسلطان له دوفنا ، وإن لم يكن كافياً . فنحن له
دون السلطان .

كتبَ أحمدُ بنُ يوسفَ إلى إسحاق الموصلي (٣) -
وقد زاره إبراهيمُ بنُ المهدي : عندي مَنْ أنا عنده ،
وحجَّتُنَا عليك لإعلامُنَا إياك ذلك . قد آذنتُك .

(١) خوان جزع : يقصد مائدة مطلية باللون الأصفر ، أو مائدة
ذات تقاسيم .

(٢) جعفر بن يحيى : هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن
برمك ، وزير هارون الرشيد . ولما قتله الرشيد رثاه الشعراء بقصائد
كثيرة تدل على شدة حزنهم عليه ، وأملهم لديه . وكان قتله سنة ١٨٧ هـ .

(٣) إسحاق بن إبراهيم الموصلي : يكنى أبا محمد عالم أديب راوية
للشعر بارع بالغناء والموسيقى .

فصل لأحمد بن يوسف .

أكثر من يلجأ إلى الحيلة من عجز عن المبادأة
والإصحاح (١) ؛ وأكثر من يروم المناوبة من قصر
عن لطيف الحمد ، وختفي الاستدراج . والقصد
مؤد إلى الرشيد .

تأخر إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن إبراهيم
ابن المهدي ، فكتب إليه : لا عذر لك في التأخر عني ؛
فإنني لا أدخل من حاليين : سخط أمير المؤمنين علي
فهو لا يكره أن يضرني ، أو رضاه عني فهو لا يكره
أن يسرني .

أمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب كتاب
عناية ، ويوجز . فكتب : كتابي كتاب واثق بمن كتبت
إليه ، معني بمن كتبت له ، ولن يضيع بين الثقة
والعناية موصله .

كتب أحمد بن يوسف إلى صديق له : كتبت إليك
في الظاهر تفاؤلاً بأن يظهر لك الله على من ناوك ،
ويجعلك ظهراً لمن ولاك .

(٢) الأصحاح : أصحح : دخل الصحراء .

كتب بعضهم إلى رئيس : تختم كُتُبُكَ لَأَنَّهُا
مَطَايَا الْبِرِّ ، وَلَا أَخْتَمُهَا لِأَنَّهُا حَوَامِلُ الشُّكْرِ .

وَقَعَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى إِلَى عَامِلٍ لَهُ : وَأَنْصَفَ مِنْ
وَلَيْتَ أَمْرَهُ ، وَإِلَّا أَنْصَفَهُ مِنْكَ مَنْ وَلِيَ أَمْرَكَ .

وَقَعَ أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ فِي قِصَّةٍ مُتْظَلَمٍ : اكَفْنِي
أَمْرَ هَذَا . وَإِلَّا كَفَيْتَهُ أَمْرَكَ .

استشهد ابنُ الفُرَاتِ (١) فِي أَيَّامِ وَزَارَتِهِ عَلِيَّ بْنَ
عِيسَى ، فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ لَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ :
لَا تَلْمِزْنِي عَلَى نَكُوصِي عَنْ نُصْرَتِكَ بِشَهَادَةِ زُورٍ ،
فَإِنَّهُ لَا اتِّفَاقَ عَلَى نِفَاقٍ . وَلَا وِفَاءَ لِمَنْ مَيَّنَ (٢)
وَإِخْتِلَاقٍ . وَأَحْرَ بِمَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ فِي مَسْرَتِكَ إِذَا رَضِي ،
أَنْ يَتَعَدَّى إِلَى الْبَاطِلِ فِي مَسَاقَاتِكَ إِذَا غَضِبَ . وَالسَّلَامُ .

وَقَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ (٣) فِي ظَهْرِ رُقْعَةٍ : إِذَا

(١) ابنُ الفُرَاتِ : هُوَ الْفَضْلُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْفُرَاتِ ،
أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَزَيْرٌ مِنْ بَيْتِ فَضْلِ وَرِيَاةٍ ، وَوَزَارَةٌ .

(٢) الْمِينُ : الْكَذِبُ .

(٣) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صَوْلٍ ، وَكَانَ صَوْلٌ رَجُلًا
مِنَ الْأَتْرَافِ فَفَتَحَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بِلَدِهِ ، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ .

كَانَ لِلْمُحْسِنِ مِنَ الْحَقِّ مَا يَقْنَعُهُ ، وَلِلْمُسِيءِ مِنَ
النِّكَالِ مَا يَقْدَعُهُ ، بَذَلَ الْمُحْسِنُ الْحَقَّ رَغْبَةً وَانْقَادَ
الْمُسِيءُ لَهُ رَهْبَةً .

كتب القاسمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَرْمِيُّ إِلَى بعضِ
الْوُزَرَاءِ : وَلِي غِيَمًا جَدَّدَ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ لِلْوَزِيرِ
مِنْ بُلُوغِ النِّهَايَةِ ، مَا انْتَرَعَتْهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى
فِي قَوْلِهِ : « (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) » (١) . وَقَدْ عَلَّمَهُ أَنَّ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ
نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ لَمْ يَزَلْ نَامِيًا عَالِيًا عَلَى كُلِّ دِينٍ ، وَأَنَّهُ
لِنَا ضَرْبُ بَحْرَانِدٍ وَقَهْرُ الْأَمَمِ شَرْقًا وَغَرْبًا بَعْدَ كَمَالِهِ .

وَقَعَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ (٢) إِلَى طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ :
يَا نَصِيفَ إِنْسَانٍ . وَاللَّهِ لَتَنْ أَمُرْتُ لِأَنْفَذَنَّ ، وَلَتَنْ
أَنْفَذْتُ لِأَبْرَ مِنْ ، وَلَتَنْ أَبْرَمْتُ لِأَبْلَسَنَّ .

فَأَجَابَهُ : أَنَا — أَعْزَكَ اللَّهُ — كَالْأَمَةِ السُّودَاءِ ،

(١) سُورَةُ الْمَائِدَةِ : ٣ . وَأَوْطَى : « حَرَمْتُ عَلَيْكَ الْمَيْتَةَ .. » .

(٢) ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ : لَقِبَ لِقَبِ بِهِ الْمَأْمُونُ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ . وَمَعْنَى
ذَلِكَ رِيَاةَ الْحَرْبِ وَرِيَاةَ التَّنْدِيرِ . وَعَقْدُ لَهُ الْمَأْمُونُ عَلَى سَنَانِ ذِي شَعْبَتَيْنِ .

إن حمل عايبها دمدمت^(١) وإن رُفِّه عنها أشرت^(٢) :
وإن عوقبت فباستحقاق ، وإن عَفِيَّ عنها فإِحْسَان .

كتب إبراهيم بن العباسِ إلى أهل حِمَصَ :
أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَرِثُ مِنْ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ
اسْتِعْمَالَ ثَلَاثٍ يُقَدَّمُ بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ : الْأَوَّلُ
تَقْدِيمُ تَنْبِيهِ وَتَوْجِيهِ ، ثُمَّ مَا يَسْتَظْهَرُ بِهِ مِنْ تَحْذِيرٍ وَتَخْوِيفٍ .
ثُمَّ الَّتِي لَا يَنْفَعُ لِحُسْمِ الدَّاءِ غَيْرُهَا .

أَنَاةٌ فَإِنْ لِمِ تُخْنِ أَعْقَبَ بَعْدَهَا
وَعِيداً فَإِنْ لَمْ تُجْنِدِ أَغْنَتْ عَزَائِمَهُ
ويقالُ : إِنَّ هَذَا أَوَّلُ كِتَابِ صَدَرٍ عَنْ خَلِيفَةٍ
مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَفِيهِ شِعْرٌ .

وقيل : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ لَمْ يَتَعَمَّدْ أَنْ يَقُولَ
شِعْراً ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا رَأَاهُ مَوْزُوناً تَرَكَهُ .

(٢) دملت : هلكت .

(٣) الأثر : البطر وكفر النعمة .

وَقَعَ جَوْهَرُ (١) مَوْلَى الْفَاطَمِيِّينَ لَمَّا افْتَتَحَ مِصْرَ
فِي قِصَّةِ رَفَعِهَا إِلَيْهِ أَهْلِهَا : سُوءُ الْاحْتِرَامِ أَوْقَعَ بِكُمْ
حُلُولَ الْإِنْتِقَامِ . وَكَفَرُ الْإِنْعَامِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ حِفْظِ
الذِّمَامِ : فَالْوَجِبُ فِيكُمْ تَرْكُ الْإِيجَابِ ، وَاللَّازِمُ
لَكُمْ مِلَازِمَةُ الْاجْتِنَابِ ؛ لِأَنَّكُمْ بَدَأْتُمْ فَأَسَأَأْتُمْ ، وَعَدْتُمْ
فَتَعْدَيْتُمْ . فَابْتَدَأُكُمْ مَسَاسِمٌ ، وَعَوَّدَكُمْ مَذْمُومٌ ،
وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا فُرْجَةٌ تَقْتَضِي إِلَّا الذِّمُّ لَكُمْ ، وَالْإِعْرَاضُ
عَنْكُمْ لِيَرَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - رَأْيَهُ فِيكُمْ .

كُتِبَ عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ إِلَى الْمُوصِلِيِّ : مَا أَدْرِي كَيْفَ
أَصْنَعُ ؟ أَغَيِّبُ فَأُشْتَاقُ ، وَأُتَّقِيَ فَلَا أَشْتَفِي . ثُمَّ سَيُحْدِثُ
لِي اللَّقَاءُ نَوْعاً مِنَ الْحُرْقَةِ ، لِلْوَعْدَةِ الْفَرْقَةِ .

كُتِبَ آخِرُ : مِنَ الْعَجَبِ إِذْ كَانَ مُعَنَّئِي (٢) ،
وَحَثُّ مَتَّيْقَظٍ ، وَاسْتِبْطَاءُ دَائِرٍ إِلَّا أَنْ ذَا الْحَاجَةِ
لَا يَدَعُ أَنْ يَقُولَ فِي حَاجَتِهِ .

(١) هُوَ جَوْهَرُ الصَّقْلِيِّ الْقَائِدِ الَّذِي أَرْسَلَهُ الْمَعزُ لَدَيْنَ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ
لِفَتْحِ مِصْرَ ، فَفَتَحَهَا ، وَبَنَى الْقَاهِرَةَ ، وَاجْتَمَعَ الْأَزْهَرُ ، وَبَعْضُ الْقُصُورِ .
وَقَدْ تَوَفَّى بِالْقَاهِرَةِ .

(٢) الْمَعْنَى : الْمَهْمُومُ .

كتب بعضهم إلى ابن الزيات (١) : إن ميمما يطمعني
في بقائنا عليك ويزيلني بصيرة في دوامها لك ، أنك أخذتها
بحقك ، واستدعيتها بما فيك من أسبابها . ومن شأن
الأجناس أن تنقاوم ، والشئ يتقلقل إلى معدنه ، ويحن
إلى عنصره ، فإذا صادف مستبته ركن في مغرسه ،
وضرب بعرقه ، وسمق بفرعه ، وتمكن الإقامة ،
وثبت ثبات الطبيعة .

آخر : إلى ابن خاقان (٢) : رأيتني فيما أتعاطى من
مدحك كالمسيخ عن ضوء النهار الباهر ، والقمر
الزاهر ، الذي لا يخفي على ناظر ، وأيقنت أنني حيث
أنتهى من القول منسوب إلى العجز ، مقصّر عن الغاية ،
فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ، ووكلت
الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

(٣) ابن الزيات : هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن
حمزة المعروف بابن الزيات من أهل الأدب وقد كان وزيراً للمعتصم .

(٢) ابن خاقان : هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان
الإشيلي ، صاحب كتاب قلائد العقيان . وكلامه في كتبه يدل على غزارة
فصله وسعة مادته وقد توفي سنة ٥٣٥ هـ بمدينة مراکش .

كتب الحسن (١) بن وهب إلى صديق له يدعو :

افتتحت الكتاب - جعلني الله فداك - والآلات
 معدة ، والأوتار ناطقة ، والكأس محثوثة ، والجو
 صاف ، وحواشي الدهر رفاق ، ومخايل السرور لائحة ؛
 ونسأل الله إتمام النعمة بتمام السلامة من شوب العوائق ،
 وطروق الحوادث ، وأنت نظام شمل السرور ، وكمال
 بهاء المجلس . فلا تخترم (٢) ما به ينعظم سروري وبهاء
 مجلسي .

كاتب : قد أهديت لك مودتي رغبة ، ورضيت
 منك بقبولها مثوبة ، وأنت بالقبول قاضٍ لحق ، ومالك
 لرق .

كاتب : كان لي أملان : أحدهما لك ، والآخر
 بك ، أما الأمل لك فقد بلغته ، وأما الأمل بك فأرجو
 أن يحققه الله ويوشيكه .

(١) هو الحسن بن وهب بن سعد ، شاعر كاتب مرسل فصيح أديب .

(٢) اخبرهم الدهر وتخبرهم : اقنطعهم واستأصلهم . والمراد :

لا تخرمي طلبتك التي هي سبب سروري وزينة مجلسي .

آخر : ودّعتُ قلبي بتوديعك ، فهو يتصرفُ
بتصرفك ، وينصرفُ بِمُنْصَرَفِكَ .

آخر : قد كنتَ لنكباتِ الدهرِ مُستعداً ، ولغدَراتِهِ
متحرِّفاً (١) ، فهل زاد على أنْ صدّقَكَ عن نفسه ،
وأثاكَ بما كنتَ عالماً أنه يأتيك؟ فكيف تجزعُ وأنت تعلمُ
أنه ليسَ لما وقعَ مرَدٌّ ولا لما ذهبَ مُرْتَجِعٌ ؟

تهنئة بابنة : ربّ مكروهٍ أعقبَ مسرةً ، ومحبةٍ
أعقبَ معرةً ، وخالقٍ المنفعةِ والمضرةِ أعلمُ بمواضعِ
الخيرِ .

آخر : إنه ليتربّصُ بكَ الدوائرُ ، ويتمنّى لكَ
الغوائلَ (٢) ، ولا يؤمّلُ صلاحاً إلا بفسادِ حالكَ ، ولا رفعةً
إلا بسقوطِ قدرِكَ .

فصل : حَسَرَ الدهرُ عن تجمُّلي قيناعَ القنّاعةِ ،

(١) أي صاداً لغدرات الزمان . يقال : نحرف وحارفه بسوء : جازاه .

(٢) الغوائل : الدواهي ، والمفرد غائلة .

ولكنني - مع الظمأ عن دَنِّيَّ الموارد - نافرٌ ، ومع الفاقةِ
بغنيَّ النفس مُكاشِر .

فصل : من تهنئة بإملاك : وكيف يرتاع لهجوم
غربةٍ ، أو يجاور توحشٍ نُقْلة مَن لم يقطعه اتصاله بي
عنك ، ولا باعده انتقاله إليَّ منك ، فهو مخاطبٌ على البعد
بألفاظك ، مرموقٌ بالمرآعة من الحاظك ، غير نازح
عما أَلِفَه من عَوَاطِفِ الولادة ، ورأفةِ التربةِ ،
وانبساطِ الأنسة ، والله يُسْعِدُهَا بِن سارتٍ إِلَيْهِ كما
سُرَّ بها من وفدتٍ عَلَيْهِ ، وَيُسْرِينِي مِنَ المحبَّةِ فِيهَا مثلُ
ما أَرَانِيهِ مِنَ المحبةِ بها ، وكيف يُوصِي الناظرُ بنوره ،
أَمْ كيف يُحْضُ القابُ على حفظِ سُروره .

وُجد في كتاب بلعفر بن يحيى أربعةُ أسطرٍ بالذهب :
الرزقُ مقسومٌ ، والحريصُ محرومٌ ، والبخيلُ مذمومٌ ،
والחסودُ مغمومٌ .

قال منصورُ بنُ زياد (١) الكاتبُ : للمعلّي بن

(١) منصور بن زياد الكاتب : أديب معاصر ليحيى بن خالد وكان
على صلة طيبة به .

أَيُّوبَ : وَاللَّهِ إِنِّي لأَبْدُلُ ، وَإِنِّي لأَقْدِرُ وَإِنِّي لأَخْتَارُ ،
وَإِنِّي لأَسْتَشِيرُ ، وَإِنِّي لأَحِبُّ مع طيبِ الْخَبْرِ ، وَحَسَنِ
الْمَنْظَرِ ، وَإِنِّي لأَعِشُّ الْبَهَاءَ كَمَا تَتَعَشَّقُ الْمَرْأَةُ الْحُسْنَاءَ ،
وَإِنِّي مع ذَلِكَ لأَدْخُلُ دَارَكَ فَأَحْقِرُ كُلَّ شَيْءٍ فِي دَارِي .
فَمَا الْعِلَّةُ ؟ قَالَ : أَوْ مَا تَعْلَمُ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ لِأَنِّي
أَقْدَمُ غِنًى مِنْكَ .

كَانَ نَقْشُ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الْجَرَّاحِ (١) : مِنْ
نَمِّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ .

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ (٢) : سَأَلْتُ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ
حَاجَةً . فَقَالَ : أَشَوْقُكَ الْيَوْمَ بِالْوَعْدِ ، وَأَحْبَبُكَ غَدًا
بِالْإِنْجَازِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ يُحْيَى بْنَ خَالِدٍ يَقُولُ : الْمَوَاعِيدُ
شَبَكَةٌ مِنْ شِبَاكِ الْكِرَامِ ، يَصِيدُونَ بِهَا مُحَامِدَ الْأَحْرَارِ
وَلَوْ كَانَ الْمُعْطِيُّ لَا يَعْغِدُ ، لَارْتَفَعَتْ مَفَاخِرُ الْإِنْجَازِ
الْوَعْدِ ، وَنَقَصَ فَضْلُ صِدْقِ الْمَقَالِ .

(١) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الْجَرَّاحِ ، وَلَدَ عَامَ ٢٤٣ هـ ،
وَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ لِلْخُلَيفَةِ ابْنِ الْمُعْتَزِ وَقَدْ اشتهر بِأَدَبِهِ . وَمَاتَ سَنَةَ ٢٩٦ هـ .

(٢) مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ : هُوَ الْمَعْرُوفُ بِصَرِيحِ الْغَوَانِي . وَكَانَ مِنْ أَشْعَرِ
شُعَرَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ .

ووقع الفضلُ إلى تميم بن مخرمة : الأمور بتسامها ،
والأعمال بنحواتيها ، والصنائع باستدامتها ، وإلى الغاية
ما يجرى الجوادُ ، فهناك كشفت الخبرة قناع الشك ،
فحميد السابق ، وذم الساقط .

كان يحيى بن خالد : يقول لست ترى أحداً تكبر
في إمارة إلا وقد دلَّ على أن الذي نال فوق قدره ،
ولست ترى أحداً تواضع في الإمارة إلاَّ وهو في نفسه
أكبر مما نال من سلطانه .

احتاج يحيى في الحبس إلى شيء فقيل له : لو كتبت
إلى صديقك فلان فقال : دعوه يسكن صديقاً .

وحضر الفضلُ بن الربيع جنازة ابن حمدون بعد
نكبة البرامكة (١) ، فذكرهم ، وأطراهم ، وقرظهم ،

(١) البرامكة : إحدى الأسر الفارسية التي نشطت في الدولة العباسية ،
وكان لها من أدها ، وكرمها وحسن سياستها ما جعلها تحترف الوزارة
لخلفاء العباسيين أول الأمر . الأمر الذي أوغر صدور الطامحين عليهم ،
فوشوا بهم إلى هارون الرشيد فبطش بهم بطشته الكبرى وسجنهم ، وقتل
بعضهم ، وصادر أموالهم . .

وقال : كنا نعتبُ عليهم ، فصرنا نتمنّاهم ونبكي عليهم ،
ثم أنشد ممتثلاً .

عتبتُ على سَلَمٍ فلمّا فقدتُه
وجرّبتُ أقواماً بكيتُ على سَلَمٍ

قال الفضلُ بنُ سهل : رأيت جملةَ السخّاءِ حسنَ
الظنِّ بالله ، وجملةَ البخلِ سوءَ الظنِّ بالله ، قال
الله تعالى : « (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) » (١) . وقالُ :
« (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) » (٢) . احتجّ أن
يُكتبَ على المعتضد كتابٌ يشهدُ عليه فيه العُدُولُ ،
فلما عُرِضَتْ النسخةُ على عبيد الله بنِ سليمان (٣) ،
وكان ابنُ ثوبةٍ قد كتبها كما يكتبُ في الصّكّاء (٤)
« في صحفةٍ عقله ، وجوازٍ أمره له وعليه » فضرَبَ عليه
عبيدُ الله وقال : هذا لا يجوز أن يُقالَ للخليفة ،
وكتبَ : « في سلامةٍ من جسمه ، وأصالةٍ من رأيه » .

(١) سورة البقرة ٢٦٨ .

(٢) سورة سبأ ٣٩ . وأولها : « قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء » .

(٣) عبيد الله بن سليمان : هو أحد وزراء الموفق بن جعفر المتوكل

العباسي .

(٤) الصّكّاء : جمع صك ، وهو الكتاب ، فارسيّ معرب .

قال الحسنُ بنُ سهلٍ : لا يكسدُ رئيسُ صِناعةٍ إلاَّ
في شرِّ زمانٍ ، وأخسُّ سلطانٍ .

اعتلَّ ذو الرِّياستين بخُرَّاسانَ مدةً طويلةً ثم أبَلَ
واستقلَّ (١) وجلس للناس فدخلوا إليه وهنؤوه بالعافية ،
فأنصتَ لهم حتى تنقَضَ كلامُهم ، ثم اندفع فقال :
إنَّ في العيَالِ نِعماً لا ينبغي للعقلاء أن يجهلُوها ، منها
تمحيصُ للذنبِ ، وتعريضُ لثوابِ الصِّبرِ ، وإيقاظُ مَن
الغفلةِ ، وإذكاءُ بالنعمةِ في حالِ الصحةِ ، واستدعاءُ
للتوبةِ ، وحضُّ على الصَّدقةِ ، وفي قضاءِ اللهِ وقدره
بعد الحيارِ . فانصرفَ الناس بكلامه ، ونسوا ما قال غيرُه .

كتبَ ابنُ الفراتِ عليُّ بنُ محمدٍ ، ومحمدُ بنُ داودَ ،
ومحمدُ بنُ عبدون رُقعةً إلى العباسِ بنِ الحسنِ الوزيرِ
يستزيدون فيها ، فوقَّعَ بخطِّه على ظهرها « ما حَالَكُمْ
حالُ مُستزیدٍ ، ولا فوقَّ ما أنا عليه لکم مِن مزيدٍ ،
فإن تَكن الاستزادةُ من مال فهو موفورٌ علیکم ،
وإن تَکن من رأي فالاعمالُ لکم ، ولي اسمُها ،

(١) استقل : يقال : استقل القوم : ذهبوا أو ارتحلوا .

وعليَّ عبثُها ، وثقلُ تدبيرِها وأقولُ لعلِّي بنِ محمدٍ من
بَيْنِكُمْ : ما يطيقُ نفسه تدلُّلاً واعتداداً أمينٌ بؤسٍ .
كانت هذه الاستزادةُ أم من بطرِ النعمة ، ودلالِ
الثرفة ، ولي في أمرِ جماعتِكُم نظراً ينكشفُ عن قريبٍ ،
حَسْبِي ، وحسبُكم اللهُ ونعمَ الحسيبُ .

عَبَّ أحمدُ بنُ خالدٍ على أحمدَ بنِ هشامٍ في أمرٍ
كان بينهما فاعتذرَ إليه ، فقال ابنُ خالدٍ : لا أقبلُ لك
عذراً حتَّى آتي إليك . فقال : واللهُ لئنُ فعلتُ لاستعديتُ
عليك إلا ظلمتُك ، ولا أطمعُني فيك إلا بغيتُك .

قال الفضلُ بنُ يحيى لبعضِ المتحرِّمينَ (١) به :
أعتذرُ إليك بصالحِ النيةِ ، وأحتجُّ عليك بغالبِ القضاءِ .

وكتبَ إلى عاملٍ له : بئسَ الزادُ إلى المعادِ العدوانُ
على العبادِ .

وقال لرجلٍ استبطأَ عندهُ الرشيدُ — وكان من
أهل بيتِهِ — : إنَّما شغلَ عنك أميرَ المؤمنينَ حُمُوقُ
أهلِ الطاعةِ دونك ، ولو قد فرغَ فيهمُ إليك لم يؤثِّرْ مَنْ
دونك عليك . فقام أبوه يحيى ، فقبَّلَ رأسَهُ .

(١) المتحرِّم . الممتنع ، من تحرَّم بمعنى تمنع وتحمى .

كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر :
 أو لم يكن من فضل الشكر إلا أنه يرى بين نعمة
 مقصورة عليه أو زيادة مستظرة . فقال : عبد الله
 الكاتبه (١) : كيف ترى مسمع هاتين الكلمتين ؟ فقال :
 كأنهما قردطان بينهما وجه حسن .

وقّع جعفر بن يحيى على ظهر كتاب لعلي بن عيسى :
 حبيب الله إياك الوفاء - يا أخى - فقد أبغضته ، وبغض
 إياك الغد . فقد أحببته . إني نظرت في الأشياء لأجد فيها
 ما يشبهك . فلمّا لم أجد رجعت إليك فشبهتك بك .
 واتقد بلغ من حسن ظنك بالأيام أن أمّنت السلامة مع
 البغى ، وليس هذا من عادتها .

قال يحيى بن خالد : ذلّ العزل يضحك من
 تيمم الولاية .

وقال الفضل بن مروان : إنّ الكاتب مثل الدّولاب
 إذا تعطل تكسّر .

قال المأمون لأحمد بن يوسف : إنّ أصحاب

(١) هو محمد بن رباح .

الصدقات تظلموا مِنك ، فقال : يا أمير المؤمنين واللّٰه ما رضي أصحاب الصدقات عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم حتى أنزل اللّٰه فيهم : « ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » (١) فكيف يرضون عني ؟ فاستضحك المؤمنون ، وقال له : تأمل أحوالهم ، وأحسن النظر في أمرهم .

ولكى الرشيد عاملاً خراج طساسيج (٢) السواد ، فقال لجعفر ويحيى : أوصياه . فقال جعفر : وقر واعمر . وقال يحيى : أنصف وانتصف . وقال الرشيد يا هذا : أحسن واعدل . ففضل الناس كلام الرشيد . فقيل لهما : لم نقص كلامكما عن كلامه ؟ فقال جعفر : لا يعتد هذا نقصانا إلا من لا يعرف ما لنا وما علينا . إنما أمرنا بما علينا أن نأمر به ، وأمير المؤمنين بما له أن يأمر به ؟

(٢) سورة التوبة : ٥٨ .

(١) الطساسيج : جمع طسوج - كسفود : الناحية .

قال رجلٌ ليحيى بن خالد - وكان من ضنائه - :
 إنني سمعتُ الرشيدَ وقد خرجتَ من عنده يقولُ :
 قتلني اللهُ إن لم أقتلك ، فاحتل لنفسك . فقال :
 اسكُتْ يا أخي ، إذآ جاءَ الإِدبارُ كان العطبُ في الحيلة (١) .

أمَرَ يحيى كاتبين من كتّابه أن يكتبَا كتاباً في
 معنى واحد ، فكتبَا ، واختصّر أحدهما ، وأطال الآخرُ ،
 فلما قرأ كتاب المختصر ، قال : ما أجدُ موضعَ مزيدٍ .
 ثم قرأ كتاب المطيل ، فقال : ما أحدُ موضعِ نقصانٍ ؟

اعتذر رجلٌ إلى أبي عبيد الله ، فلما أبرم (٢) قال :
 ما رأيتُ عُذراً أشبهَ باستينان (٣) ذنبٍ من هذا .

قال بعضهم لابن الزيات : أنا أمتٌ إليك بجوارِي
 لك ، وأرغبُ في عطفك . فقال : أمّا الجوارُ فنسبٌ
 بين الحيّطان ، وأمّا العطفُ والرفقةُ فهما للصبيان والنساء .

(١) المراد : إذا كان الخط غير موات ، والدنيا مولية ، فالحيلة
 لمنع ذلك قد تعجل الضرر ولا تدفعه .

(٢) أبرم : برم بالأمر : إذا ستمه فهو برم : فسر .

(٣) سنت السنة واستنتها : سرتها . فهو يريد : أنه فعل الذنب ،
 وأغرى به ، وجعلها سنة لغيره .

وناظره رجل فصالحه على مال ، فقال له : عجل به .
فقال الرجل : . . أظلم وتعميل ؟ قال : فصلح وتأجيل ؟
قيل ليحيى بن خالد : غير حاجيتك . قال : فمن
يعرف إخواني القدماء ؟

قال عبید الله بن عبد الله بن طاهر : أتاني كتابُ
المعتز (١) ، وكتابُ أحمد بن إسرائيل (٢) . مع رسول ،
ومعه رأس بُغا وفي الكُتُب أن أنصبّه على الجانيين ،
فلم أفعل وكتبتُ إلى أحمد بن إسرائيل : قد أوجب
اللهُ على نصح أمير المؤمنين من جهات : منها ما تقتضيه
الديانة ، وتوجبهُ الإمامة ، ومنها اضطناع آبائه
لخدمتهم من أسلافي ، ومنها اختصاصه ليّائي بجميل رأيه ،
ومع هذا فلم أكن لأؤخّر عنك رأياً مع ما أنا عليه
من المناصحة والشكر . وإنّ الكُتُب وردت عليّ بنصب
رأس بُغا في الجانيين ، وقد أخبرتُ ذاك حتّى يعود

(١) لما كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، قلد المعتز وزارته جعفر
ابن محمود الجرجاني ، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد بن إسرائيل .
(٢) بقا : أحد زعماء الأتراك الذين جلبهم الخليفة العباسي .

إِلَيَّ الْأَمْرُ بِمَا أَعْمَلُ عَلَيْهِ « وَبِغَا » فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ
لَمْ تُتَّهَمُوا فِيهِ ، وَأَخَافُ أَنْ تَتَّبِعَكُمْ الْأَتْرَاكُ عِنْدَ أَوَّلِ
شَجَبَةٍ بِهِ ، وَيَطَالِبُوكُمْ بِدَمِيهِ . وَيَجْأُوا ذَلِكَ ذَرِيعَةً
إِلَى إِيْقَاعِ سُوءٍ ، وَكَانَ الصَّوَابُ عِنْدِي أَنْ يَغْسِلَهُ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ . وَيُدْفَنَهُ . وَيُظْهِرَ حُزْنَ ،
وَيَقُولَ : مَا أَحَبُّ أَنْ يَصَابَ صَغِيرٌ مِنْكُمْ وَلَا كَبِيرٌ ،
وَقَدْ غَدَّيْنِي أَمْرٌ بَغَا وَلَوْ وَصَلَ إِلَيَّ لَزِدْتُ فِي مَرْتَبَتِهِ ،
وَمَا يُشْبِهُهُ هَذَا .

فورد عليّ كتابُ أحمد بن إسرائيل يشكر ما كان
مني ويخلف أَنَّهُ سَبَقَنِي إِلَى هَذَا الرَّأْيِ ، وَاجْتَهَدَ فِيهِ فَمَا
أَمَكْنَهُ إِلَّا أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَ ، وَلَمْ يَقْبَلْ قَوْلَهُ . وَفِي آخِرِ
كِتَابِهِ : وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَ بَعْدَكَ - وَهُوَ بِمَا لَا نَعْرِفُهُ
نَحْنُ . - وَلَا أَنْتَ - رَأْيٌ لِلْحُرِّمِ وَالْخَدَمِ يَتَّبِعُونَ وَيُفْعَلُ
عَلَيْهِ ، وَهَذَا فَتْحٌ لِلْخَطَا وَإِنْخِلَاقٌ لِلصَّوَابِ فَانْصَبِ الرَّأْسَ
قَلِيلًا ، ثُمَّ أَنْفِذْهُ إِلَى خِرَاسَانَ .

كُتِبَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَعْنَى أَنَّ صَاحِبَ الطَّرِيقِ قَدْ
اشْتَطَّ فِيهَا يَطَالِبُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَوَقَّعَ جَعْفَرٌ : هَذَا رَجُلٌ

منقطعٌ عن السلطان ، وبين ذُؤبان (١) العرب ، بحيثُ
العددُ والعدَّةُ ، والقلوبُ القاسيةُ ، والأُنوفُ الحميةُ ،
فليُمددْ من المال بما يَستصلحُ به من معه ليدفعَ به عبوهُ
فإن نفقاتِ الحروبِ يَستَظهرُ لها ولا يَستَظهرُ عليها (٢) .

وأكثرَ الناسِ شَكِيَّةٌ عامِلٍ فوقَ إليه في قصَّتْهم يا هذا
قد كَثُرَ شاكوكُ ، وقلَّ حامِلوكُ ، فإمّا عدلتَ
وإمّا اعتزلتَ .

وكان يقول : إن قدرتم أن تكون كتبكم كلُّها
توقيعاتٍ فافعلوا .

كتب الفضلُ بنُ سهلٍ في كتابِ جوابِ ساعٍ :
ونحن نرى أن قبولَ السَّعايةِ شرٌّ من السَّعايةِ ، لأنَّ السَّعايةَ
دلالةٌ ، والقبولَ إجازةٌ ، فاتقوا الساعيَ فإنَّه لو كان في
سعايته صادقاً لكان في صدقيه لثيماً ؛ إذ لم يحفظِ الحرمةَ
ولم يَستترِ العورةَ .

* * *

(١) ذُؤبان العرب : لصوصهم وصاليكهم .

(٢) لا يَستَظهرُ عليها : المعنى : يتعاون في دفعها بجمع نفقاتها من
القادرين ، لا بالتساهل في جميع تلك النفقات ، الأمر الذي يؤدي إلى
وقوع الكارثة .

الباب الثامن

نكتٌ مستحسنةٌ للقضاة

قال شُرَيْحٌ (١) : إِنَّمَا لَا نَعِيبُ الشُّهُودَ ، وَلَا نَلْقَنُ
الْخَصُومَ ، وَلَمْ نُسَاطِطْ عَلَى أَشْعَارِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ ، إِنَّمَا
نَقْضِي بَيْنَكُمْ ؛ فَمَنْ سَأَلَكُمْ لِقَضَائِنَا فِيهَا ، وَمَنْ لَا ،
أَمَرْنَا بِهِ إِلَى السَّجْنِ .

كتب الفضلُ بْنُ الرَّبِيعِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَوَّارٍ (٢) يسأله
أن يشتري له ضميعة . فكتب إليه : إِنْ الْقَضَاءُ لَا يُأْنَسُ بِالْوَكَاةِ .

قال الزُّهْرِيُّ (٣) : ثَلَاثٌ إِذَا كُنْ فِي الْقَاضِي فَلَيْسَ
بِمَقْضٍ : إِذَا كَرِهَ الْأَوَائِمَ ، وَأَحَبَّ الْمُحَامِلَةَ ، وَكَرِهَ
الْعَزْلَ .

(١) هو أَبُو أُمَيَّةَ شُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ الْكَنْدِيُّ ، وَلِي قَضَاءَ الْيَكُوفَةِ
لِعَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَمِنْ بَعْدِهِ خَمْسًا وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَلَمْ يَتَعَطَّلْ فِيهَا إِلَّا
ثَلَاثَ سَنِينَ ، وَكَانَ لَهُ دَرَجَةٌ فِي الْقَضَاءِ .

(٢) هو عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَوَّارِ الْعَبْدِيِّ ، اسْتَشْهَدَ سَنَةَ ٤٦٠ هـ .

(٣) هو عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّهْرِيُّ ، أَبُو مَصْعَبٍ .

قال أيوب : إِنْ مِنْ أَصْحَابِي مَنْ أَرْجُو دَعْوَتَهُ ،
ولا أُجِيزُ شَهَادَتَهُ .

وقال سوار (١) : مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي أَفْضَلَ
مِنْ عَطَاءِ السُّلَمِيِّ ، وَلَوْ شَهِدَ عِنْدِي عَلَى فَتَّاسِينَ مَا أَجَزْتُ
شَهَادَتَهُ يَلْهَبُ إِلَيَّ أَنَّهُ ضَعِيفٌ لَيْسَ بِالْحَازِمِ .

وكان أبو هريرة (٢) لَا يُجَوِّزُ شَهَادَةَ أَصْحَابِ
الْحَمِيرِ .

وسُئِلَ قَتَادَةُ عَنْ شَهَادَةِ الصَّبْرِيِّ . فَقَالَ : لَا تَجُوزُ
شَهَادَتُهُ .

وليَّ عبيدُ اللَّهِ بنُ أبي بَكْرَةَ (٣) قَضَاءَ الْبَصْرَةِ فَجَعَلَ
يُحَايِي النَّاسَ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَمَا خَيْرُ رَجُلٍ
لَا يَقْطَعُ لَأَخِيهِ مِنْ دِينِهِ ؟

قال شريح : الْحِلَّةُ كُنْيَةُ الْجَهْلِ .

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار القاضي .

(٢) أحد رواة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن
الذين كانوا يحفظون السنة ويبلغونها الناس .

(٣) هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابنُ شُبَيْرُمة لرجلٍ : أَتَشْرَبُ النِّبِيْدَ ؟ قال :
أَشْرَبُ الرُّطَايِنَ وَالثَّلَاثَةَ .

فقال : وَاللَّهِ مَا شَرِبْتَهُ شُرْبَ الْفَيْتِيَانِ ، وَلَا تَرَكْتَهُ
تَرْكَ الْقُرْآنِ .

وقيلُ لَهُ : لِمَ تَرَكْتَ النِّبِيْدَ ؟ فقالَ إِنْ كَانَ مُحَلَّلًا
فمَحْظِي تَرَكْتُ ، وَإِنْ كَانَ مُحْرَمًا فَبِالْحَزْمِ أَخَذْتُ .
وَسُئِلَ شَرِيكَ عَنْ النِّبِيْدِ . فقال : قَدْ شَرِبْتَهُ قَوْمٌ
صَالِحُونَ يُقْتَدَى بِهِمْ . ففَقِيلَ : كَمْ أَشْرَبُ ؟ قال :
مَثَلًا يَشْرَبُكَ (١) .

لَمَّا وَلِيَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ اسْتَصْغَرُوا سَنَّهُ ،
فقالَ لَهُ رَجُلٌ " كَمْ سَنُ الْقَاضِيِ أَعَزَّهُ اللهُ ؟ فقالَ : سِنُ
عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ (٢) مُحِيزٌ وَلَا هُ رَسولُ اللهِ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ ، ففَجعلَ جِوابَهُ احتِجاجًا .

(١) المراد : مَا لَا يَذْهَبُ بِوَعْيِكَ وَإِدْرَاكَكَ .

(٢) عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ : وَلَاهُ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَ مَكَّةَ
وَهُوَ ابْنُ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ سَنَةً .

ساوَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَعْرَابِيًّا بِفَرَسٍ لَهُ فَلَمَّا
قَامَتْ عَلَى ثَمَنِ أَخَذَهَا مِنْهُ عُمَرُ عَلَى أَنَّهُ فِيهَا بِالْخِيَارِ ،
إِنْ رَضِيَ أَمْسَكَ ، وَإِنْ كَرِهَ رَدَّ ، فَحَمَلَ عُمَرُ
عَلَيْهَا رَجُلًا يُشَوِّرُهَا (١) فَوَقَعَتْ فِي بئرٍ فَتَكَسَّرَتْ ،
فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ ضَمِنْتَ فَرَسِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ :
كَلَامٌ ، فَلِئَنِّي لَمْ أَرْضَها . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
رَجُلًا مِنَ الْمَسْلُومِينَ . فَجَعَلَ بَيْنَهُمَا شُرَيْحًا ، فَقَصَّصَ عَلَيْهِ
الْقِصَّةَ ، فَقَالَ شُرَيْحٌ ضَمِنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَرَسَ الرَّجُلِ ،
لَأَنكَ أَخَذْتَهَا عَلَى شَيْءٍ مَعْلُومٍ ، فَأَنْتَ لَهَا ضَامِنٌ حَتَّى
تَرُدَّهَا عَلَيْهِ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ عُمَرُ ، وَبَعَثَ شُرَيْحًا عَلَى قِضَاءِ
الْكُوفَةِ .

سَلَّ الشَّعْبِيُّ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ : لَا عِلْمَ لِي بِهَا .
فَقِيلَ : لَا تَسْتَحْيِي ؟ قَالَ : وَلَمْ أَسْتَحْيِ مِمَّا لَمْ يَسْتَحْيِ مِنْهُ
الْمَلَائِكَةُ حِينَ قَالَتْ : « (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) » (٢) ؟
كَانَ تَشْرِيحٌ يَقُولُ : مَنْ سَأَلَ مُحَاجَةً فَقَدْ عَرَضَ

(١) شار الدابة يشورها : راضها أو ركبها عند العرض على مشترئها .

(٢) سورة البقرة : ٣٢ . وأولها : « قالوا سبحانك » ..

نفسه على الرُّقِّ ^١ فإن قضاهَا المسئُولُ استعبدَهُ بها ، وإن رَدَّه عنها رجع محرراً ، وهُمَا ذَلِيلَانِ : هَذَا بَدَلُ اللُّؤْمِ ، وَذَلِكَ بَدَلُ الرَّدِّ

قال بكارُ بنُ محمدٍ رأيتُ سَوَّارَ بنَ عبدِ اللهِ - وأراد أن يحكمَ فرفعَ رأسَهُ إلى السَّمَاءِ ، وترقرقتُ عيناهُ ثمَّ حكَمَ .

قيل للشَّعْبِيِّ (١) : ما أحسنَ البراءةَ في الإمامِ ! فقال : تَوَرَّدُ ماءُ الحياءِ في وجهِ الحرِّ أحسنُ .

دخل شُرَيْحٌ على بعضِ الأمراءِ ، فقال الأميرُ : يا جاريةُ ؛ هاتي عوداً فجاءته بعُودٍ يضربُ . فلما بَصَرَ به الأميرُ خَجَلَ ، وقال : نِعِمَّ هَذَا ، أَخِيذِ الْبَارِحَةَ مع إنسانٍ في الطَّوْفِ . اكسروه . ثم صبر قليلاً ، وقال : يا جاريةُ . هاتي عوداً للْبُخُورِ . فقال شُرَيْحٌ : أَخْشَفُ أن تغلظَ مَرَّةً ثَانِيَةً ؟؟

(١) الشَّعْبِيُّ : هو أَبُو عامر بن شراحيل اليميني الكوفي ، تابعي جليل القدر ، وافر العلم . ولد سنة ٥٢١ تقريباً بالكوفة ، وكان عالماً باللغة والسنة .

شهد رجلٌ من جلساءِ الحسنِ بشهادةِ إياسِ بنِ معاويةَ ، فردّه ، فشكا الرجلُ ذلك إلى الحسنِ . فأتاه الحسنُ فقال : يا أبا وائيلةَ ، لم ردّدْتَ شهادةَ فلان ؟ فقال : يا أبا سعيد ؛ إن اللهَ يقول «(مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ)» (١) وليس فلان مِمَّنْ أَرْضَى :
وشهد عند عبيدِ الله بنِ الحسنِ رجلٌ من بني نهشلٍ على أمر ، فقال له : أتروني قول الأسود بن يعفر (٢) :

* نام الخليليُّ فما أحسُّ رُقادي *

فقال له الرجل : لا . فقال : تُردُّ شهادتهُ . وقال : لو كان في هذا خيرٌ لروى شرفَ أهليه .
جاء رجلٌ إلى شُريح فكلمه بشيء ، وأنخفه .

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ . وأول الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ... » .

(٢) هو الأسود بن يعفر :

نام الخلي وما أحس رُقادي والهم مختصر لدي وسادي
وهو شاعر متقدم فصيح من شعراء الجاهلية .

فلما قام قال له رجلٌ : يا أبا أمية ، ما قال لك ؟ قال :
يا بنَ أخي . أو ما رأيته أسره منك ؟

كان شريح عند زياد - وهو مريض - فلما خرج
من عنده أرسل إليه مسروق بن الأجدع رسولا وقال :
كيف تركت الأمير ؟ فقال : تركته يأمر وينهى . قال
مسروق : إنه صاحب عويص (١) ، فارجع إليه
وأسأله : ما يأمر وما ينهى ؟

قال : يأمر بالوصية وينهى عن النوح .

ومات ابن شريح فلم يشعر بموته أحد ، ولم
تصرخ عليه صارخة ، فقبل له : يا أبا أمية ، كيف
أمسى ابنك ؟ قال : سكن عله (٢) ورجاه أهله .
وما كان منذ اشتكى أسكن منه الليلة .

حكى عن الشعبي أنه قال : شهدت شريحا ،
وجاءته امرأة تُخاصم زوجها ، فأرسلت عينيها ،

(١) أي كلام ملتو لا يفهم .

(٢) عله - العلز - بالتحريك : الضجر . والعلز : شبه رعدة

تأخذ المريض .

فبكت . فقلتُ : يا أبا أمية ؛ ما أظنُّ هذه البائسةَ
إلا مظلومةً .

فقال : يا شعبيُّ ؛ إنَّ إخوة يوسف «(جاءوا أباهم
عشاءً يبكون » (١) .

كان شُرَّيح إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا
أمية ؟ قال : أصبحت ونصفُ الناسِ غضابٌ .

كان لشُرَّيح حائِطٌ مائِلٌ ، فقال له جارُّ له :
حائِطُكَ هذا مائِلٌ . قالَ : لا تُفسِّرْني أو يُنْقَضْ .
قال : فنقضه من ساعته .. فقال الرجلُ : لا نَعْمَلُ
يا أبا أمية ، فذاك إلَيْكَ . قال : بعد أن أشهدت عليَّ ؟

قال الشعبيُّ : وجهني عبدُ الملك بن مروان إلى ملك
الرُّوم ، فلمَّا قدِمْتُ عليه ودفعْتُ إليه كتابَ عبد الملك
جعل يُسأِّلُنِي عن أشياء فأخبرته بها ، فأقمتُ عنده
أياماً ، ثم كتب جوابَ كتابي ، فلمَّا انصرفتُ رفعته
إلى عبد الملك فجعل يقرؤه ، ويتغيَّر لونُه ، ثم قال :

(١) الآية : ١٩ من سورة يوسف «(وجاءوا ... » .

يا شعبي : علمت ما كتب الطاغية ؟ قلت : يا أمير المؤمنين . كانت الكتبُ مختومةً ولو لم تكن مختومةً ما قرأتها ، وهي إليك . قال : إنه كتب : إن العجب من قوم يكونُ فيهم مثلٌ من أرسلت به إلى فيملاكون غيره . قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، ذلك لأنّه لم يرك . قال : فسرتي عنه ، ثم قال : حسدني عليك ، فأراد أن أقتلك .

قال الشعبي : قدمتُ على عبد الملك ، فسا رأيتُ أحسن حديثاً منه إذا حدث ، ولا أحسن إنصافاً منه إذا حدث ، ولا أعلم منه إذا خولف ، وأخطأتُ عنده في أربع : حدثني يوماً بحديث ، فقلت : أعده عليّ يا أمير المؤمنين ، فقال : أمّا علمت أنه لا يُستعادُ أمير المؤمنين ؟ وقلت له حين أذن لي عليه : أنا الشعبي يا أمير المؤمنين . فقال : ما أدخلناك حتى عرفناك . وكتبتُ عنده رجلاً فقال : أمّا علمت أنه لا يُكنى أحدٌ عند أمير المؤمنين . وسألته أن يُكثّرتي حديثاً . فقال : إنّنا نُكثِّبُ ولا نَكُثِّبُ .

لما أخذ الحجاجُ الشعبيّ -- وكان خرج عليه مع ابن

الأشعث — قال : يا شعبي ، ألم أرفع من قَدْرِكَ ،
وبلغت بك شرفَ العطاء ، وأوفدتك على أمير المؤمنين ،
ورضيتك جليساً لي ومحدثاً ؟ قال : بلى ، أصلح الله
الأمير . قال : فما أخرجك مع ابنِ الأشعثِ تقاتلني على
غير دين ولا دُنيا ؟ فأين كنت من هذه الفتنَةِ ؟ فقال :
أصلح الله الأمير ، وأوحشَ الجَنابُ ، وأحزنَ بنا
المنزلُ ، واستشعرنا الخوفَ ، واكتحلنا السهرَ ، وفقدنا
صايحَ الإخوان ، وشملتنا فتنةٌ لم نكن فيها بررةً أتقياءَ ،
ولا فجرةً أقوياءَ . فضحك الحجاجُ ، وعفا عنه .

قال الشعبي : مَنْ أَمِنَ الثَّقَلَ ثَقُلَ .

أُسمِعَ رجلَ الشعبيّ كلاماً ، وعدّدَ فيه خِصالاً
قييحةً — والشعبيُّ ساكتٌ — فلما فرغ الرجلُ من كلامه ،
قال : واللهِ لأغِيظَنَّ مَنْ أَمَرَكَ بهذا . إن كنتَ صادقاً ،
فغفرَ اللهُ لي ، وإن كنتَ كاذباً فغفرَ اللهُ لك .

قيل : يا أبا عامر : وَمَنْ أمرُهُ بهذا ؟ . قال : الشيطانُ

وقال ابن شبرمة : مَنْ بالغَ في الخُصومةِ أثِمَ ،
ومن قَصَرَ نَخِصِمَ .

وقال : من لَزِمَ العَفَافَ هانت عايه مَوْجِدَةٌ المَالُوكِ .
 دخل رجلٌ على عيسى بن موسى بالكوفة فكلَّمه ،
 وحضر عبدُ الله بنُ شُبْرَمَةَ فَأَعَانَهُ ، وقال : أَصْلَحْتُ
 اللَّهُ . إنَّ له شرفاً ، وبيتاً وَقَدْ مَأً . فقيل لابنِ شبرمة :
 أَتَعْرِفُهُ ؟ قال : لا . قَالُوا : فكيف أَثْنَيْتَ عليه ؟
 قال : قلتُ ؛ إنَّ له شرفاً ، أَي : أَذُنَيْنِ وَمَنْكَبَيْنِ ،
 وبيتاً يَاوِي إِلَيْهِ ، وَقَدْ مَأً يَطُأُ عَلَيْهَا .

وقال له رجلٌ : صَنَعْتَ إِلَى فُلَانٍ ، وَصَنَعْتَ ، فَقَالَ :
 اسْكُتْ ، فَلَا خَيْرَ فِي الْمَعْرُوفِ إِذَا أُحْصِيَ . وَكَانَ إِذَا
 وَلِدَ لَهُ غَلَامٌ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ بَرّاً تَقِيّاً ، واجعل
 لِدَّتِهِ فِي بَلَدِهِ .

قيل : بينا رَقَبَةٌ بَنُ مَصْفُوقَةَ الْقَاضِي فِي حَلَقَةٍ إِذَا
 مَرَّ رَجُلٌ غَلِيظُ الْعُنُقِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ : يَا أَبَا
 عَبْدِ اللَّهِ ، هَذَا الَّذِي تَرَى مِنْ أَعْبَادِ النَّاسِ . فَقَالَ رَقَبَةٌ :
 لَا أَرَى لِهَذَا عُنُقًا قَالِمًا وَقَدْ تَهَا (١) الْعِبَادَةُ .

(١) وَقَدْ تَهَا : مِنْ مَعَانِي وَقَدْ : سَكَنَهُ ، وَتَرَكَ عِلِيلًا .. وَالْمُرَادُ :
 أَنَّ الْعِبَادَةَ لَمْ تَتَوَثَّرْ عَلَيْهِ بِدَلِيلٍ أَنَّ عُنُقَهُ مَازَالَتْ مِثْلَةً وَغَيْرَ مُسْتَقَرَّةٍ .

قال : فمضى الرجلُ ، ثم عاد قاصداً إليهم ، فقال
رجلٌ لرقبةَ : يا أبا عبد الله ، أخبرهُ بما قلت ؛ لا تكون
غيبتهً . قال : نعم . أخبرهُ حتى تكون نسيمةً .
وكان رقبةٌ يقول : أيُّ مجلسٍ المسجدُ لو كان عليك
فيه إذن !

خاصم رجلٌ خالدَ بنَ صفوان (١) إلى بلال ، فقضى
للرجلِ عليه . فقام خالدٌ وهو يقولُ :
* سحابةٌ صَيْفٍ عن قليلٍ تَنْقَشِعُ *

فقال بلالٌ : أما إنها لا تَنْقَشِعُ حتى يصيبك منها
شَوْبُوبٌ (٢) بَرْدٍ . وأمر به إلى الحبس .

فقال خالد : علامَ تحبسُنِي ؟ فو الله ما جنيتُ
جنايةً . فقال بلال : يخبرنا عن ذلك بابٌ مُصَمَّمٌ ،
وأقيادٌ ثَمَالٌ ، وقيَمٌ يقال له : حفص .

قال بلال : إذا رأيتَ الرجلَ لجوَّجاً مَمارِياً ، معجباً
برأيه ، فقد تَمَّتْ خسارَتُهُ .

(١) خالد بن صفوان : هو أحد بخلاء العرب .

(٢) شَوْبُوب بَرْدٍ : الشَّوْبُوب : الدفعة من المطر ، والدفعة من كل شيء .

كان إياسُ بنُ معاويةَ بنِ قرّةَ (١) صادقَ الظنِّ ،
لطيفاً في الأمور ، وتولّى قضاءَ البصرة في أيام عمرَ بنِ
العزيز . واختصم إليه رجلان في مُطَرَفٍ خَزٍّ وأنبجانيٍّ (٢) ،
فادّعى كلُّ واحد منهما المُطَرَفَ الخَزَّ أنه له ، وأنَّ
الأنبجاني للآخر . فدعا إياس بمشط وماء ، فبلَّ رأسَ
كلِّ واحد منهما . ثم قال لأحدهما : سرح رأسك .
فخرج في المُشط غفرُ المطرف (٣) ، وفي مشط الآخر غفرُ
الأنبجاني . فقال : يا خبيثُ ؛ الأنبجانيّ لك . فأمر . فدفع
المطرف إلى صاحبه .

استودعَ رجلٌ رجلاً من أمناء إياسٍ مالا ، وخرجَ
الرجلُ إلى مكة . فلما رجع طالبه بالمال فجحدّه ،
فأتى إياساً فأخبره ، فقال إياس : عليم أنك أتيقي ؟
قال : لا . قال : فنازعتك عند أحد ؟ قال : لا . لا يعلم أحدٌ

(٣) هو إياس بن معاوية بن قرّة المزني الليثي ، وكنيته أبو وائلة .
يضرب بذلك المثل .

(٢) الأنبجاني : ثوب من الكتان ونحوه وليس غالي القيمة .

(٣) غفر المطرف : يقال : غفر الثوب غفراً : ثار زثيره .
والمطرف : الثوب والمعنى : ظهر غبار الثوب .

أحدٌ بهذا . قال : فانصرف ، واكتسبُ أمرُك ثم عُدْ
إليَّ بعدَ يومين . فمضى الرجل ، ودعا إياسُ أمينته ذلك ،
فقال : قد حضرَ مالٌ كثيرٌ ، وأريدُ أن أصيرَه إليك
أَتَحْصِنَنَّ مَنْزِلَكَ ؟ قال : نعم . قال : فأعِدَّ موضعاً
للحال ، وقوماً يحملونه . وعاد الرجلُ إلى إياس ، فقال له :
انطلقْ إلى صاحبك ، فاطلُبْ مالك . فإن أعطاك
فذاك ، وإن جحدك فقلْ له : إنِّي أخبرُ القاضي .
فأتى الرجلُ صاحبه ، فقال : مالي ، وإلاَّ أتيتُ القاضي ،
وشكوتُ إليه ، فدفعَ إليه ماله ، ورجعَ الرَّجلُ إلى
إياس فأخبره ، وجاء الأَمِينُ لموعيدِهِ ، فزجره إياسُ
وقال : لقد بانَ يا خائنُ .

قال إياسُ لقومٍ من أهل مَكَّةَ : قدمنا بلادكم ،
فعرَفنا خياركم ، وشراركم قالوا : وكيف عرَفتم ؟
قال : كان معنا أخيارٌ ، وأشرارٌ نعرِفُهُم ، فلحق
كلُّ جنسٍ بجنسه .

كان إياسُ يقول : الحبُّ (١) لا يخدعُنِي ، ولا يخدع
ابنَ سيرين ، ويخدعُ الحَسَنَ ، ويخدعُ أبي .

(١) الحب : المخادع الغاش .

أَخَذَ الْحَكَمُ بْنُ أَيُّوبَ (١) إِيَّاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ فِي
ظِلَّةِ الْخَوَارِجِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَكَمُ : إِنَّكَ خَارِجِيٌّ مُنَافِقٌ ،
وَأَوْسَعُهُ شَتْمًا . ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِيَّتَنِي بِكَفِيلٍ . فَقَالَ :
أَكْفُلْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَمَا أَحَدٌ أَعْرَفَ مِنْكَ بِي . قَالَ :
وَمَا عَلِمَ بِي وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ
الْعِرَاقِ ؟ فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ : فَفَيِّمَ هَذِهِ الشَّهَادَةُ مِنْذُ الْيَوْمِ ؟
فَضَحَكَ وَخَلَّتْ سَبِيلُهُ .

كَانَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى وَلِيَّ الْقَضَاءِ لِبْنِي أُمِيَّةَ ، وَبَعْدَهُمْ
لِبْنِي الْعَبَّاسِ . وَقِيلَ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَلَّى قَضَاءَ بَغْدَادَ .
وَقِيلَ : بَلْ أَوَّلُ مَنْ تَوَلَّاهَا مِنَ الْقُضَاةِ شَرِيكَ .

وَقَالَ سَفِيَّانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : شَهِدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنَ الْأَسْوَدِ عِنْدَ ابْنِ لَيْلَى بِشَهَادَةٍ ، فَتَوَقَّفَ فِي شَهَادَتِهِ .
قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : فَتَنَظَّرْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى فِي ذَلِكَ ، وَقَلَبْتُ
لَهُ : أَلَيْسَ لَكَ بِالْكَوْفَةِ رَجُلٌ مِثْلُهُ ؟ ؟ فَقَالَ : هُوَ كَذَلِكَ ،
إِلَّا أَنَّ الَّذِي شَهِدَ بِهِ عَظِيمٌ ، وَالرَّجُلُ فَقِيرٌ . قَالَ : فَأَعْجَبَنِي
هَذَا مِنْ قَوْلِهِ .

(١) هُوَ الْحَكَمُ بْنُ أَيُّوبَ الشَّقْفِيُّ عَامِلُ الْحِمَجِ .

وأخذ على ابن ليلى رجلٌ من جلسائه كلمةً ،
فقال له ابن أبي ليلى : أهد إلينا من هذا ما شئت .
وكان يقول : أخذ ركم الثقات (١) .

دعا المنصور ابن أبي ليلى ، فأرادَه على القضاء ،
فأبى ، فتوعده إن لم يفعل . فأبى أن يفعل ، ثم إن غداء
المنصور حضر ، فأتي فيما أتى بصحفة فيها مثالُ رأس .
فقال لابن أبي ليلى : خذ أيها الرجلُ من هذا . قال ابنُ
أبي ليلى : فجعلتُ أضربُ بيدي إلى الشيء ، فاذا وضعته
في فمي سال ؛ لا أحتاجُ إلى أن أمضغه . فلما فرغ
الرجلُ جعلُ يلحسُ الصَّحفةَ . فقال لي : يا محمدُ .
أتدري ما كنتُ تأكلُ ؟ قلتُ : لا - والله - يا أميرُ
المؤمنين . قال : هذا مخُ النِّينان (٢) معقودٌ بالسكر
الطبرزد (٣) . وتدري بكم تُقَوِّمُ هذه الصَّحفةُ علينا ؟

(١) المراد أنه لا يليق أن يثق الإنسان بغيره ثقة مطلقة ، بل يأخذ
كلامه بحرص وتأمل وتشكيك حتى يثبت صدقه .

(٢) النينان : جميع (نون) وهو الخوت .

(٣) السكر الطبرزد : الطبرزد : السكر ، معرب ، كأنه نحت من
نواحيه بالفأس .

قلت : لا ، يا أمير المؤمنين . فقال : تقوّم بثلاث مائة وبضعة عشر . أتدري : لِمَ ألحسُها ؟ هذه صحيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنا أطلبُ البركةَ بذلك . فلما خرجَ ابنُ أبي ليلى من عنده رفعَ رأسه إلى الربيع فقال : لقد أكل الشيخُ عندنا أكلةً لا يفليحُ بعدها أبداً .

فلما كان عَشِيَّ ذلك اليوم راح ابنُ أبي ليلى إلى المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فكرتُ فيما عرضت عليّ ، فرأيتُ أنه لا يسعُنِي خِلافُكَ . فوالاهُ القضاء . ثم قال للربيع : كيف رأيتَ حَدسي ؟

رُوي عن العباس بن محمد (١) أنه قال : لما أرادَ المنصورُ شريكَ بنَ عبد الله علىَ القضاءِ قالَ : أريدُ أن تكلّمَ أميرَ المؤمنين ليُعَفِّيَنِي فقلتُ له : إنَّ أبا جعفر إذا عزمَ أمراً لم تُردَّ عزمائهُ . قال : فلما قام ، وأقرّه على القضاءِ قلتُ له : إنَّ أميرَ المؤمنين المهديَّ ألينُ عريكةً من الماضي . فقال : أما الآنَ فلا ، فلإني أخشى شِماتة الأعداء .

(١) هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس : أخو المنصور .

قال بعض أصحاب الحديث : سألتُ شريكاً عن النبيذ ، فقال لي : أمّا أنا فلا أتركه حتى يكون أسوأ عملي .

وسئل عن أبي حنيفة (١) ، فقال : أعلمُ الناس بما لا يكون ، وأجهلهم بما يكون .

ودخل على المهديّ فقال له : يا شريك ، بالغنيبي أنّك فاطميّ . فقال : أتحبُّ فاطمةَ ؟ أعثرَ اللهُ من لا يحبُّ فاطمةَ . فقال المهديّ : آمين . فلما خرج شريك قال المهديّ لمن عنده : لعنةُ الله ، ما أظنُّهُ إلّا عَنّاني . وقال له يوماً : أيُّنا أشرفُ : نحن أم ولدُ عليّ ؟ فقال شريك : هات أمّاً مثلاً فاطمة حتى تُساويهم في الشرف .

ولما دعاه المهديّ إلى القضاء قال له : لا أصلحُ لذلك . قال : ولمّ ذاك قال : لأنّني نساءٌ . قال : عليك بمضغ

(١) الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه ، الإمام الفقيه ، الكوفي ، أدرك بعض الصحابة وكان عالماً ، زاهداً ، عابداً ، ورعاً تقياً ، دائم التضرع إلى الله . وقد أبى أن يتولى القضاء على الرغم من إلحاح الخلفاء عليه في ذلك حتى حبس من جراء امتناعه . ومذهبه يعتنقه الكثير من المسلمين . توفي سنة ٥١٥ هـ .

اللّبان (١) . قال : لِيَنِي حَدِيدٌ* . قال : قد فرض لك أمير المؤمنين فالْمُوذَجَةُ (٢) توقرك . قال : لِيَنِي امرؤ أقضي على الوارد ، والصادر .

قال : اقضِ عليّ ، وعلي والدي . قال : فاكفني حاشيتك . قال . قد فعلتُ .

فكانت أول رقعة وردت عليه خالصة جارية المهدي . فجاءت لتتقدم الخصم ، فقال : وراءك مع خصميك مِراراً . فأبَت . فقال : وراءك يا خنساء (٣) قالت : يا شيخ ، أنت أحقُّ .

قال : قد أخبرتُ مولاك ، فأبى عليّ . فجاءت لِيَلِي المهدي تشكو لِيَلِيه . فقال لها : الزمي بيتك ، ولا تعريضني له .

(١) اللبان - بضم اللام : نبات من الفصيلة البخورية يفرز صمغاً ويسمى الكندر .

(٢) الفالوذج : والفالوذ : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، وتصنع الآن من النشا والماء والسكر ، وهو معرب .

(٣) بالخناء : اللخن : قبح ريح الفرج . والخناء : التي لم تختن . وقيل : اللخن : التتن .

قال ابن أبي ليلى إلى قوله : ليست من الإيمان .
وقال : كيف أجيزُ شهادة قوم يزعمون أن الصلاة
ليست من الإيمان .

وكان ابنُ شُبْرُمة يقول : لأنَّ استعملَ خائناً
بصيراً بعمله أحبُّ إليَّ من أن استعمل مُضَيِّعاً لا يبصر
العملَ .

ودخل سوارُ بن عبد الله على المنصور — والمصحفُ
في حجره ، وعينه تملان (١) — فقال : السلام عليكم .
يا أمير المؤمنين . فقال : يا سوارُ ، ألا مرةً على المؤمنين !!
هدمتُ ديني ، وذهبتُ بآخرتي ، وأفسدتُ ما كان من
صالح عمي . قال سوارُ : فانتهزتها فرصةً ، وطلبتُ
ثوابَ الله في عظمتِه فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنك جديرٌ
بالبُكاءِ ، حقيقٌ بطلول الحزن ما أقمتَ في الدنيا . وقد
استرعاك الله أمرُ المسلمين ، واستحفظك أموالهم ؛
يسألك عما عملت فيما استرعاك في اليوم الذي أعلمك في
كتابه ، فقال « (يومئذ يصُدُّرُ الناسُ أَشْثَاتًا لِيُرْوَا

(١) عيناه تملان : هملت : فاظت وسالت .

أَعْمَالُهُمْ . فَمَنْ يَّعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَّعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (١) . فَاذْدَادُ بُكَاءٍ ، وَقَالَ : ((يَا لَيْتَنِي مَبْتُ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا)) (٢) .
ثُمَّ قَالَ يَا سَوَّارُ إِنِّي أَعَالِجُ نَفْسِي ، وَأُعَاتِبُهَا مِنْذُ وَآيَتِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَمَلِ الدَّرَّةِ عَلَى عُنُقِي ، وَالْمَشْيِ فِي الْأَسْوَاقِ عَلَى قَدَمِي ، وَأَنْ أَسْدَّ بِالْجَرِيشِ (٣) مِنَ الطَّعَامِ جَوْعَتِي وَأَوَارِي بِأَخْشَنِ الثُّوبِ عَوْرَتِي ، وَأُضِعَ قَدْرَ مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا ، وَأَرْفَعَ قَدْرَ مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ، وَسَعَى لَهَا ، فَلَمْ تُطِئْنِي ، وَعَصَيْتَنِي ، وَنَفَرْتُ نَفُورًا شَدِيدًا .

قَالَ سَوَّارُ لَا تَحْشَشْهُمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَعَابَ الْأُمُورِ ، وَلَا نَحْمَلْهَا مَا لَا تُطِيقُ ، وَأَلْزَمَهَا أَرْبَعَ خِصَالٍ تَسَامُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ : أَقْسِمِ بِالْحُدُودِ وَاحْكُمِ بِالْعَدْلِ ، وَاجْتَبِ الْأَمْوَالَ مِنْ وَجُوهِهَا ، وَاقْسِمِ عَلَى أَهْلِهَا بِالْحَقِّ .
نَخَاصِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى الْكَرِيزِيِّ (٤) مَوْلَى

(١) سورة الزلزلة : ٦ - ٨ .

(٢) سورة مريم : ٢٣ وأولها : « فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ... » .

(٣) الجريش : دقيق فيه غلظ . والمعنى الطعام الخشن .

(٤) هو عبد الله بن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كرز ،

القرشي .

له في أرض إلى صوّار — وكان جدّه أُقْطعها جدّه — فقال
سوارُ : لني لأَرْغبُ بك عن هذا ؛ تُنْزَعُهُ في أرض
أُقْطعها جدّك جدّه ؟ فقال الكريزي : الشحيحُ أغدُرُ من
الظالم . فنكس سوارُ طويلاً ، ثم رفع رأسه ، فقال :
اللهمّ ارددْ على قريش أخطارها .

دعا الرشيد أبا يوسف القاضي (١) ليلاً فسأله عن
مسألة ، فأفتاه . فأمر له بمائة ألف درهم . فقال : إن
رأى أميرُ المؤمنين أن يأمر بتعجيلها قبل الصبح . فقال :
عجلوها له . فقيل : إن الخازن في بيته ، والأبواب
مغلقة . فقال أبو يوسف : وقد كنت في بيتي والدُروبُ
مُغلقة ، فحين دعيّ بي فُتِحت .

وقال له الرشيد : بلغني أنك لا ترى لبس السواد (٢)
فقال : يا أمير المؤمنين . ولِمَ ؟ وليس في يدي شيءٌ أعزّ
عليّ منه . قال : ما هو ؟ قال : السواد الذي في عيني .

(١) القاضي أبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ، ولد سنة
٨١١٣ . وهو من أهل الكوفة ، وكان صاحباً للإمام أبي حنيفة ، وقد
أخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وقد توفي سنة ١٨٢ هـ .

(٢) كان شعار العباسيين لبسهم المائم السوداء ، تشبهاً بما فعله
النبي عليه السلام في بعض غزواته .

وسئل مرة عن السواد ، فقال : النور في السواد .
يريد سواد العين .

وكان خالد بن طليق الخزاعي قاضياً ، فاختصم
إليه اثنان ، فكان أحدهما كلما أراد أن يتكلم غمزه
الشرطي ألا يتكلم . فلما كثر ذلك عليه قال : أيها
القاضي ، أقتضي على غائب ؟ فقال : لا . فقال : أنا
غائب إذا لم أترك أن أتكلم .

وكان خالد تياًهاً صليفاً (١) ، وقال يوماً لمحمد بن
سليمان - مع محله وشرفه وثروته - نحن وأتم في
الجاهلية كهاتين . وجمع بين إصبعيه .

كان عبيد بن ظبيان قاضي الرقة ، فجاءه رجل
واستعده على عيسى بن جعفر ، وكان الرشيد إذا ذاك
بالرقة فكتب ابن ظبيان إلى عيسى أمّا بعد أطال الله
بقائه الأمير وحفظه وأتم نعمته عليه . أتاني رجل فذكر
أن له على الأمير خمسمائة ألف درهم . فإن رأى الأمير -

(٢) الصلف : الصلف مجاوزة القدر في الظرف والادعاء فوق
ذلك تكبر .

أُعزّه الله - أن يحضر مجلس الحكم ، أو يُوكّل وكيلا
يُناظر عنه فعل .

ودفع الكتاب إلى الرجل ، فأتى باب عيسى ، فدفع
كتابته إلى الحاجب ، فأوصله إليه ، فقال له : كُـلْ
هذا الكتاب !! فرجع إلى القاضي فأخبره . فكتب إليه :
أبقاك الله وحفظك ، وأتمّ نعمته عليك . حضر رجل
يفال له فلانُ بنُ فلان وذكر أن له عليك حقّاً ، فصر معه
إلى مجلس الحكم ، أو وكيالك إن شاء الله .

تقدم رجل إلى أبي خازم ، وقدّم أبادُ يطالبه بدين
له عليه . فأقرّ الأبُ بذلك . فأراد الابنُ حبس أبيه بالدين .
فقال له أبو خازم : هل لأبيك مال ؟ قال : لا أعلمه .
قال : فمُـدّ كم دابنته بهذا المال ؟ قال : منذ كذا وكذا .
قال . فقد عرضتُ عليك نفقة أبيك من وقتِ المداينة .
فحبس الابن ، وخالّى عن الأب .

وكان إسماعيلُ بنُ إسحاق (١) قاضياً للمعتمد بمدينة

(١) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهمي ،
فقيه مالكي المذهب جليل التصانيف .

السلام (١). فدخل على الموفق ، فقال له : يا إسماعيلُ :
ما تقول في هذا النبذ ؟ فقال له : أيها الأميرُ ، إذا أصبح
الإنسانُ وفي رأسه منه شيءٌ ، قال ماذا ؟ قال الموفق :
يقولُ : أنا مخمورٌ . قال : فهو كاسمه .

قدم البلاذريُّ (٢) إلى الحسن بن أبي الشَّوارب في
دين عليه ، فادَّعى غريمهُ مائتي دينار . فذكر البلاذري
معاملةً بينهما . وعادة جرت بالنَّظيرة . فقال له القاضي :
أنظِرهُ . فقال : لم أطأ به إلا وقد علمتُ الساعة نعمته .
فقال البلاذري : صدق أيها القاضي ، إنني من الله فمي
نعم ، لا أقومُ بشكرها ، أولها : نعمةُ الإسلام ، وهي
التي لا تعدلُها نعمةٌ ثم نعمةُ العافية — وهي أفضلُ النعم

(١) مدينة السلام : بغداد .

(٢) البلاذري : هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري أبو
الحسن ، وتُيل أبو بكر ، من أهل بغداد ، مات في أيام المعتمد على الله ،
في أواخرها ، وأهم كتبه فتوح البلدان .

بعدها - وما يُقضى من هاتين الدين . فقال القاضي
لغيره : انصرف ، ورح لي . فراح إلى القاضي ،
فأعطاه عنه مئتي دينار .

كان يحيى بن سعيد الأنصاري^(١) قاضياً للرشد ،
وكان خفيف الحال وكان له مجلس من السوق . فلما
ولي القضاء ، وارتفع شأنه لم يترك مجلسه في السوق .
ف قيل له في ذلك ، فقال : من كانت له نفس واحدة لم
يغيره الإقتار ، ولا المال .

كان البرقي عفيفاً ، صالحاً ، وولي قضاء مدينة
السلام أيام المعتمد ، وكان قد ولاه قبل ذلك يحيى بن
أكرم . ف قيل له : ولّيت البرقي القضاء وهو رجل من
أهل السواد ؟

فقال يحيى : ألم تسمع قول الله تعالى : «(وما
أرسلنا من رسول إلا بلسان قومهم)» (٢) .

(١) هو يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري البخاري أبو سعيد ، قاض ،
من أكابر أهل الحديث ، من أهل المدينة ولي القضاء بالمدينة زمن بني أمية .
(٢) سورة إبراهيم : ٤ .

قال بعضهم : رأيت البرقي يوماً وهو يقرأ علينا شيئاً من حديث سفيان فقال له رجل كان معنا يا أبا العباس . فقام إليه البرقي ، وضرب لحيته ، وقال له : أنا قاضٍ منذ كذا وكذا سنةً !! تقول : هيا يا أبا العباس . وكان أبو العيناء (١) يقول : كان أحمد بن أبي دؤاد إذا رأى صديقه مع عدوه قتل صديقه .

وقال أبو العيناء : ما رأيت مثل ابن أبي دؤاد من رجلٍ قد مكّن في الدنيا ذلك التمكن ، كنت أراه في مجلسٍ سقفه غير مُخَرَّجٍ ، جالساً على مسح (٢) وأصحابه معه يتدرون (٣) القميص عليه فلا يبدله ، حتى يعاتب في ذلك ، ليست له همة ولا لذة من الذات الدنيا إلا أن يحمل رجلاً على منبر ، وآخر على جديع .

وقال له المعتصم في أمر العباس بن المأمون : يا أبا عبد الله ؛ أكره أن أحبسّه ، فأهتكه وأكره أن أدعه

(١) أبو العيناء هو : محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان من بني حنيفة أهل اليمامة ، وكان ضريراً وهو ممن اشتهر بالمجون ، وله نوادر وحكايات مستطرفة .

(٢) جالسا على مسح : المسح بكسر الميم : الكساء من الشعر .

(٣) يتدرون القميص : درن الثوب : أصابه الدرن ، وهو الوسخ ، أو تلتخ .

فأهملته . فقال له ابن أبي دُواد : الحبسُ - يا أمير المؤمنين - فإن الاعتذار خيرٌ من الاغترار .

وكان الأفشينُ (١) يحسدُ أبا دُلف (٢) ، ويبغضهُ للعربية ، والشجاعةِ والجُود ، فاحتال عليه حتى شهد عليه بخيانةٍ فجلس له ، وأحضره ، وأحضر السيَاف لقتله . وبلغ ذلك أحمد بن أبي دواد ، فركب مع من حضره من عُدُو له . ودخل على الأفشين وقد جيء بأبي دلف ليُقتل . فوقف ، ثم قال : إني رسولُ أمير المؤمنين إليك بألا تحدث في القاسمِ حدثاً حتى تحمله إليه مسلماً . ثم التفت إلى العُدُول ، فقال : اشهدوا أنني أديتُ الرسالة والقاسمُ حيٌّ مُعافى . وخرج فلم يَقدِّم الأفشينُ عليه .

وصار ابنُ أبي دُواد من وقته إلى المعتصم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد أديتُ عنك إلى الأفشين رسالةً لم تقلها لي ، لا أعتدُّ بعمل عملته خيراً منها ، ولاني لأرجو

(١) حيدر بن كارس من أجل قواد المعتصم .

(٢) أبو دلف : القاسم بن عيسى .

لك يا أمير المؤمنين بها الجنة . وخبره الخبر ، فصوب رأيه ،
وأمر بالإفراج عن أبي دلف .

وكان أحمد بن أبي دؤاد بعد ذلك يقرظُ أبا دلف
ويصفهُ للمعتصم ، فقال له : يا أبا عبد الله ؛ إن أبا
دلف حسنُ الغناء ، جيّدُ الضربِ بالعود . فقال : يا
أمير المؤمنين ، القاسمُ في شجاعته وبيته في العرب يفعلُ
هذا !! .

ثم أحبّ المعتصمُ أن يسمعهُ ابنُ أبي دؤاد . فقال له
يوماً : يا قاسمُ ، غنّني . فقال ، والله ما أستطيع ذلك —
وأنا أنظرُ إلى أمير المؤمنين — هيبَةً وإجلالاً . قال : فاجلس
من وراء ستارة . ففعل وغنّى .

وأحضر ابن أبي دؤاد ، وأجلسه وقال : كيف
تسمعُ هذا الغناء ؟ . قال : أميرُ المؤمنين أعلمُ به ، ولكنّي
أسمعُ حسناً . فغمز غلاماً ، فهتَكَ الستارة ، فإذا هو دلف .

فلما رأى أبو دلف ابن أبي دؤاد وثب قائماً ، وأقبل
على ابن أبي دؤاد ، فقال : إني أُجبرتُ على هذا ؟
فقال : يا ماجنُ . لولا دربتُك في الغناء ؛ من أين

كنت تأتي مثل هذا ؟ هبك أجبرت على أن تُغني ،
من أجبرك على أن تُحسن ؟ .

قال الحسن بن وهب : شكرت أبا عبد الله أحمد
ابن أبي دواد على شيء كان منه . فقال لي : لا أخرجك
الله ، ولا إيماننا إلا أن نعرف ما لنا عند الأصدقاء :
وتخطى بعض بني هاشم رقاب الناس عينا ابن أبي
دواد ، فقال : يا بُني ، إن الأدب ميراث الأشراف ولست
أرى عندك من سلفك ميراثا . فاستحسن كلامه
كل من حضر .

قال الواثق لأحمد بن أبي دواد في رجل حميل إليه
من بعض النواحي : قد عزمت على ضرب عنقه . فقال :
لا يحيل لك يا أمير المؤمنين . قال : فأضربه بالسياط :
قال : ظهر المسلم حمي (١) إلا من حده . قال له :
أنت أبدا تعترض علي . قال : يا أمير المؤمنين ؛ أخاف
عليك العامة . قال : وما عسى العامة تفعل ؟ قال :
أقول يا أمير المؤمنين ولا تغضب . قال : قل :
قال : إذا رأوك قد جرت في الحكم ؛ أخلوا بيدك

(١) الحمي : ما يجب حمايته . والمعنى : لا يحل عقوبة المسلم الا
بسبب تنفيذ حد من حدود الله .

فَأَقَامُواكَ عَنْ مَجْلِسِيكَ ، وَاجْلُسُوا غَيْرَكَ . قَالَ : فَأَمْسَكَ
الْوَائِقُ ، وَلَمْ يَحْرُجْ جَوَابًا (١) ، وَزَالَ الْمَكْرُوهُ عَنْ
ذَلِكَ الرَّجُلِ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ : مَوْتُ الْأَحْرَارِ أَشَدُّ مِنْ ذَهَابِ
الْأَمْوَالِ .

وَقَالَ : الشَّجَاعَةُ شَجَاعَةٌ فِي الْقَلْبِ ، وَالْبَخْلُ
شَجَاعَةٌ فِي الْوَجْهِ .

قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ شُبَيْرُومَةَ : ذَهَبَ الْعِلْمُ إِلَّا غُبَرَاتٍ
فِي أَوْعِيَةٍ سَوَاءٍ (٢) .

* * *

(١) أفحم فلم يجد ما يجيب به .

(٢) المعنى : لم يبق منه إلا القليل الذي لا ينتفع به ؛ لأنه عند أناس
غير حسي الخلق .

الباب التاسع

كلامُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ (١)

كان الحِجَاجُ يقولُ : أخطبُ الناسَ صاحبُ العِمامَةِ
السُّوداءِ بينَ أخصاصِ (٢) البَصْرَةِ ؛ إذا شاءَ تكلمَ ،
وإذا شاءَ سَكَتَ . يعني « الحسن » .

كتبَ إليه عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز : أنْ أعنيَّ ببعضِ
أصحابِكَ . فكتبَ إليه الحسنُ : أما بعد . فإنه مَنْ كانَ
مِنْ أصحابي يريدُ الدُّنْيَا فلا حاجةَ لكَ فيه ، وَمَنْ كانَ
يريدُ الآخِرَةَ فلا حاجةَ لَهُ فيما قبْلَكَ ، ولكنْ عليكِ
بأنْويَ الإحسانَ فإنهم إنْ لَمْ يَسْتَحْيُوا استَحْيُوا ، وإنْ لَمْ
يَسْتَحْيُوا تَكْرَمُوا .

(١) الحسن البصري هو : أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار
البصري ونشأ الحسن بوادي القرى ، وتلقى الفصاحة عن أعرابه ، وكانَ
من سادات التابعين وكبرائهم بارعاً في الفقه ، معروفاً بالورع والزهد
والعبادة . وهو شيخ واصل بن عطاء الله رأس المعتزلة . وكانت وفاته
بالبصرة سنة ١١٠ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك .
(٢) أخصاص البصرة : المفرد خص ، وهو بيت من شجر أو
قصب ، والبيت يسقف بخشب .

وقال : كُنْ في الدنيا كالغريب الذي لا يَجْزَعُ
من ذُلِّها ولا يشارك أهلها في عزِّها . للناس حالٌ وله
حالٌ أخرى ، قد أَهَمَّتْهُ نفسه ، وعمالٌ لما بعدَ الموت ؛
فالناسُ منه في عافية ، ونفسه منه في شُغْلٍ .

ذكروا أنه سمع رجلاً يقولُ : أَهْلَكَ اللَّهُ
الْجُبَّارَ فقال : إِذْ نَسَبْتُو حَيْشُ (١) في الطُّرُق .

قال أعرابيٌّ للحسن : عَالَئَنِي دِينَئاً وَسُوطاً (٢) ،
لا ذاهباً شَسْطُوطاً ، ولا هابطاً هبوطاً .

فقال الحسنُ : لئن قُلْتَ ذلك ؛ لِنَ خَيْرِ الْأُمُورِ
لَا وَسَاطُهَا .

وقال له رجل : لِي أَكْرَهُ الْمَوْتَ . قال : ذاك
أَنْتَ أَخْرَرْتَ مَالَكَ وَلَوْ قَدِمَتْهُ لَسَرَّكَ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ .

وقال : اقْدَعُوا (٣) هَذِهِ النُّفُوسَ فَلَيْسَ طُلْعَةً ،
وَاعْصُوهَا فَلَيْسَ بِكُمُومٍ إِنْ أَطْعَمْتُمُوهَا تَنْزِعَ بِكُمْ إِيَّ شَرِّ
غَايَةٍ ، وَحَادِثُوهَا بِالذُّمِّ فَالْمُسْكِرُ فَلَيْسَ بِسَرِيعةِ الدُّثُورِ (٤) .

(١) المراد أنه لن يجد من يؤنس لكثرة من يهلك بسبب الفجورة .

(٢) الوسط : المتوسط ، والجمع وسط .

(٣) قدعه : منه وكفه . والمعنى امنعوها وحذوا من نوازعها .

(٤) الدثور : دثور القلوب : إخماد الذكر منها .

وقال الحسنُ : لا تزُولُ قدمُ ابنِ آدَمَ حتَّى يُسْأَلَ
عَنْ ثَلَاثَ : شَبَابِيهِ : فِيمَ أَبْلَاهُ ؟ وَعَمْرُهُ : فِيمَ أَفْنَاهُ ؟
وَمَالِهِ : مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟

ورأى رجلاً يَكِيدُ (١) بِنَفْسِهِ فَقَالَ : لِمَنِ امْرَأٌ هَذَا
آخِرُهُ جَلْدِيرٌ أَنْ يَزْهَدَ فِي أَوَّلِهِ ، وَلِمَنِ امْرَأٌ هَذَا أَوَّلُهُ جَلْدِيرٌ
أَنْ يَخَافَ آخِرَهُ .

وقال : بَعْ دُنْيَاكَ بِآخِرَتِكَ تَرْجُحُهُمَا جَمِيعاً ، وَلَا تَبِعْ
آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ فَتُخْسِرَهُمَا جَمِيعاً .

وقال : مَنْ أَيْقَنَ بِالْخُلْفِ جَادَ بِالْعَطِيَةِ .

وقال : مَنْ خَافَ اللَّهَ أَخَافَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ ،
وَمَنْ خَافَ النَّاسَ أَخَافَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

وقال : مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا قِيلَ لَهُ :
نَحْلُهُ وَمِثْلُهُ مِنَ الْخُرُصِ .

قال الحسنُ : إِنْ قَوْمًا جَعَلُوا تَوَاضُعَهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ ،
وَكِبَرَهُمْ فِي صُدُورِهِمْ حَتَّى لَصَّاصِبُ الْمُدْرَعَةِ فِي مَدْرَعَتِهِ
أَشَدُّ فَرْحًا مِنْ صَاحِبِ الْمُطَرَفِ (٢) بِمُطَرَفِهِ .

(١) هُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ كَيْدًا : يَجُودُ بِهَا .

(٢) الْمَطَرَفُ ، بَضْمُ الْمِيمِ وَكُسْرُهَا : وَاحِدُ الْمَطَارِفِ ، وَهِيَ أَرْدِيَّةٌ

مِنْ خَزْ مَرْبَعَةٍ لَهَا أَعْلَامُ ،

قيل لخالد بن صفوان : مَنْ أبلغُ الناس ؟ قال :
الحسنُ البصريُّ لقوله : فضح الموتُ الدنيا . لو عقل أهلُ
الدُّنيا شربت الدنيا .

وقال : أهينوا الدنيا فوالله لأهنا ما تكونُ حين
تُهينونها .

وقال له رجلٌ : ما تقول في الدنيا ؟ قال : حلالُها
حسابٌ ، وحرامُها عذابٌ . فقال له : ما رأيتُ أَوْجَرَ
من كلامك . فقال الحسنُ : بل كلامُ عمرَ بن عبد العزيز
أَوْجَرُ من كلامي . كتب إليه بعضُ عمَّالِ حِمصَ (١) :
أما بعد : فإنَّ مدينةَ حِمصَ قد تهافت ، واحتاجت إلى
إصلاح . فكتب إليه عمرُ : حصنها بالعدل ، ونقَّ
طُرُقها من الجور . والسلام .

قال الحسن لفرقد (٢) : يا أبا يعقوب . بلغني أنَّك
لا تأكل الفالوذج . قال : يا أبا سعيد . أخافُ ألاَّ

(١) حمص : مدينة وسط سوريا .

(٢) فرقد : هو فرقد السبخي النصراني ، وكنيته أبو يعقوب .

أُوْدِي شُكْرَهُ . قال : يا لُكْعُ ! ! وهل تُؤدِّي شكرَ
الماءِ البارد .

وسَمِعَ رجلاً يشكو علةً به إلى آخر . فقال : أمّا
إِنَّكَ تشكو مَنْ يرحمك إلى مَنْ لا يرحمك .
وقيل له : مَنْ شرُّ الناس ؟ قال : الذي يرى أنّه
خيرُهم .

وقال : قد ذمَّ الله الثَّقَلَيْنِ في القرآن بقوله « (فإذا
طَعِمْتُمُ فَانتشروا) » (١)
وقال : الدنيا كُلُّها غمٌّ ، فما كانَ فيها من سرور
فهو ربحٌ .

وقال : إن الله — جل ثناؤه — لم يَأْمُرْ نبيّه عليه السلام
بمشاورة أصحابه لحاجة منه إلى آرائهم ، ولكنه أَمَرَ
أن يُعَاظَمَ ما في المشورة من البركة .

ويُروى عنه أنه قال منهُ دَهرٌ ندعو الله فنقول :
اللهم استعمل علينا أختيارنا فأعظم بها مصيبةً ألا يُستجاب

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ وأولها « يا أيها الذين آمنوا لا تغفلوا
بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » .

لنا ، وأعظمُ من ذلك أن يكون استنجيبَ لنا فيكون
هؤلاءِ خيارنا .

وذكر الدنيا فقال : المؤمنُ لا يجزعُ من ذلِّها ولا
يُتَنَافَسُ في عزها .

وقال : أربعُ قواصمٍ للظهور : إِمَامٌ تُطِيعُهُ وَيُضِلُّكَ ،
وزوجةٌ تَأْتُمُّهَا وتَحْزَنُكَ ، وجارٌ إِنْ عَلمَ خَيْرَ أَسْرَهُ ، وإن
عَلمَ شَرَّ أَسْرَهُ وفَقْرٌ حَاضِرٌ لا يَجِدُ صَاحِبَهُ عَنْهُ شَارِداً (١) .
ووصفَ الآسواقَ ، فقال : الآسواقُ مَوَائِدُ اللَّهِ
مَنْ أَتَاهَا أَصَابَ مِنْهَا .

وقال : من عمل بالعافية فيمَنَ دونه رُزقٌ بالعافية
مِمَّنْ فَوْقَهُ .

وقيلَ لَهُ : وكيفَ رَأَيْتَ الْوَلَاةَ يَا أَبَا سَعِيدٍ ؟ قال
رَأَيْتَهُمْ يَبْسُتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ (٢) آيَةً يَعْبَثُونَ . وَيَتَخَذُونَ
مَصَانِعَ لَعَلَّهُمْ يَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشُوا بِطَشُوا جَبَارِينَ (٣) .

(١) الشارد : النافر . والمراد لزوم الفقر لصاحبه .

(٢) الريح - يَكْسِرُ الرِّاءَ : المرتفع من الأرض .

(٣) انظر الآيات ١٢٨ - ١٣٠ من سورة الشعراء .

وكان يقولُ : ذمُّ الرجلِ نفسهُ في العلانية مدحٌ لها في السرِّ .

وقال : مَنْ وَسَّعَ اللهُ عليه في ذاتِ يده فلم يخفْ أنْ يَكُونُ ذلك مكرأ من الله به فقد أَمِنَ مَخُوفاً ، وَمَنِ ضَيَّقَ اللهُ عليه في ذاتِ يده فلم يرجُ أنْ يَكُونُ ذلك نظراً من الله له فقد ضيَّعَ ما مَولاهُ .

وقال : لِمَنِ من عَظِيمِ نِعَمِ اللهِ على خلقه أنْ نَحَاقَ لَهُمُ النارُ يَحُوشُهُم (١) بها إلى الجنة .

وقال لرجُلٍ : كَيْفَ طَلَبْتُكَ للدُّنْيَا ؟ قال شديدٌ . قال : فهل أدركتَ منها ما تُريدُ ؟ قال : لا . قال : فهذه التي تطلبُها لم تدركْ منها ما تريد فكيف بالتي لا تطلبُها ؟ وقال : ابنُ آدمُ أسيرُ الجُوعِ ، صريعُ الشَّبعِ .

وذكرَ يوماً الحجاجَ فقال : أأنا أعيِشُمَشَ أخيفش (٢)

(١) يقال : حاش الصيد يحوشه : جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحيلة .

(٢) أخيفش : تصغير الأَخْفَش ، وقد يكون الخفش علة ، وهو

الذي يبصر الشيء بالليل ، ولا يبصره بالنهار .

والأعيش : تصغير الأعمش ، والعيش ألا تزال العين تسيل الدمع ،

ولا يكاد الأعمش يبصر بها .

له جُسيمَةٌ* (١) يَرْجُلُهَا فَأُخْرِجَ لَنَا لِمَامًا* (٢) قِصَارًا ،
والله ما عرق فيها عِنانٌ* في سبيل الله . فقال : بايعوني .
فبايعناه* ثم رقى هذه الآعوادَ ينظر إلينا بالتصغير ،
وننظرُ إليه بالتعظيم ، يَأْمُرُنَا بالمعروف ويحْتَنِبُهُ ، وينهانا
عن المنكر ويرتكبُهُ .

وسئِلَ عن قوله تعالى : « (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْدَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا) » (٣) ما الثمنُ القليلُ ؟
قال : الدُّنْيَا بخلافها .

وقال : الدنيا تَطْلُبُ الهاربَ منها ، وتهربُ من الطالبِ
لها ، فإن أدركتِ الهاربَ منها جرحتهُ ، وإن أدركها
الطالبُ لها قتلتهُ .

وقال : رَبُّ هَالِكٍ بالثناء عليه ، ومغرورٍ بالسترِ
عليه ، ومستدرجٍ بالإحسانِ إليه .

- (١) والجميمة : تصغير الجمرة ، وهو يجتمع شعر الرأس .
(٢) اللام : جمع لمة وهي شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .
والمة (بضم اللام) : الصاحب أو الأصحاب في السفر .
(٣) سورة آل عمران : ٧٧ .

وقال : إِنْ لَمْ تُطْعَمَكَ نَفْسُكَ فِيمَا تَحْمِلُهَا عَلَيْهِ
مِمَّا تَكْرَهُ فَلَا تُطْعَمُهَا فِيمَا تَحْمِلُكَ عَلَيْهِ مِمَّا تَهْوَى .

وقال تَشَبَّهَ زِيَادٌ بِعِمْرٍ فَأَفْرَطَ ، وَتَشَبَّهَ الْحِجَاجُ
بِزِيَادٍ فَأَفْرَطَ ، وَأَهْلَاكَ النَّاسَ .

وقال : الْمُؤْمِنُ لَا يَسْخِيفُ (١) عَلَى مَنْ يُسْغِصُ ،
وَلَا يَأْتِمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ .

وقال لَهُ بَعْضُ الْجُنْدِ فِي زَمَنِ بَنِي أُمَيَّةٍ : تُرَى أَنْ
أَتَّخِذَ أَرْزَاقِي أَوْ أَتْرَكُهَا حَتَّى أَتَّخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ؟ . قال : مُرْ فَخُذْ أَرْزَاقَكَ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَعَالِيسُ .

وَكُتِبَ إِلَى أَخِي لَهُ : أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ الصِّدْقَ أَمَانَةٌ ،
وَالْكَذِبَ خِيَانَةٌ ، وَالْإِنْصَافَ رَاحَةٌ ، وَالْإِلْحَاحَ وَقَاحَةٌ ،
وَالْتَوَانِي إِضَاعَةٌ ، وَالصِّحَّةَ بَضَاعَةٌ ، وَالْحَزْمَ كِيَاسَةٌ ،
وَالْأَدَبَ سِيَاسَةٌ .

وقال : يَابْنَ آدَمَ . اصْحَبِ النَّاسَ بِأَيِّ خُلُقٍ شِئْتَ
بِصَحْبِهِمْ لَوْ كُنْتَ بِمِثْلِهِ .

(١) الخيف : الظلم والجور .

وقال : الرجالُ ثلاثةٌ ، رجلٌ بنفسه ، وآخر بلسانه
وآخر بماله .

وقال له رجلٌ : لي بُنيَّةٌ وأنها تُخطبُ . فمَسَّنْ
أزواجُها ؟ قال : : وجَّها ممن ينقي الله فإنَّ أحبَّها أكرمُها ،
وإن أبغضها لم يظلمها .

وقال : كنا في أقوامٍ يعزُّونُ ألسنتهم ، ويُسفِّقونُ
أوراقهم ، فقد بقينا في أقوامٍ يعزُّونُ أوراقهم (١) ،
وينفِّقونُ ألسنتهم .

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز . أمَّا بعدُ : فكأنَّكَ
بالدنيا لم تكن ، وكأنَّكَ بالآخرة لم تنزل .

وقيل له في أمير قسِّم البصرة ، وعليه دينٌ قد
قضاهُ . فقال : ما كان قطُّ أكثرَ ديناً منه الآن .

وقال : ينادي مناد يوم القيامة : من له عَلى الله
أجرٌ فليقمْ ، فيقومُ العافون عن النَّاسِ . وتلا قوله
تعالى : « فمن عفا ، وأصلح فأجره عَلى الله (٢) » .

(١) الأوراق : جمع ورق ، وهو المال .

(٢) سورة الشورى : ٤٠ . وأولها « وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

اجْتَنَزْ نَخَّاسٌ^(١) مَعَ جَارِيَةٍ بِهِ . فَقَالَ أَتَبِيعُهَا ؟
 قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَفْتَرْضَى أَنْ تَقْبِضَ ثَمَنَهَا الدَّرْهَمَ
 والدَّرْهَمَيْنِ حَتَّى تَسْتَوِفِي ؟ قَالَ : لَا : قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ
 عَزَّ وَجَلَّ قَدْ رَضِيَ فِي الْحُورِ الْعَيْنِ بِالْفَلَسِ وَالْفَلَسَيْنِ .
 وَقِيلَ لَهُ : مَا بَالُ النَّاسِ يُكْرَمُونَ صَاحِبَ الْمَالِ ؟
 قَالَ : لِأَنَّ عَشِيقَهُمْ عِنْدَهُ .

وَكَانَ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ أَكْثُولًا . فَقَالَ الْحَسَنُ فِيهِ :
 يَتَكَيَّ عَلَى شِمَالِهِ وَيَأْكُلُ غَيْرَ مَالِهِ ، حَتَّى إِذَا كَظَّهَ
 الطَّعَامُ يَقُولُ : ابْغُؤْنِي هَاضُومًا . وَيَلَاكُ ! ! وَهَلْ
 تَهْضُمُ إِلَّا دِينَكَ ! !

وَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا دَخَلَ خَتَنَتُهُ^(٢) تَنَحَّيَ عَنْ مَكَانِهِ ،
 وَيَقُولُ : مَرَحِبًا بِمَنْ كَفَى الْمَوْنَةَ ، وَسُتْرَ الْعَوْرَةَ .
 وَمِنْ كَلَامِهِ : مَسْكِينُ ابْنُ آدَمَ ، مَكْتُومُ الْأَجَلِ
 وَالْعِيَالِ ، أَسِيرُ الْجُوعِ وَالشَّيْبِ .

(١) النخاس : تاجر الرقيق .

(٢) الختن : كل ما كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها ، وكذلك زوج
 البنت وزوج الأخت . والمراد هنا : زوج البنت أو الأخت .

ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناسُ عليها ، فقال :
 مالكمُ تزدحمون ؟ ؟ هاهي تلك ساريتُهُ (١) في المسجد .
 اقعدوا تحتها ، واصنعوا ما كان يصنعُ حتى تكونوا مثله .
 وقال لشيخ في جنازة : أتُرى أن هذا الميِّت لو رجع
 إلى الدنيا يعملُ عملاً صالحاً ؟ قال : نعم . قال له :
 إن لم يكن ذاك فكنْ أنت ذاك .

ونظر إلى قصورِ المهالبة ، فقال : يا عجباً رفعوا
 الطين ، ووضعوا الدِّين ، وركبوا البراذين ،
 واتخذوا البساتين ، وتشبهوا بالدهاقين (٢) « فذرهم
 في غمرتهم حتى حين (٣) » .

وكان يقول في دعائه : اللهم إنا نعوذُ بك أن نملَّ
 معافاتك . فقبل له في ذلك .

فقال : أن يكون الرجلُ في خفص عيش فتدعوهُ نفسهُ
 إلى سفر .

-
- (١) السارية : الاسطوانة أو العمود الذي يقام عليه المسجد .
 (٢) الدهاقين : المفرد : دهقان : رئيس القرية ، ورئيس الإقليم .
 (٣) سورة المؤمنون : ٥٤ .

ودخل إلى مريض قد أبلّ من علته ، فقال له :
 إن الله ذكرك فاذكّره . وأقالك (١) فاشكّره .

ويقال : إن أول كلامه أنه صلّى يوماً بأصحابه ،
 ثم انفل ، وأقبل عليهم ، فقال : أيها الناس ، إني
 أعظُّكم ، وأنا كثير الإسراف على نفسي ، غيرُ مصلح
 لها ، ولا حاملها على المكروه من طاعة ربّها . قد بلوتُ
 نفسي في السراء والضراء ، فلم أجِدْ لها كثير شكر
 عند الرجاء ، ولا كبير صبر عند البلاء ، ولو أن الرجل
 لم يعظْ أخاه حتّى يحكم أمر نفسه ، ويكمل في الذي
 خلّق له من طاعة ربّه لقلّ الواعظون الساعون إلى الله
 بالحثّ على طاعته ، ولكن في اجتماع الإخوان واستماع
 حديث بعضهم من بعض حياة للقلوب ، وتذكير من
 النسيان . أيها الناس ، إنما الدنيا دارٌ من لادار له ، وبها
 يفرح من لاعتقل له ، فأنزّلوها منزلتها . ثم أمسك .

(١) أقالك فاشكّره : يقال : أقلته البيع إقالة : قبلت فسغته للبيع .

والمعنى : أنقلك أقدم شكرك له .

ولمّا مات أخوهُ بكى ، فقيل له : أتبكي يا أبا سعيد ؟
 فقال : الحمد لله الذي لم يجعل الحزن عاراً على يعقوب (١)
 وقال : إذا خرجت من منزلك فلقيت من هو أسنُّ
 منك فقل : هذا خيرٌ منّي عبد الله قبلي ، وإذا لقيت
 من هو دونك في السنِّ فقل : هذا خيرٌ منّي عصيتُ
 الله قبله . وإذا لقيت من هو مثلك فقل : هذا خيرٌ
 منّي أعرفُ من نفسي مآلاً أعرفُ منه .

وكان يقولُ : يا عجباً لقوم قد أمروا بالزاد ، وأوذوا
 بالرحيل ، وأقام أولهـُـم على آخرهم . فليست شعري
 ما الذي يمتنظرون ؟

ونظر إلى الناس في مصلى البصرة يضحكون ،
 ويلعبون في يوم عيد ، فقال : إنَّ الله — عزَّ وجل —
 جعل الصوم مضماراً لعباده ليستبقوا إلى طاعته ، ولعمري
 لو كشف الغطاء لشغل محسنٌ بإحسانه ، ومسيءٌ
 بإساءته عن تجديـد ثوب ، أو ترطيل شعر (٢) :

(١) يشير إلى بكاء يعقوب عليه السلام حزناً على يوسف وأخيه
 حتى ابيضت عيناه .

(٢) رطل شعره : لينه بالدهن وكسره وثناه .

وكان يقول : اجعل الدنيا كالمُنْطَرَةِ تَجُوزُ عليها
ولا تَعْمُرُها .

وقال : تلقى أَحَدَهُمْ أَبْيَضُ بَضًّا يَمْلُخُ فِي (١) الْبَاطِلِ
مَلَخًا ، يَنْفُضُ مَدْرُوبَهُ (٢) ، وَيَضْرِبُ أَصْدْرِيهِ ، يَقُولُ
هَآنَذَا فَاعْرِفُونِي . قَدْ عَرَفْنَاكَ ، فَمَتَمَّتْكَ اللَّهُ وَمَتَمَّتْ
الصَّالِحُونَ .

وقال : نِعِمُّ اللَّهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُشْكِرَ إِلَّا مَا أَعَانَ عَلَيْهِ .
وَذَنْوَبُ ابْنِ آدَمَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَسْلَمَ مِنْهَا إِلَّا مَا عَفَا عَنْهُ .
وكان يقول : ليس العجبُ ممَّنْ عَطِبَ كَيْفَ عَطِبَ ؟
إنما العجبُ ممَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا ؟

وكان يقول : حَادِثُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ فَإِنَّهَا سَرِيعَةٌ
الدُّثُورُ ، وَاقْدَعُوا هَذِهِ الْأَنْفُسَ فَإِنَّهَا طُلُوعَةٌ (٣) ،
فَإِنَّكُمْ إِلَّا تَقْدَعُوهَا تَنْزِعَ بِكُمْ إِلَى شَرٍّ غَايَةٍ .

(١) يَمْلَخُ فِي الْبَاطِلِ : الْمَلَخَ - كَالْمَنْعِ : السَّيْرِ الشَّدِيدِ ، وَالتَّرَدُّدِ فِي
الْبَاطِلِ وَإِكْثَارِهِ .

(٢) الْمَدْرُوبَانِ : فِرْعَاوْنِ الْإِثْمِينَ ، وَالْمُنْتَكِبِينَ ، وَطَرَفَا كُلِّ شَيْءٍ .
وَالْمُرَادُ بِهِمَا هُنَا فِرْعَاوْنِ الْمُنْتَكِبِينَ . وَيُقَالُ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ إِذَا جَاءَ بِأَغْيَا يَتَهَدَّدُ .

(٣) طُلُوعَةٌ : كَثِيرَةُ التَّطَلُّعِ إِلَى الشَّيْءِ .

وقال لمطرف (١) بن عبد الله بن الشخير : يامطرف ،
عظ أصحابك . فقال مطرف : إني أخاف أن أقول مالا
أفعل . فقال الحسن : يرحمك الله وأيتنا يفعل مايقول ؟
يود الشيطان أنه ظفر بهذه منكم ، فلم يأمر أحد
بمعروف ، ولم ينه عن منكر .

وكان يقول : ما حاجة هؤلاء ، السلطان إلى الشرط .
فلما ولي القضاء ، كثر عليه الناس فقال : لا بد
للناس من وزعة (٢) .

وكان يقول : لسان العاقل من وراء قلبه فإن
عرض له القول نظر ، فإن كان له أن يقول قال ، وإن كان
عليه القول أمسك ، ولسان الأحق أمام قلبه فإذا عرض
له القول قال عليه أو له .

وقال : أو لم يصب ابن آدم إلا الصحة والسلامة
لأوشكا أن يرداه إلى أرذل العمر فحدث بذلك محمد بن

(١) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف .. كان فقيها ،
وكان لوالده عبد الله صحبة ، وكان مطرف من أعبد الناس وأنسكهم .
وقد توفي سنة ٨٧ هـ .

(٢) وزعة : جمع وارع ، وهو الحابس العسكر الموكل بالصفوف .

جعفر فأعجبته ، وقال : سبحان الله ما أعجب كلام
العرب وأشبه بعضه ببعض ؟؟ والله لكأن النمر بن
تَوَلَّيب (١) سمع هذا . فقال :

يسرُّ الفتى طولُ السَّلامةِ جاهدًا
فكيف ترى طولُ السَّلامةِ يفعلُ ؟

وقال حُمَيْدُ بنُ نُورٍ (٢) .

* وحسبُك داءٌ أن تصحَّ وتسلمًا *

وكان يدعو ويقولُ : اللهم أعطنا قوةً في عبادتك ،
وبصرًا في كتابك ، وفهماً في حكمك ، وآتنا كِفْلين (٣)
مِنْ رَحْمَتِكَ . بِيَضٍّ وجُوهنا بنُورك ، واجعلْ
راحَتنا في لِقائِكَ ، واجعلْ رَغبتنا فيما عندَكَ مِنْ
الخير . اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ العجزِ والكسل ، والمهرَم ،
والجبن ، والبُخل . اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ قُلُوبٍ

(١) هو النمر بن تولب بن أقيش ، شاعر ، مقل ، مخضرم أدرك
الجاهلية ، وأسلم فحسن إسلامه ،

(٢) صدر البيت :

(*) أرى بصري قد راينني بعد صحة * وحמיד بن نور شاعر مخضرم

(٣) الكفل : النصيب .

لا نخشع ، وأذنبُس لا تشيع ، اللهم إنا نعوذُ بك أنفسنا
وأهلينا وذرائبنا من الشَّيْطَان الرَّجِيم .

وقال : إنما تعظُ مُسترشداً ليفهم ، أو جاهلاً
ليتعلم ، فأما من وضع سيفه وسوطه وقال : احذرنى
فما لك وله ؟

وقال : إن قوماً لبسُوا هذه المطارفَ العتاق ،
والعمائمَ الرقاق ، وأوسعُوا دُورهم ، وضيّقُوا
قُبورهم ، وأسَمُوا دوابهم ، وأهزلوا دينهم ، طعامُ
أحدهم غضبٌ ، وخادمه سُخْرة ، يتكىء على شماله ،
ويأكل من غير ماله ، حتّى إذا أدركته الكظةُ ،
قال : هلمي يا جارية هاضوماً ، ويلك !! وهل تحطمُ
إلا دينك ؟ .. أين مساكينك ؟ أين يتاماك ؟ أين ما أمرك
الله به . أين ؟ أين ؟ .

ورأى رجلاً يدشِي مشيئةً منكرةً . فقال : يخلجُ(١)
في مشيئه يخلعُجان المجنون . لله في كلِّ عضو منه
لقمة ، وللشَّيْطَان اعبَة .

(١) يخلج في مشيه : يضطرب .

كان أبو الحسن اسمه يسار ، واسم أمه خيرة ،
 مولاة لأم سلمة أم المؤمنين ، وكانت خيرة ربما
 غابت فيبكي الحسن فتعطيه أم سلمة ثديها تعلقه به ،
 إلى أن تجيء أمه فدر عليه ثديها . فيرون أن تلك
 الحكمة ، والفصاحة ، من بركة ذلك . ونشأ الحسن
 بوادي القرى (١) .

وشكا إليه رجل ضيق المعاش ، فقال : ويحك !!
 أهاهنا ضيق أو سعة ؟ إنما الضيق والسعة أمامك .

وقال : أولا قصب رحمت الناس ما قامت الدنيا .

وقال : يا بن آدم : إنما أنت عدد أيامك إذا
 مضى يوم مضى بعضك .

وتذاكروا عنده أمر الصحابة . قال الحسن :
 رحمهم الله ، شهدوا وغبنوا وعلموا وجهلنا ،
 وحفظوا ونسينا . فما أجمعوا عليه اتبعناه ، وما
 اختلفوا فيه وقفناه .

وقال : حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم .

(٣) وادي القرى : مكان قريب من المدينة ، ولد به الحسن البصري .

وقال : عاشروا أهللك بأحسن أخلاقك ؛ فإن
الثَّوَاءَ فيهم قليلٌ (١) .

وقال : السُّؤالُ نصفُ العِلْمِ ، ومُداراةُ النَّاسِ
نصفُ العَمَلِ ، والقصدُ في المعيشة نصفُ المعيشة . ومَا
عَالٌ مُقْتَصِدٌ .

وقال : خَفِ اللَّهَ خَوْفًا تَرَى أَنَّكَ لو أَتَيْتَهُ بِحَسَنَاتٍ
أَهْلُ الْأَرْضِ لَمْ يَقْبَلُهَا مِنْكَ وَارْجُ اللَّهَ رَجَاءً تَرَى أَنَّكَ
إِنْ أَتَيْتَهُ بِسَيِّئَاتٍ أَهْلُ الْأَرْضِ غَفَرَهَا لَكَ .

وقال : مَا اسْتَوْدَعَ اللَّهُ رَجُلًا عَقْلًا إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ
بِهِ يَوْمًا مَا .

وقال : الْمُؤْمِنُ لَا يَحْزِنُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا
يَأْتُمُّ فَيَسِنُ وَيَحِبُّ .

وَدَخَلَ إِلَيْهِ أَمْرُدُ حَسَنُ الْوَجْهِ : فَالْتَفَتَ إِلَى
أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : لَقَدْ ذَكَّرَنِي هَذَا الْفَقِي الْخُورُ الْعَيْنُ .
وَوُلِدَ لَهُ غُلَامٌ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ :

(١) الثَّوَاءُ فيهم قليل : الإقامة بينهم قصيرة .

بارك الله لك في هبته ، وزادك في نعمته . فقال الحسن :
الحمد لله على كل حسنة ، ونسأله الزيادة من كل
نعمة ، ولا مرجأ بمن إن كنت مقيلاً أنصهني ،
وإن كنت غنياً أذهلني لا أرضى بسعني له سعياً ،
ولا بكدي عليه في الحياة كدّاً ، حتى أشفي عانيه بعد
وفاي من الفاقة ، وأنا في حال لا يصل إلي من هممه
حزن ، ولا من فرحه سرور .

وقال : عز الشريفة أدبه ، وعز المؤمن استغناؤه
عن الناس .

وقال : العام في الصغر كالنقش على الحجر ،
وفي الكبر كالرقم على الماء .

وقال : ما أنعم الله على عبد نعمة إلا وعليه
فيها تبعه إلا سليمان فإن الله قال : « هذا عطاؤنا
فامنن أو أمسك بغير حساب » (١) .

(١) سورة ص ٣٩ .

وقال : لا أباك ، إن لم تكن حليماً فتحلّم فإنه
قل رجل يتشبهه يقوم إلا أو شك أن يكون منهم .
وقال : لا تشترين عداوة رجل بمودة ألف رجل .
وقيل أهلك فلان فجأة . فقال : لو لم يهلك
فجأة لمرض فجأة .

وقال : من زهيد في الدنيا ملكها ، ومن رغب
فيها عبدها .

قال له رجل : يا أبا سعيد ، ما تقول في الغناء ؟
قال : نعم الشيء الغنى تصل به الرحيم ، وتفك به
العاني ، وتفسس به عن المكروب .

قال : لست عن هذا أسألك ، إنما أسألك
عن الغناء . قال : وما هو أعرف منه شيئاً ؟ قال :
نعم : قال : فهائيه : فاندفع يغني ، ويلوي
شده قيه ، ومنحريه ، ويكسر عيشيه : قال :
فبهت الحسن ، وجعل يعزب عنه بعض عقله
حتى فعل كما فعل الرجل بتحريك عيشيه ،

وَكَسَّرَ حَاجِبِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لَمَّا تَنَبَّهَ مِنْ سِنْتِهِ : أَمْسِكْ
يَا هَذَا ، قَبِّحَ اللَّهُ هَذَا ، مَا كُنْتُ إِلَّا نِي حُلْمٍ .

قَالُوا : وَلِيَّ الْحَسَنُ الْقَضَاءُ فَمَا حُمِدَ . يَرِيدُ
أَنَّهُ لَوْ حُمِدَ لِنَاسٍ فِي وَلَايَةِ أَوْ قَضَاءِ لِحَمْدِ الْحَسَنِ .

وَقَالَ : يَا بَنَ آدَمَ تَعَفَّفْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَكُنْ
عَابِداً ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ تَكُنْ
غَنِيّاً . وَصَاحِبِ النَّاسِ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُصَاحِبُوكَ بِهِ
تَكُنْ عَدِلاً ، وَلِيّاًكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ فَإِنَّهُ يُمِيتُ
الْقَلْبَ . لَقَدْ كَانَ قَبْلَكَ أَقْوَامٌ جَمَعُوا كَثِيراً ،
وَأَمَلُوا بَعِيداً ، وَبَنَوْا شَدِيداً ، فَأَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُوراً ،
وَمَسَاكِنُهُمْ قُبُوراً ، وَأَمَلْتُهُمْ غُرُوراً .

وَقَالَ : يَا بَنَ آدَمَ لَا تُجَاهِدِ الطَّلَبَ (١) جِهَادَ
الغَالِبِ ، وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى الْقَدَرِ أَمْكَالَ الْمُسْتَسْلِمِ ؛

(١) الطلب : الجري والسمي وراء الرزق ، والمراد : لا تحاول
الإلحاح في الحصول على طلبك .

فلإنَّ ابتغاءَ الفضلِ مِن الشُّرَّةِ (١) ، والإجمالَ
 في الطَّلَبِ مِن العِفَّةِ ، وليستِ العِفَّةُ بدافعةٍ رزقاً ،
 ولا الحرصُ بِجالبٍ فضلاً ، وإنَّ مِن الحرصِ اكتسابَ
 الإثمِ .

✽

✽

✽

(١) الشُّرَّةُ : شرة الشباب : حرصه ونشاطه .

الباب العاشر

نُكِتَ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخَةِ

خطبَ عبْدُ المَلِكِ ، فلمَّا بَلَغَ إِلَى العِظَةِ قَامَ إِلَيْهِ
رُجُلٌ مِنْ آلِ صُوحَانَ (١) . فَقَالَ : مَهْلًا مَهْلًا .
تَأْمُرُونَ فَلَا تَأْتَمُرُونَ ، وَتَنْهَوْنَ وَلَا تَنْتَهُونَ ،
وَتَعْظُونَ وَلَا تَسْتَعْظُونَ . أَفَنَسْتَتِي بِسِيرَتِكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ
أَمْ نَطِيعُ أَمْرِكُمْ بِأَلْسِنَتِكُمْ ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ : اقْتَدُوا
بِسِيرَتِنَا فَأَيَّ ؟ وَكَيْفَ ؟ وَمَا الْحِجَّةُ ؟ وَمَا النَّصِيرُ
مِنَ اللَّهِ بِاقْتِدَاءِ سِيرَةِ الظَّالِمَةِ الْفَاسِقَةِ ، الْجَنُورَةِ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا (٢) ، وَعَبِيدَهُ خُيُولًا (٣)

(١) آل صوحان : ينسبون إلى صعدة بن صوحان بن حجر بن
الحارث العبدي من سادات عبد القيس من أهل الكوفة كان خطيباً بليغاً
عاقلاً له شعر .

(٢) اتخذوا مال الله دولا : جمع دولة بالضم ، أي جعلوه متداولاً
بينهم ، مرة لهذا ومرة لهذا .

(٣) خيولاً : الخول : ما أعطاك الله من الثمن - محرقة - والعبيد
والإماء وغير ذلك من الخاشية ، وهو يطلق على الواحد والجمع والذكر
والأنثى .

وَلِإِنْ قُلْتُمْ : اقْبَلُوا نَصِيحَتَنَا ، وَأَطِيعُوا أَمْرَنَا ،
فَكَيْفَ يَنْصَحُ لغيره مَنْ يَعْشُ نَفْسَهُ . أَمْ كَيْفَ
تَجِبُ الطَّاعَةُ لِمَنْ لَمْ تَثْبِتْ عِنْدَ اللَّهِ عِدَالَتَهُ ؟ وَلِإِنْ
قُلْتُمْ خَلَدُوا الْحِكْمَةَ مِنْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهَا ، وَاقْبَلُوا
الْعِظَةَ مِمَّنْ سَمِعْتُمُوهَا فَعَلَامَ وَلَيْسَ نَاكِمَ أَمْرَنَا ،
وَحَكَمْنَاكُمْ فِي دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا ؟ أَمَّا عَلِمْتُمْ أَنْ
فِينَا مَنْ هُوَ أَنْطَقُ مِنْكُمْ بِاللُّغَاتِ ، وَأَفْصَحُ بِالْعِظَاتِ ؟
فَتَحَلُّحَلُّوْا (١) عَنْهَا أَوَّلًا ، فَأَطِيعُوا عِقَالَهَا ، وَخَلُّوْا
سَبِيلَهَا يَبْتَدِرْ لِرَّيْهَا آلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِمُ الدِّينَ شَرَّدْتُمُوهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَفَرَّقْتُمُوهُمْ
فِي كُلِّ وَادٍ ؛ بَلْ تَثْبِتْ فِي أَيْدِيكُمْ لَانْقِضَاءِ الْمُدَّةِ
وَبُلَاوِغِ الْمُهْلَةِ ، وَعِظْمِ الْمَحْنَةِ . إِنْ لِكُلِّ قَائِمٍ قَدَرًا
لَا يَعْدُوهُ وَيَوْمًا لَا يَخْطُوهُ ، وَكِتَابًا بَعْدَهُ يَتْلُوهُ
« (لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ، وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) » (٢) .

(١) أي تحولوا .

(٢) سورة الكهف : ٤٩ .

« وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » (١) .
قال ثُمَّ أَجْلَسَ الرَّجُلُ فَطُلِبَ فَلَمْ يَوْجَدْ .

قال يونس (٢) : قلت للخليل (٣) : ما بالُ
أصحابِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم كأنهم بَنُو
أُمٍّ وإخوة ، وعليُّ كأنَّه ابنُ عَمَلَةٍ (٤) فقال لي : منُ
أين لكَ هَذَا السَّوَالُ ؟ فقلتُ : أريدُ أنَ تَجِيبَنِي . قالَ -
عَلَيَّ أَنْ تَكْتُمَ عَلَيَّ ما دمتُ حَيًّا . قلتُ : أَجَلُ .
قالَ : تَقَدَّمَ مَعَهُمْ إِسْلَامًا ، وَبَدَّاهُمْ شَرَفًا ، وَفَقَّاهَهُمْ عِلْمًا ،
وَرَجَّحَهُمْ حِلْمًا ، وَكَمَّانَ أَكْثَرَهُمْ زَهْدًا ، فَخَسَرُوهُ
وَالنَّاسُ إِلَى أَشْكَالِهِمْ أَمِيلٌ .

سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ (٥) عَنْ قَوْلِ النَّاسِ :

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ وأولها : « إَلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(٢) هو يونس بن حبيب من أعلام النحاة في العصر العباسي .

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض ، وصاحب

كتاب العين وكتاب الخيل .

(٤) العلة : الضهرة

(٥) هو الإمام أبو عبيد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي

الأصل . ولد ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ١٦٤ هـ . وكان إمام المحدثين .

عليّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ . فَقَالَ : هَذَا صَحِيحٌ لِأَنَّ
النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِعَلِيٍّ : « لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ »
وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ » وَالْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ وَالْمُنَافِقُ
فِي النَّارِ .

* * *

الباب الحادي عشر

كَلَامُ الْخَوَارِجِ (١)

مِنْ كَلَامِ أَبِي حَمْزَةَ (٢) : تَقْوَى اللَّهِ أَكْرَمُ سَرِيرَةٍ ، وَأَفْضَلُ ذَخِيرَةٍ ، مِنْهَا ثِقَةُ الْوَالِي ، وَعَلَيْهَا مِقْسَةُ الْوَامِقِ . لِيَعْمَلَ امْرُؤٌ فِي فِكَكَ نَفْسِهِ وَهُوَ رَخِي (٣) اللَّسَبِ ، طَوِيلُ السَّبَبِ ، وَلِيَعْرِفَ مَمَدَّ يَدِهِ ، وَمَوْضِعَ قَدَمِهِ ، وَلِيَحْذَرَ الزَّلَلَ وَالْعَلَلَ الَّتِي تَقْطَعُ عَنِ الْعَمَلِ . رَحِيمَ اللَّهِ عَبْدًا أَثَرَ التَّقْوَى ، وَاسْتَشْعَرَ شِعَارَهَا وَاجْتَنَى ثِمَارَهَا . بَاعَ دَاوَرَ النَّفْسِ بِدَارِ الْآبَدِ . الدُّنْيَا كَرُوضَةٌ اعْتَمَّ مَرْعَاهَا ،

(١) الخوارج : هم أتباع أقدم الفرق الإسلامية . وترجع أهميتهم إلى أقوالهم ، في نظرية الخلافة ، وفي الإسلام الصحيح ، وهل يكون بالإيمان والعمل ؟ وقد ترتب على معتقدتهم هذا قيامهم بثورات محلية عكرت صفو السلام في الدولة الإسلامية .

(٢) أبو حمزة هو : يحيى بن المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السلمي البصري ، فائز فتاك ، من الخطباء القادة .

(٣) المراد : وهو في مستقبل عمره .

وَأَعْجَبَتْ مَنْ يَرَاهَا ، تَمْسُجُ عُرُوقُهَا الثَّرَى ، وَتَنْطَفُ (١)
فروعها النَّدَى ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْعُشْبُ إِينَاهُ (٢) ، وَانْتَهَى
الزُّبْرَجُ (٣) مَنتهَاهُ ، ضَعْفَ الْعُمُودُ ، وَذَوَى الْعُودُ ،
وَتَوَلَّى مِيزَ الزَّمَانِ مَا لَا يَعُودُ ، فَحَمَتِ الرِّيحُ الْوَرَقَ ،
وَفَرَّقَتْ مَا اتَّسَقَ ، « فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ
» وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (٤)

كَانَ شَيْبُ (٥) يَقُولُ : اللَّيْلُ يَكْفِيكَ الْحَبَانَ
وَيَصِفُ الشُّجَاعَ .

أَتَيْتِ الْحَجَّاجُ بامرأة مِيزَ الْخَوَارِجِ ، فَقَالَ لِمَنْ
حَضَرَ : مَا تَرَوْنَ فِيهَا ؟ قَالُوا : اقْتُلْنَاهَا . فَقَالَتْ :

(١) تنطف فروعها : تنطفت : تفرمت ، ووصيفة منطفة أي
مقرطة .

(٢) بلغ أناه : - ويكسر - بلغ غايته أو نضجه وإدراكه .

(٣) انتهى الزبرج منتهاه : الزبرج - بكسر الزاي - الزينة من
وشي أو جوهر .

(٤) سورة الكهف : ٤٥ .

(٥) شبيب الخارجي هو : شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني ،
أبو الضحاك من أبطال العالم ، وأحد كبار الثائرين على بني أمية ومات غرقاً .

جُلُوساءُ أَخِيكَ خَيْرٌ مِنْ جُلُوسائِكَ : قال : وَمَنْ أَخِي ؟ قَالَتْ : فِرْعَوْنُ : لَمَّا شَاوَرَ جُلُوساءَهُ فِي مُوسَى « قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْنَعُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ » (١) فَأَمَرَ بِقَتْلَيْهِمَا .

مرَّ رجلٌ من الخوارج بدارٍ ثَجِيٍّ ، فقال : مَنْ هَذَا الَّذِي يَبْقِمُ كَفِيلاً ؟

أَخَذَ ابْنُ زِيَادٍ ، ابْنَ أَدِيَّةَ (٢) : أَخَاهُ بِلَالٍ ، فَقَطَعَ يَدَيْهِ ، وَرَجَلَيْهِ ، وَصَلَبَهُ عَلَى بَابِ دَارِهِ فَقَالَ لِأَهْلِهِ وَهُوَ مَصْلُوبٌ : انْظُرُوا إِلَيَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤَكَّدِينَ بِي فَأَحْسِنُوا لِمَالِهِمْ فَلَمْ يَمُتْ أَضْيَافُكُمْ .

أَتَى عَتَابُ (٣) ابْنَ وَرْقَاءَ بامرأةٍ من الخوارج فقال لها : يَا عِدُوَّةَ اللَّهِ ، مَا دَعَاكَ إِلَى الْخُرُوجِ ؟ أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ :

(١) سورة الشعراء : ٣٦ .

(٢) عروة بن أدية هذا هو الذي قتله عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان

فيمن قتل من الخوارج سنة ٥٥٨ هـ .

(٣) هو عتاب بن ورقاء الرياحي .

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا
وعلى الْمُحْصَنَاتِ جُرْثُ الذُّيُولِ
فقالت : يا عدوَّ الله ، أخرجني قلةُ معرفتك بكتاب الله .

خُطْبَةُ قَطَرِي بْنِ الْفُجَاءَةِ (١)

أَمَّا بَعْدُ : فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوةٌ خَضِرَةٌ ،
حَفَّتْ بالشهواتِ وراقتْ بالقليل ، وَتَحَبَّتْ بِالْعَاجَةِ ،
وخلبت بالآمال ، وتزيّنت بالغرور ولا تدومُ
حبسُها (٢) ، ولا تؤمنُ فجيعةُها ، غرارةٌ ضرارةٌ ،
وحائلةٌ زائلةٌ ، ونافذةٌ بائدةٌ ، أكالةٌ غوالةٌ ،
لا تعدو — إذا تناهت إلى أُمْنِيَةِ أَهْلِ الرَغْبَةِ فِيهَا ، والرِّضَا
عنها — أَنْ تَكُونَ كما قال الله تعالى : « كما أنزلناهُ
من السماء ، فاختلطَ به نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا
تذروه الرياحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (٣) » .

(١) هو أبو نعمة قطري بن الفجاءة ، واسمه جعونة بن مازن بن
يزيد ، والفجاءة أمه وكان أطول الخوارج أياما وأحدهم شوكة وكان شاعرا
جوادا وخطيبا مشهورا وقد توفي سنة ٥٧٨ هـ .

(٢) الخبرة : النعمة .

(٣) سورة الكهف : ٤٥ . وأولها « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا » .

مع أَنَّ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ (١) إِلَّا أَعْقَبَتْهُ
بَعْدَهَا عِبْرَةٌ ، وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَعَتْهُ
مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا ، وَلَمْ تَظْلِلْهُ غَيْمَةٌ رَخَاءٌ إِلَّا هَطَلَتْ
عَلَيْهِ مُزْنَةٌ بَلَاءٌ ، وَحَرِيَّةٌ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُتَصِرَةٌ ،
أَنَّ تُمْسِيَّ لَهُ خَاذِلَةٌ مُتَنَكِّرَةٌ ، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا
اعْتَدَوْذَبٌ وَاحْتَدَوْلَى أَمْرٌ عَلَيْهِ مِنْهَا جَانِبٌ وَأَوْبَى (٢) .

وَإِنْ آتَتْ أَمْرًا مِنْ غَضَارَتِهَا وَرَقًا أَرْهَقَتْهُ مِنْ
نَوَائِبِهَا تَعَبًا وَلَمْ يُسَمَسْ مِنْهَا أَمْرٌ فِي جَنَاحٍ أَمْنٍ إِلَّا
أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ . غَرَارَةٌ ، غُرُورٌ مَا فِيهَا ،
فَنَانِيَةٌ فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا . لَاخِيَرٌ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا
إِلَّا التَّقْوَى . مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مَا يُؤْمِنُهُ ، وَمَنْ
اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْبِقُهُ (٣) وَيَطِيلُ حُزْنُهُ ،
وَيُسْبِكِي عَيْنُهُ ، كَسَمَ وَاتَّقَى بِهَا فَجَعَتْهُ ، وَذِي طِمَآنِيَةٍ
إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَذِي احْتِيَالٍ فِيهَا قَدْ خَدَعَتْهُ ، وَكَمْ

(١) الخبرة : البهجة والنضارة .

(٢) أوبى : أي صار فيه الوباء فهو مهمل من أوبأ .

(٣) يوبق : يهلك .

ذِي أَبْهَةٍ فِيهَا قَدْ صَيَّرَتْهُ حَقِيرًا ، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ
ذَلِيلًا ، وَمِنْ ذِي تَاجٍ قَدْ كَبَّرَتْهُ لِلدِّينِ ، وَلِلْفَقْرِ .
سُلْطَانُهَا دُولٌ ، وَعَيْشُهَا رَنَقٌ (١) وَعَذْبُهَا أَجَاثٌ ،
وَحُلُولُهَا صَبِيرٌ (٢) ، وَغَدَاؤُهَا سِمَامٌ ، وَأَسْبَابُهَا
رِمَامٌ (٣) ، وَقَطَافُهَا سَلْعٌ (٤) ، حَيْثُهَا بَعَرَضَ مَوْتٌ ،
صَحِيحُهَا بَعَرَضَ سَقَمٌ ، مَنِيْعُهَا بَعَرَضَ اهْتِضَامٌ .
مَتَلِكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَسَلِيمُهَا
مُسْكُوبٌ ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ (٥) ، مَعَ أَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ
سُكْرَاتُ الْمَوْتِ ، وَهَوْلُ الْمَطْلَعِ ، وَالْوُقُوفَ بَيْنَ
يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ « لِيَجْزِيََ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِي مَا عَمَلُوا
وَيَجْزِيََ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٦) » .

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطُولَ

(١) عَيْشُهَا رَنَقٌ : كَدْرٌ .

(٢) حُلُولُهَا صَبِيرٌ : الصَّبْرُ كَكَتَفٍ : عَصَاةُ شَجَرٍ مَرٍ .

(٣) أَسْبَابُهَا رِمَامٌ : وَاهِيَةٌ .

(٤) وَقَطَافُهَا سَلْعٌ : السَّلْعُ - بِتَحْرِيكِ اللَّامِ - شَجَرٌ مَرٍ .

(٥) مَحْرُوبٌ : مَسْلُوبٌ .

(٦) سُوْرُ النُّجُومِ : ٣١ .

أَعْمَاراً ، وَأَوْضَحَ مِنْكُمْ آثَاراً ، وَأَعَدَّ عَدِيداً ، وَأَكْثَفَ
جُنُوداً ، وَأَشَدَّ عُنُوداً .

تُعْبِدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعْبِيدَ ، وَآثَرُوهَا أَيَّ لِإِثَارَ ،
وَضَعْتُوا عَنْهَا بِالْكَرْهِ وَالصَّغَارَ فَهَلْ بَلَّغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا
سَمَحَتْ لَكُمْ نَفْساً بَيْفِيدَةً ، أَوْ أَغْنَتْ عَنْكُمْ فِيمَا قَدْ
أَهْلَكْتَهُمْ بِخَطْبٍ ؟ بَلْ قَدْ أَرْهَقْتَهُمْ بِالْفَوَادِحَ ،
وَضَعَضْتَهُمْ بِالنَّوَائِبِ ، وَعَقَرْتَهُمْ بِالْفَجَائِعِ . وَقَدْ
رَأَيْتُمْ تَنْكَرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا ، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ،
حِينَ ظَنَنْتُمْ عَنْهَا الْفِرَاقَ الْأَبَدَ إِلَى آخِرِ الْمُسْتَدِ (١) .

هَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا السَّعْبَ ، وَأَحْلَسْتَهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ،
أَوْ نَوَّرْتَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ أَوْ أَعْقَبْتَهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ؟
أَفَهَلْهُ تُوَثِّرُونَ أَمْ عَلَى هَذِهِ تَحْرِبُونَ ؟ أَمْ إِلَيْهَا
تَطْمِئُونَ ؟

يَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ (٢) » . فَبَيْتُ الدَّارِ لِمَنْ أَقَامَ فِيهَا .

(١) آخر المستند : المراد الدهر يقال لا آتية أبد المستند أي أبداً .

(٢) سورة هود : ١٥ .

فاعلموا — وأنتم تعلمون — أنكم تاركونها لابلد ،
 فإنما هي كما وصفها الله باللعب ، واللهو . وقد قال
 الله تعالى : « أَتَبْسُتُونَ بِكُلِّ رَيْعٍ آيَةٍ تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ
 مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ
 جَبَّارِينَ » (١) .

ذكر الذين قالوا : « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً » (٢)
 ثم قال : حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رَكِبَانًا ،
 وَأُنْزِلُوا فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وجعل الله لهم من الضريح
 أجناناً (٣) ، ومن التراب أكفاناً ، ومن الرفات جيراناً ،
 وهم جيرة لا يُجيبون داعياً ، ولا يمنعون ضيماً .
 إن خصبوا لم يفرحوا ، وإن قحطوا لم يقنطوا .
 جميعهم وهم آحاد ، جيرة وهم أبعاد ، مستنمكون
 لا يزورون ولا يزَارُونَ .

(١) سورة الشعراء : ١٢٨ - ١٣٠ .

(٢) سورة فصلت : ١٥ « فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
 وَقَالُوا مِنْ أَشَدِّ قُوَّةٍ » .

(٣) الأجنان : جمع جنين ، وهو الستر والمراد القبر .

حُلَسَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهْلَاءُ قَدْ مَاتَتْ
أَحْقَادُهُمْ ، لَا يُخْشَى فِجْجُهُمْ ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ ،
وَكَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « فَنَلِكَ مَسَاكِنَهُمْ لَمْ تَكُنْ
مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (١) » .
وَاسْتَبَدَّوْا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا ،
وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلُمَةً ، فَمَارَقُوهَا كَمَا
جَاءُوهَا حُمْفَةً ، عُرَاةً ، فُرَادَى . غَيْرَ أَنْ ظَنُّوا
بَأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ ، وَإِلَى خُلُودِ الْأَبَدِ . يَقُولُ
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ
وَعَدًّا عَلَيْهِمْ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (٢) » .

فَاخْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ ، وَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ ،
وَاعْتَصِمُوا بِحَبِيبِهِ . عَصَيْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَرَزَقْنَا
وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ .

قَالُوا : لِمَا أَخَذَ (أَبُو) بَيْهَسَ (٣) الْخَارِجِيُّ ،

(١) سورة القصص : ٥٨ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) هو أبو يهيس هيصم بن جابر الضبعي الخارجي وأتباعه يسمون
البيهسية إحدى فرق الخوارج .

وَقُطِعَتْ يَدَاهُ ، وَرَجُلَاهُ ، تُرِكَ يَتَمَرَّغُ فِي التُّرَابِ .
فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : هَلْ أَحَدٌ يُفْرِّغُ عَلَيَّ دَلْوِينَ ؟
فَإِنِّي احْتَلَمْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ . هَذَا إِنِّ كَانَ صَادِقًا فَهُوَ
عَجِيبٌ ، وَإِنِّ كَانَ قَالَهُ اسْتِهَانَةً بِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ
أَعْجَبُ .

قال بعضهم : سمعتُ أبا بلال في جنازة وهو يقول :
أَلَا كُلُّ مَيِّتَةٍ ظَنُونٌ (١) إِلَّا مَيِّتَةَ الشَّجَّاءِ . قالوا :
وَمَا مَيِّتَةُ الشَّجَّاءِ ؟ قالَ : امْرَأَةٌ أَخَذَهَا زِيَادٌ فَقَطَعَ
يَدَيْهَا ، وَرَجُلَيْهَا ، فَقِيلَ لَهَا : كَيْفَ تَرَيْنَ يَا شَجَّاءُ ؟
قَالَتْ : قَدْ شَغَلَنِي هَوْلُ الْمَطْلَعِ عَنْ بَرْدِ حَدِّ يَدَيَّكُمْ .
قال الحجاجُ لامرأةٍ من الخوارج : اقْرئي شيئاً من
القرآن . فقالتُ : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ
النَّاسَ » يَخْرُجُونَ (٢) « فَقَالَ : وَيَعْلَمُكَ يَدْخُلُونَ .
قَالَتْ : قَدْ دَخَلُوا ، وَأَنْتَ تَخْرُجُ بِهِمْ .

(١) كل مَيِّتَةٍ ظَنُونٌ والمراد كسل مَيِّتَةٍ تدل على ضعف الميت إلا
هذه المرأة الخارجية .

(٢) سورة النصر : ١ ، ٢ .

وقال الحجاجُ لأخري : لأحصد نكصمُ حصداً .
قالت : أنت تحصدُ ، واللهُ يزرعُ ، فانظرُ أين
قدرةُ المخلوقِ مِن قدرةِ الخالقِ ؟

رأتُ أخرى منهمُ رجلاً بصّاً فقالت إنني لأرى
وجهاً لم يؤثّر فيه وضوء السبرات (١) .

كان شبيبُ الخارجي (٢) يسعى لأمه : فيُقال :
قتيل : فلّا تُصدّقْ ، إلى أن قيلَ لها : غريقُ
قولوتُ ، وصدقتُ : فتقيلَ لها في ذلك . فقالتُ
إنني رأيتُ حين ولدتهُ أنهُ خرجَ مِنّي نارُ فَعِلِمْتُ
أنهُ لا يُطفئُهُ إلاّ الماءُ .

وقفَ رجلٌ على أبي بيهسَ وقد أُمِرَ بقطعِ
يدَيْهِ ورجليهِ فقال : ألاّ أعطيكَ خاتماً تتختمُ بهِ ؟
فقالَ لهُ أبو بيهسُ : أشهدُ أنكَ إن كُنتَ مِن
العربِ فأنتَ مِن هذيلَ ، وإن كنتَ مِن العجمِ فأنتَ
بربري . فُسئِلَ عنه فإذا هو منُ هذيلَ وأمهُ بربريةُ .

(١) السبرات : جمع السبرة - بفتح السين ، وهي الغداة الباردة .

(٢) هو شبيب بن يزيد الخارجي صاحب الشيبية .

أَتَى رَجُلٌ مِنْ الْخَوَارِجِ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ ، فَقَالَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي الْخَوَارِجِ قَالَ : هُمْ أَصْحَابُ دُنْيَا ، وَقَالَ : وَمَنْ أَيْنَ قُلْتَ وَأَحَدُهُمْ يَمْشِي فِي الرَّمْعِ حَتَّى يَنْكَسِرَ فِيهِ ، وَيَخْرُجُ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ؛ فَقَالَ الْحَسَنُ : حَدِّثْنِي عَنِ السُّلْطَانِ أَيْمَنُكَ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ ، وَإِتْيَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ؟ قَالَ : لَا : قَالَ : فَأَرَاهُ إِنَّمَا مَنَعَكَ الدُّنْيَا فَقَاتَلْتَ .

نَزَلَ رَجُلٌ مِنْ الْخَوَارِجِ عَلَى أَخٍ لَهُ مِنْهُمْ فِي اسْتِثَارَةٍ مِنَ الْحِجَابِ ، وَأَرَادَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ شُخُوصًا إِلَى بَلَدٍ آخَرَ لِحَاجَةٍ لَهُ ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ : يَا زُرْقَاءُ أَوْصِيكِ بِضَيْفِي هَذَا خَيْرًا . وَتَعَمَّدَ لِيُوجِهْتِهِ . فَلَمَّا عَادَ بَعْدَ شَهْرٍ قَالَ لَهَا : يَا زُرْقَاءُ . كَيْفَ رَأَيْتِ ضَيْفِنَا ؟ قَالَتْ مَا أَشْغَلَهُ بِالْعَمَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَكَانَ الضَّيْفُ أَطْبَقَ عَيْنَهُ فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى الْمَرْأَةِ وَالْمَنْزِلِ إِلَى أَنْ عَادَ زَوْجُهَا .

اجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْخَوَارِجِ فَعَقَدَ اثْنَانِ لِيَوَاحِدِ ، وَخَرَجُوا يَمْشُونَ خَلْفَهُ يَسْتَمِيسُونَ شَيْئًا يَرْكَبُهُ ،

فجعلَ الاثنان يتلاحيان (١) ، فالتفت إليهما وقال :
ما هذه الضوضاء التي أسمعها في عسكريري ؟؟

كبر رجلٌ منهم وهرمَ حتى لم يكن به نهوضٌ ،
فأخذَ منزلاً على ظهر الطريق ، فكلما جاء مطرٌ
وابتلست الأرضُ أخذَ زُجاجاً ، وكسره ، ورماه
في الطريق ، فإذا مرَّ إنسانٌ وعقرَ (٢) رجله الزجاجُ
قال الخوارجيُّ مَن وراءَ الباب ، لاحكمم إلا ليلة
ثم يقول : اللهم إن هذا مجهُودي .

لقبي رجلٌ بعضَ الخوارج بالموقفِ عشيةَ عرفة (٣)
فقال له : مَن حجَّ في هذه السنة مِن أصحابكم ؟
فقال : ما حجَّ غيري . فقال له : إنما بآهي الله
عز وجل ملائكتهُ في هذه السنة بشقٍّ محمليه ؟

أحضَرَ الحجاجُ رجلاً مِن الخوارج ، فمنَّ عليه ،
وأطلقه ، فلما عادَ إلى أصحابه ، قالوا له : إن الله

(١) يتلاحيان : لجاه يلحره : شتمه .

(٢) عقر الزجاج : أي جرحه ، والعقر : الجرح .

(٣) أي يوم عرفة آخر النهار ، وهو يوم التاسع من ذي الحجة .

مَخْلُصُكَ مِنْ يَدِهِ لِيَزِيدَكَ بَصِيرَةً فِي مَذْهَبِكَ ،
فَلَا تُقْصِرْ فِي الْخُرُوجِ عَلَيْهِ . فَقَالَ . هِيَهَاتَ . « غَلَّ
يَدًا مَطْلُقُهَا ، وَاسْتَرْقَ رَقَبَةً مَعْتِقُهَا(١) » .

وكان المستوردُ كثيرَ الصلاةِ شديدَ الاجتهادِ ،
ولهُ آدابٌ محفوظةٌ عنه .

كان يقول : إذا أفضيتُ سرِّي إلى صديقي فأفشاه
لَمْ أَلْمِ أَلَمَهُ لِأَنِّي كُنْتُ أُولَى بِحِفْظِهِ .

وكان يقول : لا تَفْشِ إِلَى أَحَدٍ سِرًّا . وَإِنْ كَانَ
لَكَ مَخْلَصًا إِلَّا عَلَى جِهَةِ الْمَشَاوَرَةِ .

وكان يقول : كُنْ أَحْصِرْ عَلَى حِفْظِ السِّرِّ صَاحِبَكَ
مِنْكَ عَلَى حَقِّكَ ذَلِكَ .

وكان يقول : أَثْقَلُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ عَائِبُ النَّاسِ
مَعْرِفَتُهُ بِالْعُيُوبِ وَلَا يَعِيبُ إِلَّا مَعِيبًا .

وكان يقول : الْمَالُ غَيْرُ بَاقٍ فَاشْتَرِ بِهِ مِنَ الْحَمْدِ
مَا يَبْقَى عَلَيْكَ .

(١) غل يدا مطلقها ، واسترق رقبة ممتقها ، غل يدا : أي وضع
فيها الغل واسترق رقبة : أي ملكها بالرق ويضرب لمن يستعبد بالإحسان إليه .

وكان يقول : بَدَلُ المَالِ فِي حَقِّهِ اسْتِدْعَاءُ للمزيد
من الجِوَاد .

وكانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : لو ملكت الدنيا
بِحَذَافِيرِهَا (١) . ثُمَّ دُعِيْتُ إِلَى أَنْ أُسْتَقِيلَ (٢) بِهَا
خَطِيئَةً عَلَى لَفْعَاتٍ .

ولمَّا أَتَى عبيدُ اللَّهِ بن زياد بعروَةَ بنِ أَدِيَّةٍ — وكانَ
قد أُصِيبَ فِي سَرِيَّةٍ (٣) للعلاء بنِ سُويْدٍ فِي اسْتِتَارِهِ —
قالَ لَهُ عبيدُ اللَّهِ : جَهَّزْتُ أَخَاكَ عَلِيًّا : فقالَ : واللَّهِ
لقد كنتُ بِهِ ضَمِينًا وكانَ لي عِزًّا ، ولقد أردتُ لَهُ ما
أُرِيدُهُ لِنَفْسِي ، فعَزَمَ عِزًّا فمَضَى عَلَيْهِ ، وما أَحَبُّ
لِنَفْسِي إِلَّا المَقَامَ وتَرَكَّ الخُروجَ . قالَ لَهُ : أَفَأنتَ عَلَى
رَأْيِهِ ؟ قالَ : كُنَّا نَعْبُدُ رَبًّا واحِدًا . قالَ أَمَّا لَأَمْثَلَنَ بِكَ .
قالَ فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مِنَ القِصَاصِ ما شِئْتَ . فَأَمَرَ بِهِ

(١) بِحَذَافِيرِهَا : جَمْعُ حَذْفُورٍ أو حَذْفَارٍ ، وَهُوَ أَعْلَى الشَّيْءِ
وَنَاحِيَتُهُ وَالْمُرَادُ جَمِيعُهَا .

(٢) أُسْتَقِيلَ خَطِيئَةً عَلِي : أَطْلَبَ الصَّفْحَ عَنِ خَطِيئَةٍ حَسِبْتَ عَلِي .

(٣) السَّرِيَّةُ : القِطْعَةُ مِنَ الجَيْشِ .

فَقَطَعُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ
أَفْسَدَتْ عَلَيَّ دُنْيَايَ وَأَفْسَدَتْ عَلَيْكَ آخِرَتُكَ .

وفي كتاب لنافع بن الأزرق (١) كتبه إلى قَعْدَةِ
الْخَوَارِجِ : وَلَا تَطْمَسُنُوا إِلَى الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَرَارَةٌ ، مَكَّارَةٌ ،
لِذِمَّتِهَا نَافِدَةٌ ، وَتَعِيمُهَا بَائِدٌ . حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ اغْتِرَارًا ،
وَأُظْهِرَتْ حَبْرَةٌ ، وَأَضْمَرَتْ عِبْرَةٌ ، فَلَيْسَ لَأَكْلٍ
مِنْهَا أَكْلَةٌ تُسَرُّهُ ، وَلَا شُرْبَةٌ تُؤْنِقُهُ إِلَّا دَنَاءٌ بِهَا دَرَجَةٌ
إِلَى أَجْلِهِ ، وَتَبَاعَدَ بِهَا مَسَافَةٌ مِنْ أَمَلِهِ . وَإِنَّمَا جَعَلَهَا اللَّهُ
دَارًا لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا إِلَى النَّعِيمِ الْمَقِيمِ ، وَالْعَيْشِ السَّلَامِ ،
فَلَنْ يَرْضَى بِهَا حَازِمٌ دَارًا ، وَلَا حَكِيمٌ بِهَا قَرَارًا ،
فَاتَّقُوا اللَّهَ ، «(وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)» (٢)
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهَدْيَ .

ولما حاربهم المهلب بسلي ، وسليري (٣) فُتِّقَتِ

(١) نافع بن الأزرق هو: نافع بن الأزرق الحنفي صاحب فرقة
الأزارقة من الخوارج .

(٢) سورة البقرة : ١٩٧ .

(٣) في معجم البلدان : سلي وسليري، - بكسر السين وتشديد اللام
فيهما وقصر الألف كذلك : جبل بمناذر من أعمال الأهواز .

رئيسهم : ابن الماخور (١) اجتمعوا على الزبير بن علي من بني سليط ، وبايعوه ، فرأى فيهم انكساراً شديداً ، فقال لهم : اجتمعوا . فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه - ثم أقبل عليهم فقال : إن البلاء للمؤمنين تَمَحِيضٌ وأَجْرٌ ، وهو على الكافرين عقوبةٌ وخزْيٌ ، وإن يُصَنَّبَ منكم أميرُ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خالف . وقد أصبتم فيهم مسلمَ بن عُبَيْسٍ ، وربيعاً الأجدم ، والحجاج بن باب ، وحارثة (٢) ابنَ بَدْرٍ ، وأشجيتهم بالمهلب ، وقتلتم أخاه المَعَارِك . والله يقول لأخوانكم من المؤمنين : « (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ) » (٣) فيوم سَأَى كان لكم بلاءٌ وتمحيصاً ، ويوم سولاف (٤) كان لهم عقوبةٌ ونكالاً . فلا تُغْلِبَنَّ عَنْ الشُّكْرِ

(١) عبید الله بن الماخور أمير الخوارج وكانوا يسمونه أمير المؤمنين وقد قاتله المهلب بن أبي صفرة بجيش كبير قتل فيه ابن الماخور هذا وسبعة آلاف معه .

(٢) هو حارثة بن بدر الفزاري ، كان ذابيان وجهارة وكان شاعراً عالماً بالأخبار والألقاب .

(٣) سورة آل عمران ١٤ .

(٤) سولاف - بضم أوله وسكون ثانيه وآخره فاء قرية في غربي

دجيل من أرض خوزستان .

فِي حِينِهِ . وَالصَّبْرُ فِي وَقْتِهِ . وَثَقُوا بِأَنْكُمْ الْمَسْتَخْلَفُونَ فِي
الْأَرْضِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

وَلَمَّا اسْتَرَدَّ مَصْعَبُ الْمَهْلَبَ مِنْ وَجْهِ الْأَزَارِقَةِ ،
وَوَلَاهُ الْمَوْصِلَ (١) شَاوَرَ النَّاسَ فَيَمُنْ يَسْتَكْفِيهِ أَمْرَ
الْخَوَارِجِ ، قَالَ قَوْمٌ ، وَلَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ .
وَقَالَ قَوْمٌ : وَلَّ عُمَرَ (٢) بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ .
وَقَالَ قَوْمٌ : لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْمَهْلَبُ فَأَرَادَهُ لِإِيهِمْ .

كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ الْخَوَارِجِ قَالَ بَعْضُهُمْ :
فَرَأَيْتَهُ يَحْذِفُ قَنَادِيلَ الْمَسْجِدِ بِالْحَصَى ، فَيَكْسِرُهَا هـ
فَقُلْتُ لَهُ : مَا تَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَنَا - كَمَا تَرَى -
شَيْخٌ كَبِيرٌ ، لَا أَقْدِرُ لَهُمْ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذَا ،
أَغْرَمْتُهُمْ قَنَدِيلًا ، قَنَدِيلَيْنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

(١) الموصل : إحدى مدن العراق تقع في الشمال .

(٢) عمر بن عبيد الله بن معمر : ولاء مصعب بن الزبير قتال الخوارج
بعد المهلب بن أبي صفرة .

وهذا مختصر عمله الصَّاحِبُ رحمة الله وسماه
(الكَشْفُ عن مناهج أصناف الخوارج)

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على النبي محمد ،
وآله أجمعين . سألت أنْ أذكرَ لكَ ألقابَ طوائفِ
الخوارج ، وذرواً من اختلافها . وأنا أثبتُ ما يحضر
حفظي . على أنْ هذه الألقابَ تجمع أصولاً ، وفروعاً :
فربَّ طائفةٍ لحقها لقبٌ ثم تفرَّدَ من جملتها فريقٌ
فلحقهم لقبٌ آخر .

والذي يجمعهم من القول تكفيرُ أميرِ المؤمنين (١) -
صلواتُ الله عليه - وتكفيرُ عثمان ؛ وإنكارُ الحكمين (٢)
والبراءةُ منهما ، وممن حكَّمهما أو تولَّى أحداً ممن
صوبَهما . وأولُ من حكَّم بصفينَ عروةُ بنُ حديرٍ :
أنخو أبي بلال مرْداس ، وقيل عاصمُ المحاربي ، وأولُ
مَنْ تشرى (٣) رجلٌ من يشكُر ، وكان أميرُهم - أولُ

(١) هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) الحكمان هما : عمرو بن العاص ، وأبو موسى الأشعري .

(٣) تشرى : تفرق : أو لعله صار من فرقة المحكمة التي لقتب أنفسها
الشراة فيكون معنى تشرى : حكم .

ما اعتزلوا — عبد الله بن الكوّاء ، وأمير قتالهم شبت
ابن ربيعي ، ثم بايعوا لعبد الله بن وهب الراسبي .

ذكر ألقاب فرقهم مع جمل من مذاهبهم

الأزارقة : أصحاب نافع بن الأزرق (١) ، ويرؤون
من القعدة .

النجدية : أصحاب نجدة (٢) بن عامر الأسدي .
تتولى أصحاب الكباير من الخوارج إذ لم يصيروا .
ومن أصر منهم فهو مشرك عندهم .

الإباضية : أصحاب عبد الله بن إباض التميمي .
فأما عبد الله بن يحيى الإباضي المنقّب بطالب الحق
فهو منسوب إليهم . ومعه خرج أبو حمزة الخارجي ،
الصفرية : أصحاب زياد بن الأصفر . وقيل
أصحاب عبد الله الصفّار

(١) هو نافع بن الأزرق الحنفي رئيس جماعة الأزارقة . وكانت
الخوارج قبله على رأي واحد لا يختلفون إلا في الشيء والشاذ .
(٢) هو نجدة بن عامر الأسدي الحروري الحنفي من بني حنيفة من
بكر بن وائل .

العَطْوِيَّةُ : أَصْحَابُ عَطِيَّةِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْخَنْفِيِّ مِنْ
الْمُنْكَرِينَ عَلَى نَسَافٍ .

الْعَجَّارِدَةُ : أَصْحَابُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَجْرَدٍ ،
وَهُمْ عَطْوِيَّةٌ ، إِلَّا أَنَّهُمْ يُوجِبُونَ دُعَاءَ الْأَطْفَالِ عِنْدَ
بُلُوغِهِمْ وَالْهَرَاءَ مِنْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ .

الْمِيسُونِيَّةُ : مِيسَمُونَ هَذَا عَبْدٌ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ
عَجْرَدٍ . وَيَقُولُ بِالْعَدْلِ وَيَتَرَى قَتْلَ السُّلْطَانِ خَاصَّةً ،
وَمَنْ رَضِيَ ظُلْمَهُ ، وَأَعَانَهُ دُونَ سَائِرِ النَّاسِ
وَيُحْكِمِي عَنْهُمْ أَنَّ التَّزْوِجَ بِنِسَاءِ الْإِبْنِ وَبِنِسَاءِ
الْبَنَاتِ ، وَبِنِسَاءِ الْأَخَوَاتِ وَبِنِسَاءِ بَنِي الْإِخْوَةِ
جَائِزٌ ، وَأَنَّ سُورَةَ يُوسُفَ لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَأَكْثَرُ
مَنْ بِسَجِسْتَانَ مِيسُونِيَّةٌ ، وَعَجَّارِدَةٌ . وَقِيلَ مِيسَمُونَ
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَلَخِ .

الْخَلْفِيَّةُ : يَقُولُونَ بِالْجَبْرِ (١) ، وَيُخَالِفُونَ الْمِيسُونِيَّةَ
فِي الْعَدْلِ .

(١) أي أن الإنسان مجبور على كل ما يأتيه من خير وشر وليس
له اختيار في أفعاله .

الحمزِيَّة : أصحابُ حمزة بن أدرك . يقولون .
بِالعَدَل . وله فارقوا الخليفة .

الخازِمِيَّة : وهم الشيعة أصلهم عجاردة ، وهم
أصحابُ شُعيب يقولون : إنَّ الولاية والعداوة صفتان
في ذات القديم . وهم مجبرة .

المعلومية : مِن الخازِمِيَّة يقولون : مَنْ لم يَعْلَمْ
اللهَ بجميع أسمائه ، وعرفه ببعضها فهو عارفٌ به .

المجهولية يقولون : مَنْ لم يعلم الله عز وجل بجميع
أسمائه فهو جاهلٌ به .

الصَلَمِيَّة : عَجَارْدَةُ أصحابُ عثمان بن أبي
الصَّامِت : يقولون : إِذَا استجابَ الرجلُ للإسلام
برِثْننا من أطفالهم حتَّى يُدْرِكوا .

التَّعَالِبَةُ : عَجَارْدَةُ ، وصاحبُهم ثعلبةٌ ، خالفَ عبد
الكریم بن عجرد فيما قاله في الطفل .

الأخْنَسِيَّة : أصحابُ ، الأخْنَس يحرمون البنات ،
والغيلة ويقفون عَمَّن في دار التَّثَنَةِ حتَّى يعرفوه .

العَبْدِيَّة : رَأَوْا أَخَذَ زَكَاةَ أَمْوَالِ عِبِيدِهِمْ إِذَا
اسْتَغْنَوْا ، وَإِعْطَاهُمْ إِذَا افْتَقَرُوا .

الشَّيْبَانِيَّةُ أَصْحَابُ شَيْبَانَ بْنِ سَلَمَةَ .

الزِّيَادِيَّة : أَصْحَابُ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

العُشْرِيَّة : وَهُمْ الرَّشِيدِيَّة ، كَانُوا يَرُونَ فِيهَا سِتْيَ
بِالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ نَصْفَ الْعَشْرِ ، وَخَالَفَتِ الزِّيَادِيَّةُ فِي
لِيَحَابِهَا الْعُشْرَ .

المَكْرُمِيَّة : أَصْحَابُ أَبِي مَكْرَمٍ . قَالَتْ : تَارَكَ
الصَّلَاةَ كَافِرٌ . وَمَنْ أَتَى كَبِيرَةً فَهُوَ جَاهِلٌ بِاللَّهِ .
وَتَأْتِ بِالمُؤَافَاةِ .

* * *

الباب الثاني عشر

الغَطَاطُ وَالتَّصْحِيفُ (١)

قال بعضهم : خَالَفَ تَسَدُّ كُرٍّ . ففعل له : إِنَّمَا هُوَ تَسَدُّ كُرٍّ فَقَالَ ؛ : هَذَا أَوَّلُ الْخِلَافِ .

وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ فِي كِتَابٍ : أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلَغَ قَدِيدًا ، وَإِنَّمَا بَلَغَ قَدِيدًا (٢) .

وَقَرَأَ آخَرٌ : أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ « الْغُسْلُ » .

وَقَرَأَ آخَرٌ : أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ فِي الْقَيْدِ ، وَإِنَّمَا هُوَ الدُّوْمُ .

(١) التصحيف لغة : الخطأ والتحريف هو الخطأ كذلك ، غير أن بعض الباحثين يرى التصحيف خاصا بالخطأ الناشئ عن نقط الحروف زيادة أو نقصا . أما التحريف فخاص بالخطأ في حروف الكلمة تقديما أو تأخيرا أو صورة أو ضبطا .

(٢) قديد . اسم موضع قرب مكة .

وقرأ آخر : ولا يرث جميل^(١) إلا بُشينة ،
ولإنما هو لا يُورث جميل^(٢) إلا ببينة .

وقال آخر : إذا أردت أن تُسْعِظَ (٣) فادخلِ
المقابر ، ولإنما هو تشعِظُ .

وقرأ رجلٌ على ابن مجاهدا : بل عَجَسْتُ ،
ويسْعِجرون^(٤) . فقال : أحسنت ، مع العَجْنِ
يسْعِجِرُ التَّنُور .

كتب صاحبُ الخبر بأصْبَهانَ إلى محمد بن عبد الله
بن ظاهر : إنَّ فلانا القائدَ يَسْلُبُ خُرْنِجَةً ، ويقعد
مع النساءِ فكتب إلى العامِلِ : ابعث إليَّ بفُسلانٍ وخرنجيته
فَصَحَّفَ القارئُ . وقرأ : وجزَّ لِحِيَّتِهِ ، ففعل ذلك
به ، وأشخصه .

-
- (١) هو جميل بن معمر صاحبُ بَشِينَةٍ التي أغرم بها وشبب بها في
شعره وكان في أيام دولة بني أمية مثالا للفرل العذري العفيف .
(٢) الجميل : الذي يحمل من بلد صغير أو لم يولد في بلد الإسلام .
(٣) أنْعَظَ الرجل : علاه الشبق والرغبة في الجنس الآخر .
(٤) سَجَرُ التَّنُور : أحماه . وهو يشير إلى الآية الكريمة « بل عَجَبْتَ
ويسخرون » .

وكان كافي الكُفأة يكرهُ أن يكونَ في مخاطبات
النساء حراستها ونظرُها وعقائُها ، ويقول : لا يؤمنُ
أنْ يُصحَّفَ فيقرأ : حراستها ، وعقائُها ، وبظايرها .

وكان حمادُ الراويةُ (١) لا يقرأ القرآنَ فاستقرى
فقرأ ، ولم يزلْ إلا في أربعة مواضع : عذابي
أصيبُ به من أساء . وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلا
موعدة وعاءها أباه . ومن الشجر وما يغرسون . بل
الذين كفروا في غيرةٍ وشقاق (٢) .

وقد روي أنه صحَّفَ في نيف وعشرين موضعاً
كلها متشابهة وأنا أذكرها جميعاً من بعدُ بإذن الله .

(١) حماد الراوية : هو حماد بن ميسرة . وقيل بن سابر مولى
بني شيبان ، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها
وأنسابها ولغاتها .

(٢) صحة الآيات :

« عذابي أصيب به من أساء » سورة الأعراف : ١٥٦ .

« وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » سورة
التوبة : ١١٤ .

« ومن الشجر وما يغرسون » سورة النحل : ٦٨ .

« بل الذين كفروا في غرةٍ وشقاق » سورة ص : ٢ .

غضب كَاتِبُ الْمُؤْمُونِ عَلَى غُلَامِهِ فَرَمَاهُ بِالْذِّوَاةِ ،
وَشَجَّهَ ، فَأَجَابَهُ الرَّأْيُ الدِّمَّ بِسَيْلٍ قَالَ : صَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى :
وَالَّذِينَ « (إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْمِرُونَ » (١) . فَبَلَغَ
ذَلِكَ الْمُؤْمُونَ . فَأَنْتَبَهَ . وَقَالَ : وَيَا نَاكَ ! أَمَا تُحَسِّنُ أَنْ
تَقْرَأَ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ ؟ فَقَالَ : بَلَى . وَاللَّهِ إِنِّي لَأَقْرَأُ
مِنْ سُورَةٍ وَاحِدَةٍ أَلْفَ آيَةٍ (٢) .

قَالَ بَعْضُهُمْ : قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْبَلٍ فِي الصَّلَاةِ :
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (٣) .

فَقِيلَ لَهُ : أَنْتَ وَأَبُوكَ فِي طَرَفِي نَقِيضٍ . زَعَمَ
أَبُوكَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ، وَأَنْتَ قَدْ جَعَلْتَ رَبَّ
الْقُرْآنِ مَخْلُوقًا .

(١) صَحَّةُ الْآيَةِ « وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا
مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْمِرُونَ » سُورَةُ الشُّورَى : ٣٧ .

(٢) وَجْهُ الْعَجَبِ فِي هَذِهِ الْإِجَابَةِ : أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ فِيهِ سُورَةٌ عَدَدُ
آيَاتِهَا أَلْفَ آيَةٍ .

(٣) صَحَّةُ الْآيَةِ « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ » سُورَةُ الْعَلَقِ : ١ بِنَاءِ
خَلَقَ لِلْمَعْلُومِ .

وحكي أنَّ المحامليي^(١) المحدث قرأ : وفاكهةً
وإباً^(٢) . فقيل له : الألفُ مفتوحةٌ . فقال : هو في
كتابي محسوطٌ مضبوطٌ .

وحكي أنَّ ابنَ حاتم قرأ : فصيامَ ثلاثةِ أيامٍ في
الحجِّ وتيسعةٍ إذا رجعتُم ، تلكَ عشرةٌ كاملةٌ^(٣) .

كان اسمُ أبي العتاهية^(٤) « زيدٌ » فنقش على
خاتمه أيا زيد « ثق » فكانَ الناسُ يتنادونَه :
أنا زنديق .

قال بعضهم : سمعتُ ابنَ شاهين المحدث في
جامع المنصور يقول في الحديث : نبيُّ النَّبِيِّ عليه السلام

(١) هو القاضي أبو عبيد الله الحسن بن إسماعيل بن محمد الضبي من
الثقات لم يكن أشد منه في عصره مع الصدق والستر والثوق . توفي ببغداد
سنة ٨٣٣٠ .

(٢) وصحة الآية « وفاكهة وأبا » سورة عيس : ٣١ .

والأب : الكلاء أو المرعى أو ما أثبتت الأرض والحضر .

(٣) صحة الآية « فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتُم »
سورة البقرة : ١٩٦ .

(٤) أبو العتاهية هو : إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ولد
بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ بالكوفة . توفي سنة ٢١١ هـ .

عن شقيق الخطب . فقال بعض الملاحين : يا قوم ،
فكيف نعمل والحاجة ماسة ؛ وهو شقيق الخطب .

قال : وسمعتُه مرةً أخرى وهو يفسر قوله تعالى :
« (وَتَبَايَكَ فَطَهَّرَ) » فقال : قيل لا تلبسها على غمرة .
وهو لا تلبسها على عذرة (١) .

وكان كيسانُ مستملي ابن الأنباري ، وكان
أعمى القلب ، فسمع ابنُ الأنباري وهو يقول :
كيسانُ يسمعُ غيرَ ما أقولُ ، ويكتبُ غيرَ ما يسمعُ
ويقرأ غيرَ ما يكتبُ ، ويحفظُ غيرَ ما يقرأه .

وحكي عنه أنه كان يكتبُ ما يسمعُ في الخزف ،
ويجمعهُ في حُبٍّ ، فاشتري راويةَ ماءٍ فغاطت السقاء
بينَ حُبِّ الماءِ وحُبِّ الخزف ، فصبَّ الماءُ في حُبِّ
العالم فرأينا كيسانَ وقد وضع يده على رأسه ، وذهب
علمه كله .

(١) عذرة : العذرة : الغائط وانظر سورة المدثر : ٤ .

وقالوا تقدّمتِ امرأةٌ إلى عمرَ فقالت : أبا غفّر
 حفصُ اللهُ لك (١) . فقال : مالك : أغفّرتِ ؟
 قالت : صلّعتُ فرقتك .

وروى أبو ربيعة المحدثُ أنَّ النبيَّ عليه السلامُ
 كان يغسِلُ خُصَيَّ الحمار . قيل : ولم ذاك يا أبا
 ربيعة ؟ قال : كان يُظْهَرُ تواضعه بذلك . والخبر أنَّه
 « كان يغسِلُ خُصَيَّ الحمار (٢) » .

قال بعضُ المحدثين : حدّثني فلانٌ عن فلان عن
 سبعة وسبعين ، يريد عن شُعبَة وسفيان .

كان « يزُدَا نفا دار » فيه لُكنةٌ ، وكان يجعلُ
 الحاء هاءً ، أملى على كاتبٍ له : والمأصلُ ألفٌ كُـرٌّ .
 فكتبها الكاتب بالهاء . كما لفظَها ، فأعادَ عليه الكلام ،
 فأعاد عليه الكاتب الكتاب ، فلما فطن لاجتماعها على

(١) صفة العبرة أبا حفص غفر الله لك .

(٢) حصا الحمار : الحصيات التي يحدفها الحاج في منى يرمي بها
 الحمار الثلاث وهذا الرمي أيام العيد من مناسك الحج .

الجهل ، قال : أنت لا تهتسين تكتب . وأنا لا أهسين
أملي . فاكْتُبْ : الجاصل ألف كُـ فكتبها بالجم معجمة .

قالت أمٌ ولد لجرير لبعض ولدها : وقع الجرذانُ
في عجان أمكم . أبدلت اللال دالاً وضمت الجيم ،
وجعلت العجين عجاناً . وإنما أرادت وقع الجرذان في
عجان أمكم .

وروى آخر : عم الرجل ضيق أبيه (١) . وإنما
هو صنو .

وروى آخر : لعين اليهود ، حرمت عليهم الشحوم
فحملوها . وإنما هو فحملوها (٢) ، أي أذابوها .

وروى بعضهم : أن الحارث (٣) بن كلفة كان
يقول الشمس تُثْقِلُ الريح ، وإنما هو تَنْثَقِلُ الريح (٤)

(١) هذا حديث عن النبي عليه السلام . والصنو المثل .

(٢) جمل الشحم : أذابه .

(٣) الحارث بن كلفة من أحذق أطباء الجاهلية وهو من بني ثقيف

من أهل الطائف رحل إلى أرض فارس وأخذ العلب من جند يسابور . وقد
أدرك الإسلام ، وكان الرسول يأمر من كان به علة أن يأتيه فيستوصفه وقد
توفي سنة ٨١٣ .

(٤) الشمس تنفل الريح يقال تنفل يتنفل - كفرح يفرح - بمعنى تنير
والمعنى هنا تنير الشمس رائحة الريح .

وقالوا : كان يجلسُ في مقشاة . وإنما هو في مقشاة (١) .

ورروا : أنه نُهيَ عن لبس القسيِّ وإنما هو القسيِّ (٢) لضربٍ من الثياب .

ورروا : أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى يده سخلّة (٣) تبعر . وإنما هو تبعرٌ من السعار . وهو صوتها .

قال بعضهم : قال الرياشي (٤) لي يوما - وقد جئتُ من مجلس ابن أبي السَّوارب : أرني ما أُملي عليكم ، فأريتهُ ، فدرّ به هذا الحديثُ : آخر ما يجازفُ به المؤمن عرقُ جبّينه .

(١) المقناة : المكان الذي لا تكاد غيب عنه الشمس .

(٢) نهى عن لبس القسي وإنما هو القسي وذلك لأن القسي هو الدرهم الزائف أما القسي فهو جمع قوس آلة النبل .

(٣) السخلّة : ولد الشاة .

(٤) الرياشي : هو أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي اللغوي .

فقال الرياشي : ما أحوج هؤلاء إلى بعض عيسنا إنما
إنما هو يُحارفُ ، والحريفُ : الشريكُ ، يقالُ :
فلان حريفُ فلان ، أي شريكهُ ومُحاسبِهِ .

وقال بعضهم : حضرتُ رجلاً من الكُبراء ، وقد
قرأ في المصحف : يا عيسى ابنَ مريم اذكرُ نِعْمتي
عليك وعلى والديك (١) .

وقرأ بعضهم : والعاديات صُبْحاً (٢) .

وقال آخر : فكذبوهما فغدرنا بثالث (٣) .

وقيل : إنَّ سليمانَ بنَ عبد الملك كتب إلى عامله
عائى المدينة : اخصِ المخنثين . يريدُ : عُدائهم .

فقرأ الكاتب : اخص ، فَخَصَّاهُمْ .

ومِهَنٌ : أَخْجَلُهُ التَّصْغِيرُ في مجالس الخلفاء
أحمدُ بنُ أبي خالد وزير المأمون ، فإنه حضر مجلسه

(١) صفة الآية : « إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك
وعلى والدتك » سورة المائدة : ١١٠ .

(٢) صفة الآية « والعاديات صبحاً » سورة العاديات : ١ .

(٣) صفة الآية « فكذبوهما فعزنا بثالث » سورة يس : ١٤ .

للمظالم يقرأ عليه القصص ، وكان فهماً ، فمرت به
 قصةٌ مكتوبٌ عليها : فلان البريدي (١) ، فقرأها :
 البريدي فقال المأمون أبو العباس جائعٌ . هاتوا له ثريدةً .
 فقدمت إليه ، وأكرمه على أكلها ، وغسل يده ،
 وعاد إلى أن تصفح القصص ، فمرت به قصةٌ مكتوبٌ
 عليها : فلان الحمصي (٢) فقرأها : الحمصي . فقال
 المأمون : كان غداً أبي العباس غير كاف ، لا بد
 للثريدة من أن تتبع بخبيصة (٣) ، فقدمت إليه ، وأكلها .

* * *

(١) البريدي : أي صاحب البريد .

(٢) الحمصي : منسوب إلى حمص إحدى مدن الشام .

(٣) الخبيصة : طعام يصنع من التمر والسمن .

ونذكرُ الآنَ بعضَ ما أُخِذَ على العلماءِ
مِنَ التَّصْخِيفِ

قالَ كَيْسَانُ : سَمِعْتُ أَبَا عبيدةَ يَنْشُدُ (١) :
ما زالَ يَضْرِبُنِي حتَّى خَزَيْتُ لَهُ
وَحالَ مِن دُونِ بَعْضِ البَغِيَةِ الشَّفَقُ (٢)
قالَ : فَقلتُ خَزَيْتُ خَزَيْتُ ؟ ؟ ، وَضَحَكَتْ ،
فَغَضِبَ وَقَالَ : فَكَيْفَ هُوَ ؟ قَالَتْ : إِنَّما هُوَ خَذَيْتُ .
قالَ : فَانْخَزَلْ ، وَما أَحارَ جَواباً .
وَرَوَى أيضاً أَبُو عُبَيْدَةَ آيَاتَ لَقِيَطَ (٣) فِي يَوْمِ جَبَلَةَ

(١) هُوَ أَبُو عبيدةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التَّمِيمِيُّ مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ ، قَرِيشٌ . وَلَدَ
سَنَةَ ١١٠ هـ وَهُوَ أَجْمَعُ سائِرِ الرِّوَاةِ لَعُلُومِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهِمْ وَأَنْسابِهِمْ ،
وَلَهُ مَوْلا فَاتٌ كَثِيرَةٌ .

(٢) الْبَيْتُ لِأَبِي شَجَرَةَ . وَالتَّصْخِيفُ فِي خَزَيْتُ . وَالرِّوَايَةُ : خَذَيْتُ
بِمَعْنَى خَضَعْتَ .

(٣) لَقِيَطُ بْنُ زُرَّارَةَ مِنْ أَشْرافِ تَيْمٍ وَفَرَسانِها وَقَدْ قَتَلَ فِي يَوْمِ جَبَلَةَ
بَعْدَ أَنْ تَمَّ النِّصْرُ فِيهِ لِبَاسٍ وَعَامِرٍ عَلَى تَيْمٍ وَغُطَفانٍ .

يا قَوْمُ قد حَرَقْتُمُونِي بِاللَّسْوَمِ
 ولم أَقاتِلْ عامراً قبلَ اليومِ
 سِيَّانَ هَذَا والعِناقُ والنَّسومُ
 والمَشْرَبُ الباردُ في ظِلِّ الدَّوْمِ
 وقال يعنِي في ظِلِّ نَخْلِ الْمُقْلِ (١) : فقال الأَصمعيُّ :
 قد أحوال ابنُ الحائِكِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِنَجْدِ دَوْمٍ . وجبلةُ
 بِنَجْدٍ ؛ وإِنَّمَا الرِّوَايَةُ فِي الظِّلِّ الدَّوْمِ ، أَيِ الدَّائِمِ .
 وروى الأَصمعيُّ بَيْتَ أَوْسٍ بنِ حَجَّزٍ (٢)
 أَجَوْنُ تَدَارَكَ نَاقَتِي بِقَيْرَى لَهَا
 وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّ جَوْنًا سَيَفْعَلُ
 فقال ابْنُ الأَعْرَابِي : صَحَّفَ الدَّعِي ؛ لِإِنَّمَا هُوَ
 تَدَارَكَ نَاقَتِي بِقُرَابِهَا . أَيِ مَادَمْتُ أَطْمَعُ فِيهَا . وَفِي
 مَثَلٍ لِلْعَرَبِ : « الْفِرَارُ بِقُرَابِ أَكَيْسٍ » (٣) .

(١) المقل : ثَمَرُ الدَّوْمِ .

(٢) أَوْسُ بنُ حَجَرٍ ، من نَمِيرِ أَحَدِ بَطْلُونِ تَمِيمٍ من فُحُولِ الشَّعْرَاءِ
 الْبُجَاهِلِيِّينَ .

(٣) المثل لِجَاهِرِ بنِ عَمْرِو المَازِنِيِّ . ومعْنَى القُرَابِ : الغَمَدُ .

وروي بيث الحارث بن حلزة (١) .

عنّا باطلا وظانّا كما تُعَدُّ
ز عن حَجْرِهِ الرَّبِيعِ الظُّبَاءُ

وقال : العنزة : الحَرْبَةُ يُشْحَرُ بِهَا . فردَّ عليه أَبُو
عَمْرٍو وقال : إنما هو تُعْتَسَرُ ، من العتيرة وهي ذبيحة
الصَّيْمِ (٢) .

وروي بيتُ الحطيئة :

وغررتني وزعمت أني كَلَّاتِنِي بِالضَّيْفِ تَأْمِرُ
وقال أبو عمرو : إذا صحَّفتُم فصحَّفوا مثل
تصحيفه وإنَّما هو لابنُ بَالِضَيْفٍ تَأْمِرُ .
وروي بيت عنزة (٣) :

(١) الحارث بن حلزة بن بكر بن وائل ، اشتهر بمعلته التي أولها :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوِيلٍ مِنْهُ الثَّوَاءُ

(٢) ومعنى البيت : إنكم تأخذوننا بدتب غير تأكما كانت العرب إذا
وجب عليها لذر في شائها ذبحت الظباء مكانها ، فتظلمها بذلك . والتصحيف
ظاهر بين تعمر وتعار .

(٣) هو عنزة بن شداد العبسي نسبة إلى عبس من قيس وهو من الشعراء
الفرسان الشجعان .

وَأَخَرُ مِنْهُمْ أَجْرَرْتُ رُمْحِي
وَفِي الْبَجَلِيِّ مِعْبَلَةٌ وَقِيعُ

فَقَالَ كَيْسَانُ لَهُ : إِنَّمَا هُوَ فِي الْبَجَلِيِّ - بِإِسْكَانِ
الْجِيمِ - مَنْسُوبٌ إِلَى بَجَلَةٍ بَطْنُ مَيْنَ بْنِ سُلَيْمٍ
وَرُوِيَ لَدَى الرَّمَّةِ (١) :

عَيْنٌ مَطْحَلِبَةٌ الْأَرْجَاءُ طَامِيَةٌ
فِيهَا الضَّفَادِعُ وَالْحَيْتَانُ تَصْطَخِبُ
فَقِيلَ : هُوَ يَصْطَخِبُ ، لِأَنَّ الْحَيْتَانَ لَا تَصْطَخِبُ ،
وَلَا صَوْتَ لَهَا .

وَرُوِيَ لِرُؤْيَا :

« شَمَطَاءُ تَسْنُوِي الْغِيظَ حِينَ تَرَامُ »

فَقِيلَ : إِنَّمَا هُوَ تَسْبُوِي ؛ أَيِ تَجْعَلُهُ بِمَنْزِلَةِ الْبَسْوِ (٢)

(١) ذُو الرَّمَّةِ : هُوَ غِيْلَانُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ مَيْسٍ مِنْ مَضَرَ وَيَعِدُ مِنَ الشُّعْرَاءِ
الْمُتَمِيمِينَ وَصَاحِبَتُهُ مَيْةُ بِنْتُ مِقَاتِلِ الْمُنْقَرِي .

(٢) الْبَرُّ وَلَدُ النَّاقَةِ ، وَجِلْدُ الْإِبْرَارِ يُخْشَى تَبْنًا أَوْ تَمَامًا فَيَقْرَبُ مِنْ أَمِّ
الْفَعِيلِ فَتَعَطَفَ عَلَيْهِ فَتَدَّرُ .

رَوَى أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَمَلَاءِ بَيْتَ امْرِئِ الْقَيْسِ (١)
تَأَوَّبَنِي دَائِي الْقَدِيمُ فَعَلَسَا
أَحَازِرُ أَنْ يَشْتَدَّ دَائِي فَأُنْكَسَا

فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : هَذَا تَصْغِيرٌ لِأَنَّ الْمَتَأَوَّبَ لَا يَكُونُ
مَعْلَسًا فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ لِأَنَّ غَلَسَ : أَثَى فِي آخِرِ اللَّيْلِ ،
وَتَأَوَّبَ جَاءَ فِي أَوَّلِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَعْلَسًا ، أَيِ اشْتَدَّ
وَبَرَحَ .

وَرَوَى الْمَفْضَلُ لِلْمُخَبَّلِ (٢) :
وَإِذَا أَلَمَّ خِيَانَتُهَا طَرَفْتُ
عَيْنِي فَمَاءَ شَوْوْنِهَا سَجَمُ

(٣) وَامْرَأُ الْقَيْسِ أَشْهَرُ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَقَدْ تَوَفَّى بِالْجَدْرِ سَنَةَ ٥٤٠ هـ
قَبِيلَ مِيلَادِ الرَّسُولِ .

(٣) الْمَفْضَلُ الْقَسْبِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يَعْلَى بْنِ عَامِرٍ بْنِ سَالِمِ الْقَسْبِيِّ ، أَبُو
الْعَبَّاسِ أَدِيبٌ نَحْوِي لِنُحْوِي عَالِمٌ بِالشُّعْرَاءِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ
لِزِمِ الْمُهَدِّيِّ الْعَبَّاسِيِّ وَعَمِلَ لَهُ الْأَشْعَارُ الْمُخْتَارَةُ الْمُسَمَّاةُ (الْمَفْضَلِيَّاتُ) وَقَدْ
وُلِدَ سَنَةَ ١٦٨ هـ .

فقال له خُلفُ (١) : إِنَّمَا هُوَ طُرْفَتُ عَيْنِي .
فرجع عنه .



(٤) خُلفُ الأحمر : هو خُلفُ بن حيان وقد أخذ الأصمعي وسائر
أهل البصرة عنه ، وكان له قوة عجيبة على تمييز الأشعار وتعيين أصحابها .

هذه حروف وكلمات من المصحف
الذي يستعمله الناس عمداً لا سهواً

كتب أبو تمام (١) الطائي رقة إلى محمد بن عبد الملك
ابن صالح يسأله فيها محالاً، وكتب على عنوانها
« حبيب »

فأخذه محمد ونقطه « خبيث » .

ورفع آخر رقة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر (٢) ،
وعليها « حريث بن الفارس » وكان اسم الرجل ، فجعلته
محمد « خريث في الفرائس » وكتب تحته : « بئسما
فعلت » .

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، ولد بمنبج في بلاد الشام
وجاء مصر صغيراً فجالس الأدباء بجامع عمرو ، فأخذ عنهم وتعلم ، وكان
فطنا فهماً بالشعر .

(٢) هو الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي نائب
بغداد . كان جواداً ، جيد الشعر . مات بالحواليق سنة ٢٢٣ هـ .

وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَقَالَ : أَعْتَسِرُ .
أَخْرَجُ . أَبَادِرُ . فَقَالَ الْحَسَنُ : كَلْبُوا عَلَيْهِ ؛ مَا كَانَ
ذَلِكَ . يَرِيدُ السَّائِلُ : أَعْتَسِرُ أَنْ أُخْرَجَ أَبَا ذَرٍّ ؟

وَمِنْ تَصْغِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ : مَتَّاعِيْل . يَرِيدُ :
مَنْ مَلَّ مَلًّا .

وَقَالَ الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا لَطَبَّائِهِ لَهُ فَارْسِي : حَاسِبَتْ
رَشِيد . فَقَالَ : زَيْنُ نَبِيْد .

أَرَادَ الْمُعْتَصِمُ : جَاءَ شَتَيْتُ رَسِيد ، أَيِ أَدْرَكَ غُلْدَاؤُكَ .
وَقَالَ الْآخَرُ : رَسِيد : أَيِ أَدْرَكَ .

وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ يَوْمًا لِيَحْيَى بْنِ مَاسَوِيَّةَ : بَعْتُ بَيْتِي
بِقِصْرَيْنِ . فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : أَخْشَرُ الْغِلَاءِ . أَرَادَ الْمُتَوَكِّلُ :
تَعَشَّيْتُ فَضَرَنِي . فَأَجَابَهُ ابْنُ مَاسَوِيَّةَ بِالْعَلَّاجِ .

» * »

ومن هذا الجنس حروف وكلمات من المصحف عمداً لا سهواً

الخنصر : الحب ضر . متى ألج بيت هند ؟ :
 ميت الحب شهيد . نرجس طري : برح بي نظري .
 بمطرف تستري : نمر طرقي بسري . طست حسن :
 طيبي : حبيبي . القبعثري وحلبس (١) : ألفت
 غيري وخلايتني . فنت بتكفيلي : في عينك قتلي .
 وخموة حدك بشافي : حمر خدك سبالي . نخشاش (٢) :
 حبيب خائني . مشمشة ثقيلة : من ينتم ينه
 بقبلة . صينية حسنة : صبت نبيه حبيبه . مخبرة أنوس :
 محب زها يوس .

(١) القبعثري ، بالقصر : من معانيها : الجمل العظيم ، الفصيل
 المهزول - والحلبس - بوزن جعفر : الشجاع ، والأسد ، والملازم للشيء .
 (٢) الخشخاش : منوم ، مخدر ، مبرد ، وقشره يغيد في قطع الإسهال .

كلني بيمينك فبعني بحبتهين : كلُّ شيءٍ منك في
 عيني حسنٌ . لبُّ سرجٍ مُضري : ليس ترجم ضري .
 مسعودٌ : متى تعود ؟ . الثوبُ يمانى بثوب : الثوبُ
 ثم استوت . سعيد بن جبير (١) : نبتٌ عند نرجس .
 فروجٌ مُسمّسن بحبه : ثودٌ جَمَش (٢) من تحبه .
 تحت القبل مبروحةٌ خيش : تحبُّ القبل من وجهه
 حسن . حبش بن حزين : حبيبي بت بخير . سكباج (٣) :
 ثنيك (٤) بساخ . كشكية : كنتُ نكتة . قلنسوة
 خضرًا : قلبي يتوهجُ ضراً . المازح مقلّ يغم : لما
 رحمَ قال : نعم .

* * *

-
- (١) سعيد بن جبير : كان كاتباً وزيراً لأبي بردة بن أبي موسى
 الأشعري يأمر الحجاج الثقفي .
 (٢) الجمش : المفاولة .
 (٣) السكباج : طعام يصنع من اللحم والمرق ، وهو معرب (سكبا)
 بالفارسية ، .
 (٤) الثني : الطاقة والقوة . وباح : سكن . والمعنى : سكنت قوتك .

الباب الثالث عشر

نوادِرُ من النُحو واللُحْن (١)

سمِع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجُلًا قرأ ،
فلَحَنَ . فقال : أرشدوا أخاكم .

قال الأَصمَعِيُّ : قلتُ لأبي مَهْذَبٍ (٢) : كيف
تقولُ : لا طيِّبَ إلَّا المسكُ ؟ قال : فأينَ أنتَ عن العنبرِ ؟
قلتُ : فقلْ لا طيِّبَ إلَّا المسكُ والعنبرُ . فقال : أينَ أنتَ
عن البانِ ؟ قلتُ : قلْ لا طيِّبَ إلَّا المسكُ والعنبرُ
والبانُ . قال : فأينَ أنتَ عن أدهانِ (٣) محمَرٍ
قال قلتُ : فقلْ لا طيِّبَ إلَّا المسكُ والعنبرُ والبانُ وأدهانِ
محمَرٍ . قال : فأينَ أنتَ عن فارةِ (٤) الإبلِ صادرةٍ ؟

-
- (١) النوادر : لون جميل من التعبير الأدبي تفتن فيه الأمم ، ويتبارى
في حلبيته أصحاب الصناعات وكلما كانت النادرة غير مصطنعة ، ولا متكلفة ،
كانت أجلب للسرور ، وأمتع للنفس ، وأجدر أن يتناقلها الأفراد والجماعات .
(٢) أبو مهذبة : أعرابي ، صاحب غريب ، يروي عنه البصريون .
(٣) أدهان محمر : نوع من العشب أطيب رائحة من غيره .
(٤) الفارة : المسك . وقد تخفف (الفارة) .

عميلَ بعضُ الشَّحْوِينَ كتاباً في التَّصْغِيرِ ، وأهداهُ
إلى رئيسِ كانٍ يَخْتَلِفُ إليه ، فَتَقْصَّ عَظِيَّتَهُ ، فَصَنَّفَ
كتاباً في العَطْفِ ، وأهداهُ إليه ، وكتبَ معه : رأيتُ
بابَ التَّصْغِيرِ قَدْ صَغَّرَني عِنْدَ الوَظِيرِ ، وأرجو أنْ يَعْطِفَهُ
عليَّ بابُ العَطْفِ .

سمعتُ الصَّاحِبَ - رحمهُ الله - يقولُ : كان سببُ
انصِالِ ابنِ قَريعةَ (١) القَاضِي بالوَظِيرِ أبي مُحَمَّدٍ المَهْلَئِي
أنْ ابنَ قَريعةَ كانَ تَسِيماً رَحِيَّ لهُ ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ حِسَاباً ،
فِيهِ دَرَهْمَانِ وَدِينَقَانِ ، وَحَبَّانِ ، فَدَعَاهُ ، وَأَنكَرَ عَلَيْهِ
الإِعْرَابَ فِي الحِسَابِ .

فَقَالَ : أَيُّهَا الوَظِيرُ ، صَارَ لِي مَاتَبَعَا ، فَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ
لَهُ دَفْعَا . فَقَالَ : أَنَا أَزِيلُهُ عَنْكَ صَفْعاً ، ثُمَّ اسْتَدْنَاهُ
بَعْدَ ذَلِكَ ، وَقَرَّبَهُ .

قَالَ نَحْوِي لِرَجُلٍ : هَلْ يَنْصَرِفُ إِسْمَاعِيلُ ؟ قَالَ :
نَعَمْ . إِذَا صَبَّأَ العِشَاءَ فَمَا قُعوده ؟

(١) أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَريعةَ ، قَاضٍ ، مِنْ أَهْلِ بَغْدَادِ .

وحكي أن جماعةً عند محمد بن بحر (١)
اختلَعُوا في بناء سراويل ، فدخل البرقي وقال : فيم
كنتم ؟ قالوا : في بناء سراويل . فما عندك فيه ؟
قال : مثل ذراع البكر أو أشد .

قال النوشجان (٢) : حضرت مجلس المبرد ،
فسميعنا واحداً يقول : في حرام أصبهان .

فقال أبو العباس : هذا قد شتمك على مذهب قول
الله تعالى : « واسأل القرية » (٣) .

سمع ذو الرمة رجلاً يقول : على فلان لعنة الله .
فقال : لم يرض بواحد حتى شتمها بأخرى . وذلك
أنه لما سمعه مفتوحاً قال أنه أراد التثنية : لعنتا الله .

قيل لرجل كان يكثر اللحن في كلامه : لو
كنت إذا شككت في إعراب حَرَف تخلصت منه إلى

(١) محمد بن بحر الأصفهاني ، وال من أهل أصفهان ، توفي سنة ٣٢٢

(٢) النوشجان : علم فارسي .

(٣) سورة يوسف : ٨٢ . ومعنى اسأل القرية : أي أهل القرية .

غيره . مِّنْ غَيْرِ أَنْ تُزِيلَ المعنى عن جهته ، كان الكلامُ واسِعاً عليك . فلتَقِيَّ رجلاً كان مشهوراً بالأدب . فأراد أنْ يسأله عن أخيه ، وخشي أن يلحن في مُحاطبته ، فلهبَ إلى أنْ يتخلَّص عن نفسه إلى الصَّواب . فقال : أخوك ، أخيك ، أخاك ههنا ؟ فقال له الرجلُ : لا ، لُو ، لي ، ماهو حاضر .

وقف نحوي على صاحب باذنجان ، فقال له : كيف تبسُّعُ ؟ قال : عشرين بدائق . قال : ماعليك أن تقول : عشرون بدائق !! فقدَّر أنَّه يستزيدُه . فقال : ثلاثين بدائق . فقال : وماعليك أن تقول : ثلاثون ؟ فما زالَ على ذلك إلى أنْ بَلَغَ تِسْعِينَ . فقال : وماعليك أن تقولَ تِسْعُونَ ؟ فقال : أراك تَدورُ على المائتون ، وهذا مالا يكون .

ومر نحوي بقصَّاب — وهو يسْلُخُ شاةً — فقال : كيف المستطرقُ (١) إلى درب الرِّسِّين ؟ فقال القصَّابُ : اصبر قليلاً حتى يخرج الكرشُ ، وأدلك على الطريق .

(١) أي كيف الوصول إلى تجار لحم الرؤوس . والرايون القصابون الذين يبيعون لحم الرأس .

وقدّم نحوي خَصَمًا له إلى القاضي ، وقال له :
لي عليك مائتان وخمسون درهماً .

فقال لخصمه : ما تقول ؟ فقال : أصلح الله القاضي ،
الطلاق لازم له إن كان إلا ثلاثمائة . وإنما ترك
منها خمسين ليُعلم القاضي أنه نحوي .

قدم رجل على بعض الولاة ، فقال له : من أين
أقبلت ؟ قال : من أرض الله قال : وأين تريد ؟ قال :
بيت الله . قال : ومِمَّن أنت لا أم لك ؟ قال : من
« تيم » الله . فأمر بوجيء عنقه . فقال : بسم الله .
فقال : اتركوا ابن الخيثة . فاو ترك الرفع وقتاً تركه
الساعة .

قال أبو العيَّناء : دخل رجل إلى عليل : فقال له :
لا إله إلا الله ، وإن شئت لا إله إلا الله ، والأولى أحبُّ
إلى سيبويه (١) . فقال أبو العليل : محرمني الله أجره إن
لم يكن مَشْهُدُك له أشدَّ عليَّ من موته .

(١) سيبويه : من الموالى ، واسمه أبو بشر عمرو بن عثمان ، نشأ
بالبصرة ، وتعلم الفقه ، ثم طلب النحو حتى برع فيه وألف كتابه الذي
لم يسبق إليه ، وقد اشتهر هذا الكتاب حتى صار لفظ « الكتاب » علماً عليه .
وقد توفي سيبويه سنة ١٨٣ هـ .

قال رجلٌ لآخر : «أمرُ» بشيئا ؟ قال : بتقوى الله ،
وإسقاط الألف .

قال خَلَفٌ : قلتُ لأعرابيٍّ : أَلْقِيْ عَلَيْكَ يَمِينًا ؟
قال : على نَفْسِكَ فَأَلْقَيْتَهُ .

قال رجلٌ من البَلَدِيِّينَ لأعرابيٍّ — وأراد مَسْأَلَتَهُ
عن أَهْلِهِ — كيف «أَهْلِكَ» ؟ .

قال بَكْسَرُ اللام فقال الأعرابي : صَلَاتِي (١) . لأنه
أَجَابَهُ عَلَى فَهْمِهِ ، ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهله .
سُئِلَ نَحْوِيٌّ عَنْ تَصْغِيرِ عُبَيْدِ اللَّهِ . فقال : ليسَ
فِي سَجْدَتِي السَّهْوُ سَهْوٌ (٢) .

وذكر أن معاوية قال : كيف أبو زياد ؟ فقالوا :
ظريفٌ على أنه يلحن .

فقال : أو ليسَ ذاك أطرب اه ؟ أرادوا اللّحن الذي
هو الخطأ . وذهب معاوية إلى اللّحن الذي هو الفِطْنَةُ .

(١) الصلب : قتلة معروفة ، وهي أن يشد الرجل من يديه ورجليه
على جذع .

(٢) يريد أن المصغر لا يصغر ، كما أن الساهي عن سجدة السهو
لا يسجد للسهو .

قالوا : كان سبب عمل أبي الأسود الذئلي (١) النّحو وهو أول من وضعه ، وقيل إن أمير المؤمنين عليه السلام - جعل له مثلاً فبنى عليه واحداً - أن أبا الأسود سمع رجلاً يقرأ : « إن الله بريء من المشركين ورسوله (٢) » بالخفض . وسمع ابنته تقول : ما أطيب الرطب ؟ وهي تريد التّعب ، وظن أنها تريد الاستفهام ، فعمل شيئاً من النّحو ، وعرضه على أمير المؤمنين عليه السلام . فقال : ما أحسن هذا النّحو الذي أخذت فيه . فسمعتي نحتوا .

مرّ الشعبي بناس من الموالي يتذاكرون النّحو ، فقال : لئن أصلحتهم لئنكم لأول من أفسده .

وروي أن الحجاج قرأ : إنا من « المجرمون (٣) » مستقيمون .

(١) أبو الأسود الذئلي : هو : ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يمر بن حلس ... وهو من وجوه النّافين وفقائهم ومحدثيهم . وهو الأصل في وضع علم النّحو وعقد أصوله .

(٢) سورة التوبة : ٣ . وصحة اللفظ رفع رسوله بدلا من الخفض وأول الآية : « وأذان من الله ورسوله ... » .

(٣) صحة الأيد « إنا من المجرمين متقون » . سور السجدة : ٢٢ .

وكان محمد بن سليمان يقول في خطبته : إن
الله وملائكته (١) يرفع الملائكة . فقبل له في ذلك .
قال : فخرجوا لها وجهها ، ولم يدع الرفع .

* * *

(١) صحة الآية : «إن الله وملائكته» بفتح التاء سورة الأحزاب : ٥٦

الباب الرابع عشر

نَوَادِرُ الْمُخَنَّثِينَ (١)

قال بعضهم : شهدتُ مجلساً فيه قينةٌ تغني ، فذهبتُ
تَنكَّسُ صِيحَةً شديدةً فانقطعتُ . فصاحتُ من الخجل :
اللبص - اللبص . فقال لها مُخَنَّثٌ كان في المجلس :
والله يا زانيةُ ماسُرق من البيتِ شيءٌ غيرُ حَلَقِكَ .

استوهب رجلٌ من مخنَّث في الحمامِ خيطمياً (٢) ،
فمنعته . فقال : سبحان الله ! ! تمنعني الخيطمي وقمميزُ
منه بدرهم ؟ فقال المخنَّث : فاحسبُ حبسباك أنتَ
على أربعة أقممزة بدرهم ، كم يصيباك بلا شيء ؟
قال المتوكل لِعَبَّادَة : ماتقول في تَطْبِيلِ سَمَانٍ
المخنَّث ؟ قال : هو "حسن" ، ولكنَّه مثلُ الهَيْضَةِ (٣)
يَأْنِي بِأَكْثَرِ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ .

(١) المخنثون : هم الذين يشبهون بالنساء ، فيتكسرون في مشيتهم
ويلبسون في أحاديثهم ، ويبالغون في رقتهم .
... (٢) الخيطمي - بفتح الخاء وكسر الميم - ضرب من النبات يغسل به .
(٣) الهَيْضَةُ : معاودة الهم والحزن ، والمرضة بعد المرضة .

سمع آخرُ رجلاً يقولُ : دعنا أبي أربعة أنفسٍ ،
وأنفق عليهم أربعمئة دينار ، فقال : يا ابن البغيضة
لعلَّه ذبح لهم مُغَنِّيتين ، وزامرةً ، وإلاَّ فأربعمئة
في « أيش » أنفقها ؟

قال شيخٌ لقرقر المخنث : أبو من أنت ؟ قال :
أمُّ أحمد . فديتُك ! !

تاب مخنثٌ ، فلقبه مخنث آخرُ ، فقال : يا أبا
فلان : أيش حالك ؟ قال : قد تبت .

قال : فمن أين معاشك ؟ قال : بقيت لي فضيلة
من الكسب القديم فأنا أتمزُّزُ لها (١) .

قال : إذا كانت نفقتك من ذلك الكسب فالحم
الخنزير طريٌّ خيرٌ من قديد .

رأى عبادة دابةً مخمارقٍ - وهي تُقرمط مشيهاً (٢) -
فقال : يامخارقُ برذونك هذا يمشي على استحياء .

(١) أتمزز : يقال : مزه بمعنى مصه والتمزز : تمصص الشراب
فليلاً قليلاً .

(٢) دابة تُقرمط مشيها : القرمطة : مقارنة الخطو ، ومعنى تُقرمط
مشيها : تقارب في خطوها ، وهذا كناية عن بطء سيرها .

قُدِّمَ إلى عبادة رغيف يابس" ، فقال : هذا نُسِيج
في أيام بني أمية واكنْ بلا طراز .

نَظَرَ مَخْنَثٌ إلى مسجد صغير لطيف ، فقال لآخر :
أما تريدُ هذا المسجد ؟ ما أملهه ، لا يصلحُ والله إلا
أن يُحمَل في السَّفر .

نظر مخنثٌ إلى رجلٍ مِن ولدِ أبي موسى الأشعري
يَمْشِي وهو يتبخترُ ، فقال : انظروا إلى مشية مَنْ
خدعَ أباه عمرو بن العاص .

تَقَرَّى (١) مَخْنَثٌ فَاتَى جَبَلَ (٢) لُكَّامَ عَلَى أَنْ
يَتَعَبَّدَ فِيهِ ، فَأَخَذَ زَادَهُ وَصَعِيدَةً ، وَسَارَ عَلَى سَهْلٍ ،
فَنَفِدَ زَادُهُ وَجَلَسَ قَدْ أَعْيَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْجَبَلِ مَسَافَةٌ ، وَتَطَلَّعَ إِلَى أَسْفَلٍ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَطَعَ
أَكْثَرَهُ ، فَنَظَرَ إِلَى الْجَبَلِ وَقَالَ : وَاشْمَاتَنِي بِكَ فِي يَوْمٍ
أَرَاكَ كَالْعَيْهَنِ الْمُنْفُوشِ .

جلس قومٌ في مجلسٍ - ومعهم مَخْنَثٌ - وقال

(١) تَقَرَّى : تَنَبَّع .

(٢) جَبَل لُكَّام - بضم أوله : جَبَل بالشام .

رجلٌ منهم : «أنا أشتهي كشكياً حاميةً ، وضرطاً .
فقال المخنثُ : قَطَعَ اللهُ ظَهَرَ الكَشَكِيَّةِ : ما أَسْرَعَ
ما تَنَفُّخُ البطنِ !!

لَقِيَ مَخْنَثٌ آخَرَ لِيُودِّعَهُ ، فَقَالَ : أَحْمَدُ اللهُ عَلَى
بُعْدِ سَفَرِكَ ، وَانْقِطَاعِ أَثَرِكَ ، وَشِدَّةِ ضَرْبِكَ .
فَقَالَ لَهُ : أَنَا أَسْتَوْدِعُكَ الْعَمَى . وَالضَّنَى ، وَانْقِطَاعَ
الرِّزْقِ مِنَ السَّمَاءِ .

وَقَالَ مَخْنَثٌ لآخر : أَرَأَيْتَ اللهُ فِي وَجْهِكَ السَّاطُورَ ،
وَبِئْسَ عَيْنَيْكَ الْكَافُورَ ، وَبِئْسَ شَقَّ اسْتِكَ النَّاسُورَ (١) .

قَالَ عَلَّانُ شِدَاقٍ - وَكَانَ قَبِيحاً جَدّاً - مَرَرْتُ
بِمَخْنَثٍ يَعْزِلُ عَلَى حَائِطٍ ، فَقَالَ لِي : مِمَّنْ أَتَيْتَ ؟
قُلْتُ : مِمَّنِ الْبَصْرَةِ . فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ !! تَغْيِيرُ
كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى هَذَا !! كَانَتْ الْقُرُودُ تُجْلِبُ مِنْ
الْيَمَنِ . الْآنَ تَجِيءُ مِنَ الْعِرَاقِ .

وَحِجَّ مَخْنَثٌ فَرَأَى إِنْسَاناً قَبِيحاً يَرْمِي بِالْحِجَارِ ،
فَقَالَ لَهُ الْمَخْنَثُ : يَا أَبِي أَنْتَ رُبَّ لَيْسَتْ أَشْيَرُ عَلَيْكَ أَنْ

(١) والناسور مرض معروف .

تعودُ إلى هذا المكان . قال : ولمَ ؟ أَلستُ مسلماً ؟
قال : بلى ، ولكن لا أرى لك أن تبسُخِل على أهل النار
بهذا الوجه .

نظرَ مُخَنَّثٌ إلى رجل قصير على حمار صغير ،
فقال : هُما توأمان .

وقال بعضُ المخَنَّثين : كان لي أستاذٌ مخَنَّثٌ
يقالُ له زائدةٌ ، فمات . فرأيتُهُ في النَّوم فقلتُ له : ما فعل
اللهُ ربُّكَ بك ؟ قال : أدخلني النار .

قلت : فمنَ تورُّك (١) فيها ؟

قال : هيهات !! انقلبتُ المسألةُ أنا « تورُّ » فِرعون .
ركبَ المتوكِّلُ يوماً زلاًلاً (٢) ومعه جماعةٌ ،
فعصفت الرِّيحُ ، وفزعَ الناسُ . فقال عبادة . يا أميرَ
المؤمنين . أما كُنِيزُ (٣) دُبَّةٌ فلاه لا يخافُ الغرق . فقال
المتوكِّلُ : وكيفَ ذلك ؟

(١) التور : من معانيه الرسول بين القوم .

(٢) الزلال : نوع من السفن .

(٣) كُنِيز : مغن مشهور في عصر المتوكل العباسي .

قال : لأنه يسبحُ على رَقٍّ . وكان كثيرٌ مخنثاً آدَرَ (١)
 كان بعضُ ولد الفضلِ بنِ الربيعِ يتخنثُ ، فوكل
 به أبوه غلاماً يمنعُه مِن نَتَفِ لحيتِه ، فبات ليلة .
 فلما أصبحَ رآه متوفٍ للحمية ، فقال : أهلكُنِي - واللّه -
 أينَ لحيتُكَ ؟ قال .. « (فطافَ عليها طائفٌ مِن رِبِّكَ
 وهمُ نائمون . فأصبحتُ كالصريم) » (٢) .

أدخلَ مخنثٌ على العُريّانِ بنِ الهيثم - وهو أميرُ
 الكوفة - فقالوا : إنه يَسْعَلُ وَيَصْنَعُ . فقال له العريانُ :
 يا عدوَّ اللّهِ . لمَ تفعلُ هذا ؟ قال : كذبوا عليَّ -
 أيها الأمير - كما كذبوا عليك . فغضب العريانُ ،
 واستوى جالساً ، وقال : وما قيلَ فيّ ؟ قال : يُسمُّونكَ
 العُريّانَ وعليكَ عِشرونَ قطعةً ثياب . فضحك . وخلاه .

قال هيثمُ (٣) المخنثُ لعمَرَ بنِ أمِّ سلمة : إن
 فتحَ اللّهُ عليكم الطّائِفَ (٤) فسلَّ رسولَ اللّهِ صلى

(١) وكان آدَر : الآدَر : من يصيبه فتق في إحدى شخصيه .

(٢) سورة القلم : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) هيثم المخنث : أحد المخنثين المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم

(٤) الطائف من نواحي مكة المكرمة ، وجوها جميل وبها بعض البساتين .

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَهَبَ لَكَ بَادِنَةَ بِنْتِ غِيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ ،
 فَإِنَّهَا كَحُلَاةٍ ، سَمُوعٌ ، نَسَجَلَاءُ ، خُمُصَانَةٌ ، هَيْسَفَاءُ (١)
 إِنْ مَشَتْ تَشْتَتِ ، وَإِنْ جَلَسَتْ تَدْنَتْ ، وَإِنْ تَكَلَّمَتْ
 تَغْنَّتْ ، تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ ، وَتُدْبِرُ بِشِمَانٍ ، فَيُخَلِّيُهَا كَالْإِنَاءِ
 الْمَكْفَأِ .

فَرَوِي أَنَّ كَلَامَهُ بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، فَمَنْعَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ .

* * *

(١) خُمُصَانَةٌ هَيْسَفَاءُ : ضَامِرَةُ الْبَطْنِ ، دَقِيقَةُ الْخَاصِرَةِ .

الباب الخامس عشر

نَوَادِرُ جَمْعَا (١)

حَكَى الْجَاهِظُ أَنَّ اسْمَهُ نُوحٌ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْغُصْنِ ،
وَأَنَّهُ أَرَبِيٌّ عَلَى الْمِثَّةِ .

نَمِ أَدْرَكَ أَبَا جَعْفَرٍ ، وَنَزَلَ الْكُوفَةَ .

قِيلَ لَجَمْعَا : أَتَعْلَمَتَ الْحِسَابَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَمَا
يُشْكِلُ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْهُ . قَالَ لَهُ : اقْسِمِ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ
عَلَيَّ ثَلَاثَةً . فَقَالَ : لَرَجُلَيْنِ دَرَاهِمَانِ ، دَرَاهِمَانِ ، وَلَيْسَ
لِلثَّلَاثِ شَيْءٌ .

وَأَرَادَ الْمَهْدِيُّ أَنْ يَجْعَلَ بِهِ فِتْنَةً بِالنُّطْعِ (٢) وَالسَّيْفِ ،

(١) فِي كِتَابِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ شَخْصِيَّتَانِ عُرِفَتَا بِالنُّوَادِرِ وَالْمَلْحِ . وَكُلٌّ
مِنْهُمَا يُسَمَّى جَمْعَا : الْأَوَّلَى جَمْعَا الْعَرَبِيِّ وَالثَّانِيَةَ جَمْعَا التُّرْكِيِّ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ
مُؤَرِّخُو الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي إِثْبَاتِ شَخْصِيَّةِ جَمْعَا الْعَرَبِيِّ نَظَرًا لِكثْرَةِ مَا رَوِيَ عَنْهُ
مِنْ نَوَادِرٍ تَخْتَلِفُ فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَفِي الدَّلَالَةِ عَلَى ذِكَاانِهِ الْخَارِقِ ، أَوْ
عَلَى غِبَائِهِ الْمَفْرُطِ ، أَوْ عَلَى غَفْلَتِهِ وَحِمَقِهِ .

(٢) النَّطْعُ : بَسَاطَةٌ مِنَ الْجِلْدِ .

فلما أَوْعِدَ فِي الشَّطْحِ ، وَقَامَ السَّيَافُ عَلَى رَأْسِهِ وَهَزَّ
سَيْفَهُ ، رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ . فَقَالَ : انْظُرْ لَا تُصِيبُ
مُحَاجِمِي (١) بِالسَّيْفِ ، فَإِنِّي قَدْ احْتَجَمْتُ . فَضَحَكَ
الْمُهْدِيُّ وَأَجَارَهُ .

وَمَاتَ لِأَيِّهِ جَارِيَةٌ حَبَشِيَّةٌ : فَبَعَثَ بِهِ إِلَى السُّوقِ
لِيَشْتَرِيَ لَهَا كَفَنًا ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ حَتَّى أَنْفَذَ غَيْرَهُ ، وَحَمَلَ
الْكَفْنَ ، وَحُمِلَتْ جِنَازَتُهَا ، فَجَاءَ جُمُحًا - وَقَدْ حُمِلَتْ -
فَجَعَلَ يَعْدُو فِي الْمَقَابِرِ ، وَيَقُولُ : رَأَيْتُمْ جِنَازَةَ جَارِيَةٍ
حَبَشِيَّةٍ ، كَفَنُهَا مَعِيَ ؟

وَجَمَعَتْ بِهِ بَغْلَةٌ يَوْمًا ، فَأَخَذَتْ بِهِ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ
الَّذِي أَرَادَهُ ، فَلَقِيَهُ صَدِيقٌ لَهُ . فَقَالَ : أَيْنَ عَزَمْتَ
يَا أَبَا الْعَصْنِ ؟ فَقَالَ : فِي حَاجَةٍ لِلْبَغْلَةِ .

وَمَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ ، فَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَنَا فِي الْمَوْتِ
وَفِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ . فَقِيلَ : إِنَّهَا جِنَازَةُ نَصْرَانِيٍّ . فَقَالَ :
إِذْنًا لَا بَارَكَ اللَّهُ لَنَا فِي الْمَوْتِ ، وَلَا فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

(١) المراد بها مكان الحجامة عند جمحا .

وصلّى يقوم ، وفي كُثمّه جَرُّوْ كُثْب ، فلما
ركع سقط الحرو ، وصاح ، وتنحسح الناس . فالتفت
إليهم ، وقال : إنيّه سـُوقِي (١) عافاكم الله .

وحمل جرة خضراء إلى السوق يبيعها . فقالوا :
هي مثقوبة . فقال : ليس تسيل ، فإنه كان فيها قطن
لوالدي . فما سال منه شيء .

وأعطاه أبود درهما يزئه ، فطرحه في الكفة ،
وطرح في الكفة الأخرى سنجة درهمين ، وهو يحسبهما
سنجة درهم ، فلم يستويا ، فطرح سنجة الدرهم
على رأس الدرهم ، فكان أقل ، فطرح حبتين أيضاً ،
ثم قال لأبيه : لبس فيه شيء ، ويتفحص حبتين .

ونظر يوماً إلى السماء ، فقال : ما أخافها بالمطر
لو « كان » متعجماً .

ورأوه يوماً في السوق يعدو فقالوا : ما شأنك ؟
قال : مرّت بكم جارية رجل محضوب اللحية ؟
واجتاز يوماً باب الجامع فقال : ليمن هذا القصر ؟

(١) سوقي : نوع من الكلاب غالي الثمن .

قالوا له : هَذَا مَسْجِدُ الْجَامِعِ . قَالَ : رَحِيمَ اللَّهِ جَامِعاً .
مَا أَحْسَنَ مَا بَنَى مَسْجِدَهُ ؟ ؟

وَذَهَبَتْ أُمُّهُ فِي عَرَسٍ . وَتَرَكْنَاهُ فِي الْبَيْتِ ، وَقَالَتْ
لَهُ : احْفَظِ الْبَابَ . فَبَجَلَسَ إِلَى الظَّهْرِ . فَلَمَّا أَبْطَأَتْ عَلَيْهِ
قَامَ ، فَقَالَعَ الْبَابَ ، وَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ .

وَمَاتَتْ خَالَتُهُ ، فَقَالُوا : اذْهَبْ ، وَاشْتَرِ لَهَا
حَنْوُطاً (١) . فَقَالَ : أَخْشَى أَلَّا الْحَقَّ الْجَنَازَةَ .

وَتَبَخَّرَ يَوْمًا فَاحْرَقَتْ ثِيَابُهُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا تَبْخَرْتُ
أَبْدَلاً إِلَّا عُرْيَاناً .

* * *

(١) الحنوط — كصبور : كل طيب يخلط للميت .

الباب السادس عشر

نَوَادِرُ أَشْعَبِ (١)

كان يقول : كلُّني كالبُ سَوءٌ ، يبصبصُ للأُ ضيافُ
وينبجُ أصحابُ الهدايا .

وأشعبُ هذا هو الموصوف بالطمع . وقيل له : ما بلغ
مِنْ طمعك ؟ قال : لم تقُلْ هذا إلَّا وفي نفسك خيرٌ
تصنعه بي .

ومِنْ عجيب أخباره أنه لم يمتْ شريفُ قط من أهل
المدينة إلَّا استعدى (٢) أشعبُ على وصيِّته ، أو وارثه ،
وقال له : احلف أنه لم يُوصِ لي بشيء قبل موته .
وقيل له : لقد لقيت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله

(١) أشعب : هو أشعب بن جبير . ولد سنة تسع للهجرة ومات في
أيام المهدي ، وكان أليب أهل زمانه عشرة ، وأكثرهم نادرة ، وكان
أقوم أهل دهره لحجج المعتزلة ، وكان من القراء حسني الصوت ، وكان
قد نكح وغزا وروى الحديث عن عبد الله بن جعفر .

(٢) استعدى : استعان ، واستنصر .

عليه وسلم ، فلو حَفِظْتَ أَحَادِيثَ تَتَحَدَّثُ بِهَا؟ قَالَ : أَنَا
أَعْلَمُ النَّاسَ بِالْحَدِيثِ . قِيلَ : فَحَدِّثْنَا . قَالَ : حَدَّثَنِي
عِكْرَمَةُ (١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : خَلَّيْتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ
فِي مَوْمنٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ . ثُمَّ سَكَتَ . قِيلَ لَهُ : هَاتِ ،
مَا الْخَلَّتَانِ ؟ قَالَ : نَسِي عِكْرَمَةُ لِإِحْدَاهُمَا ، وَنَسِيتُ
أَنَا الْآخَرَى .

قَالَ بَعْضُهُمْ : قُلْتُ لَهُ : لَوْ تَحَدَّثْتَ عِنْدِي الْعَشِيَّةَ ! !
فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ يَجِيءَ لِنَاسٍ ثَقِيلٌ : قُلْتُ : لَيْسَ مَعَنَا
ثَالِثٌ . فَمَضَى مَعِيَ . فَلَمَّا صَلَّيْتُ دَعَوْتُ بِالْعِشَاءِ ،
فَلَمَّ يَلْبِثُ أَنْ جَاءَ صَدِيقٌ يَدُقُ الْبَابَ ، فَقُلْتُ أَشْعَبُ :
تَرَى قَدْ صِرْنَا إِلَى مَا نَكْرَهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : عِنْدِي
فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ لَا يُكْرَهُ مِنْهَا خَصْلَةٌ ، فَإِنْ كَرِهْتَ
وَاحِدَةً لَمْ أَذَنْ لَهُ . قَالَ . هَاتِ . قُلْتُ : أَوْلَاهُنَّ أَنَّهُ
لَا يَأْكُلُ . فَقَالَ التَّسْعُ الْبَاقِيَةُ لَكَ . أَدْنِيهِ .

وَكَانَ أَشْعَبُ لَا يُغَيَّبُ (٢) طَعَامُ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عُمَرَ (٣) فَاشْتَهَى سَالِمٌ أَنْ يَأْكُلَ مَعَ بَنَاتِهِ . فَخَرَجَ إِلَى

(١) هُوَ عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَارٍ الْيَمَامِيُّ رَوَى الْحَدِيثَ عَنْ طَاوُسٍ وَجَمَاعَةٍ .

(٢) لَا يَغَيَّبُ : أَغْبَى الْقَوْمَ : جَاءَهُمْ يَوْمًا وَتَرَكَ يَوْمًا .

(٣) هُوَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كَانَ مُعَاوِرًا لِعُمَرَ بْنِ

عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

بُستان له ، فجاء أشعب فحُبر بالقصة ، فاكتسرى جملاً
بدرهم . فلما حاذى حائطَ البستان . وثب ، فصار عليه
فغطى سالمٌ بناتيه بثوبه . وقال : بناتي بناتي . فقال أشعبُ :
إِنَّكَ لتعلمُ » ما لنا في بناتك من حقٍّ وإِنَّكَ لتعلمُ
ما نريدُ » (١) .

قيل : بغت أمُّ أشعب ، فضربت ، وحُلقت ،
وحملت على بغير يُطاف بها ، وهي تقول : من رآني
فلا يزني . فأُشرفت عليها ظريفةٌ من أهل المدينة . فقالت
لها : إِنَّكَ لمطاعةٌ ! ! نهانا اللهُ عنه ، فما ندعه ، وندعه
لقولك ؟ ؟

كان زياد بن عبد الله الحارثي عاصي شُرطة المدينة ،
وكان مبهضلاً على الطعام فدعا أشعب في شهر رمضان
ليفطر عنده ، فقدمتُ إليه في أول ليلة بصائيةٍ معتمودة ،
وكانتُ تُعجبه ، فمَجَّل أشعبُ يُدعِينُ فيها — وزيادُ
يأمرحه — فلما فرغوا من الأكل قال زيادُ : ما أَظُنُّ

(١) مقتبس من الآية « وقالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك

لتعلم ما نريد » سورة هود : ٧٩ .

أَنْ لَا هِلَ السَّجَنُ لِـ مَامَا بِصَايِي بِهِمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ فَلَا يُصَلُّ
 بِهِمْ أَشْعَبُ . فَقَالَ أَشْعَبُ : لَوْ غَيْرَ ذَلِكَ — أَصْلَحَكَ
 اللَّهُ — ؟ قَالَ : وَمَا دُنُو ؟ قَالَ : أَحْلِفُ أَيْ لَا أَذْوَقُ
 بِصَايِيَّةً أَبَدًا . فَمَضَى زِيَادٌ ، وَتَخَافَلَا عَنْهُ .

قَالَ أَشْعَبُ : جَاءَتْنِي جَارِيَةٌ بِدِينَارٍ ، وَقَالَتْ هَذِهِ
 وَدِيعَةٌ عِنْدَكَ . فَمَجَعَلْتُهُ بَيْنَ ثِنْتَيْ الْفَرَاشِ . فَمَجَأَتْ بَعْدَ
 أَيَّامٍ فَقَالَتْ : بَأَيِّ . الدِّينَارِ . فَقَالَتْ : ارْفَعِي الْفَرَاشَ .
 وَخُذِي وَلَدَهُ . وَكُنْتُ تَرَكْتُ لِي جَنْبَهُ دِرْهَمًا .
 فَتَرَكْتُ الدِّينَارَ ، وَأَخَذْتُ الدِّرْهَمَ وَعَادَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ فَوَجَدْتُ
 مَعَهُ دِرْهَمًا آخَرَ ، فَأَخَذْتُهُ .

وَعَادَتْ فِي الثَّلَاثَةِ كَذَلِكَ . فَلَمَّا رَأَتْهَا فِي الرَّابِعَةِ
 بِكَيْتٍ . فَقَالَتْ : مَا يُهْكِيَاكَ ؟ قَالَتْ مَاتَ دِينَارُكَ فِي
 النَّفَّاسِ . قَالَتْ : وَكَيْفَ يَكُونُ لِلدِّينَارِ نِفَاسٌ ؟ ؟
 قَالَتْ : يَا فَاسِقَةٌ تُصَلِّدَتَيْنِ بِالْوِلَادَةِ ، وَلَا تُصَلِّدَتَيْنِ
 بِالنَّفَّاسِ ! ! !

سَمَلُ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ أَشْعَبَ عَنْ طَمَعِهِ ،
 فَقَالَ : قَالَتْ لِصَبِيَّانِ مَرَّةً : اذْهَبُوا . هَلَا سَالِمٌ قَدْ فَتَحَ

بيت صدقة عمر حتى يطعمكم تمراً . فلمّا احتبسوا
ظننتُ أنه كما قلتُ لهم فغدوتُ في أثرهم .
وقيل له : ما بلغ من طعمك ؟ قال : أرى دُخَانَ
جاري فأتدُّ (١) .

وقيل له أيضاً : ما بلغ من طعمك ؟ قال : لم أر
اثنين قطّ يتساران إلاّ ظننتُ أنهما يأمران لي بشيء .
وقيل أيضاً : ما بلغ من طعمك ؟ قال : ما رأيتُ
عروساً بالمدينة تُزفُّ إلاّ كنتُ بيتي . ورششته طمعاً
في أن تُزفَّ إليّ .

ووقف على رجل خيْزُراني - وكان يعمل طبّاقاً -
فقال له : وسعّه قليلاً . قال الخيْزُراني : وما تُريد
بذلك ؟ كأنّك تُريد أن تُشتريه ؟ قال : لا ، ولكنّ
يشتريه بعضُ الأشرافِ ، فيُهدي إليّ فيه شيئاً .

١٠ ٩ ٨

(١) أترد : تُرد الخبز فتة .

الباب السابع عشر

نَوَادِرُ السُّؤَالِ

قال بعضهم : رأيتُ سائلاً ببغدادَ في الزبائن - وهم أنصبُّ (١) من في الأرض - يسأل ، ويقول : تصدَّقوا عليَّ حبباً وكرامةً لأمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب . وليس يلتفتُ إليه أحد ، ولا يُعطيه شيئاً . فلدفتُ إليه درهماً ، وقلتُ في نفسي : إن هذا المسكين لا يعرف هؤلاء ، وبُغضهم لعليٍّ - عليه السلام - فأخذ الدرهم مني ، وقال : يا صاحب الصدقة ، إن كنتَ تصدَّقْتَ بها عليٍّ وفي قلبك بُغضٌ لأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وفلان ، وفلانٍ ومعاويةَ نحال المؤمنين رديف المصطفى ، وكاتب الوحي فقطع اللهُ يديكَ ورجليكَ وأعشى عينيكَ .

قال : فأخذتهُ الدراهمُ من كل جانب ، وبقيتُ أنا متحيراً . ثم مضى فاحفظته . فعلم ما في قلبي . فقال

(١) نصب : احتال.

يَا فَتَى . عَلَى رَسُولِكَ !! عِنْدَكَ أَنْ هَؤُلَاءِ الْقَرَانِيَّةَ (١)
لَا يَصْدَقُونَ عَلَيَّ إِلَّا بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِيلَةِ .

جاء سائلٌ إلى قوم فسألهم ، فَرَدُّوا عليه ، وألح
عليهم فَرَدُّوا . فَأَلَحَّ ، فَمَخَّرَجَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَقَالَ : عَافَاكَ
اللَّهُ . أَمَّا سَمِعْتَ الرَّدَّ ؟ قَالَ : وَلَكِنْكُمْ غَمَمْتُكُمْ
فَأَرَدْتُ أَنْ أَغْمَتَكُمْ يَا قَرَانِيَّةُ .

أَعْطَيْتِ سَائِلٌ كَسْرَةً صَغِيرَةً . فَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ مَنْ
تَمَّهَا لُقْمَةً .

قَالَ بَعْضُهُمْ : رَأَيْتُ بِيْعْدَادَ مَكْفُوفًا يَقُولُ : مَنْ أَعْطَانِي
حَبَّةً سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الْخَوْضِ عَلَى يَسَدٍ مُعَاوِيَةٍ . فَتَبِعْتَهُ
حَتَّى خَالَوَتْ بِهِ ، وَاطْمَأْنَنَتْهُ ، وَقُلْتُ : يَا كَذَا (٢) ،
عَزَلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْخَوْضِ . فَقَالَ : أَرَدْتُ أَنْ
أُسْقِيَهُمْ بِحَبَّةٍ عَلَى يَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟
لَا ، وَلَا كَرَامَةً .

(١) القرائنة : المفرد قرنان : الديوث المشارك في قرينته .

(٢) يَا كَذَا : كناية عن مناداته بلفظ قبيح ..

سأل أبو فرعون رجلاً ، فمنعه . فألحَّ عليه فأعطاه
 فقال : اللهم ائزنا وإيآهم . نسألهم إالحافاً ، ويعطوننا
 كثرها ، فلا يُبَارِكُ اللهُ لنا فيها ، ولا يأجرهم عليها .
 وقف سائل على باب ، فقال : يا أهل الدار . فبادر
 صاحب الدار قبل أن يُسمَّ السائلُ كلامه ، وقال : صنعَ
 اللهُ لك . فقال السائلُ : يا بنَ البِطْرَاءِ كُنْتَ تصبرُ حتى
 تسمعَ كلامي عسى جئتُ أدعوك إلى دعوة .

وقف أعرابيُّ سائلٌ على باب ، وسأل . فأجابه رجلٌ :
 ليس ها هنا أحدٌ . قال : إنَّكَ لَأَحدٌ أو جعلَ اللهُ فيك
 بركةً .

قال الجهمَّازُ (١) : سمعتُ سائلاً يقول : مَنْ يعطيني
 حبیباً لآمينين : جبريل ومعاوية ؟
 وكان آخر يقول مَنْ يعطيني قطعةً حبیباً لهذا (٢)
 حمزة النَّبِيِّ .

(١) الجهمَّاز : هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد عطاء بن ياسر
 وكان من أحلى الناس حكاية وأكثرهم نادرة .

(٢) هي هند أم معاوية ، وزوج أبي سفيان وقد تزوج الرسول -
 عليه السلام - ابنتها أم حبيبة .

ووقف سائلٌ بباب (المافروخي) عاملِ الآهواز ،
وسأل فأعطوه لقمةً منْ خُبْزٍ ، فسكتَ ساعةً ، ولم
يبرحْ . ثم صاحَ ، وقالَ : هذا الدواءُ لأبي شيءٍ
يشفِ عُنْيي ؟ وكيف آخذُهُ ؟

وقف سائلٌ على باب قوم فقال : تصدَّقوا عليَّ فإنِّي
جائع . قالوا : لم نخبِزْ بعدُ . قال : فكفَّ سَوِيْقُ ؟
قالوا : ما اشترينا بعدُ . قال : فشريةَ ماءٍ فإنِّي عطشانُ .
قالوا : ما أتانا السقاء بعدُ . قال : فيسيرَ دُهْنٍ أضعه على
رأسي . قالوا : ومِنْ أين لنا الدهنُ ؟ فقال : يا أولادَ
الزَّنى ، فمَآ عَودُكُمْ ها هُنَا ؟ ؟ قومُوا وسَلُّوا معي .

وقف سائلٌ على باب دارٍ فقال : تصدَّقوا عليَّ .
فقالو جاريةٌ من الدار : ما عِنْدَنَا شيءٌ نعطيكَ ،
وسَتِّي في المَأْتَمِ . فقال السائلُ : أيُّ مَأْتَمٍ أعْظَمُ مِنْ
مَأْتَمِكُمْ إِذَا لم يكن عِنْدَكُمْ شيءٌ ؟ ؟

وقف آخر بباب فقال : أوسعُوا عليَّ ما رَزَقَكُمْ
اللهُ فإنِّي في ضيقٍ . فقالَ صاحبُ الدار : إِنْ كُنْتَ
في الدهليزِ في ضيقٍ فادخلِ الدارَ فإنَّه أوسعُ لك فقال
السائلُ : إِنَّمَا قُلْتُ : تأمُر لي بشيءٍ . قالَ : قد أمرْتُكَ
أَنْ تَشْتَرِيَ لَابَنِي قَلَنسوةَ .



الباب الثامن عشر

نَوَادِرُ الْمُعَلِّمِينَ

قال بعضهم : مررتُ ببعضِ سِكَكِ البصرةِ وإذ
معائِمٌ قد ضربَ صبيشاً ، وأقام الصبيانَ صَةً ، وهو
يقولُ لهم : اقرؤوا . ثم جاء إلى صبيٍّ بجانبِ الصبيِّ الذي
ضربه ، فقال : قُلْ لهذا يقرأ ، فيأني لستُ أكلّمه .

قال أبو عثمان : كان ابنُ شُهْرمة لا يقبلُ شهادةَ
المعلّم ، وربّما فبلَ شهادةَ المؤدّب .

وكان يحيى بنُ أكرمٍ أسوأ رأياً فيهم .

وكان السنائيُّ بنُ شاهك لا يستحلفُ المكَارِي (١) ،
ولا الخائِكَ ، ولا الملائحَ ، ويجعلُ القولَ قولَ المدّعي
ويقولُ : اللّهم إنيّ أَسْتَخِيرُكَ في الحَمّالِ ومعلّمِ
الكِتَابِ .

(١) المكَاري : الذي يؤجر الناس الدواب يقال كراه مكارة ،
وكراه : استأجره .

وصفَ بعضهم معلماً فقال : هو أفرهُ الناسِ
وصيفاً (١) ، وأكثرُهم رغيماً .

قال بعضهم : مررتُ بمعلم وإذا صبيانهُ يلعبون
ويقتتلون ؛ فقلتُ للمعلم : ما بالُ صبيانك ليسوا
يتمسّقون منك !! قال : وأنا أيضاً لستُ أفرقُ منهم .

قال : وقال غلامٌ لأبيه : لا أريد هذا المعلمَ .
فقال له أبوه : ما لهُ ؟ قال : يصنعُ بي أمراً عظيماً .
قال : يستخذمُك ؟ قال : أشدَّ مِن ذلك . قال :
فيضربُك ؟ قال : أشدَّ من ذاك . قال : فيعصفجُك (٢) ؟
قال : أشدَّ من ذاك . قال : فأَيُّ شيءٍ ويليكَ يفعلُ بك ؟
قال : يأكلُ غدائي .

قال : كان معلمُ الصبيانَ صنفينِ ، ويتكوى
صبيين بيديه ، ويقولُ : أربعةٌ وأربعةٌ : ستةٌ . فقلتُ
له : إذا كانَ أربعةٌ وأربعةٌ ستةٌ ، فكيف يكونُ ثلاثةٌ
وثلاثةٌ ؟ قال : صدقت . لم آخذُ جلدُره .

(١) هو أفره الناس وصيفاً : أخذتهم خادماً .

(٢) يعفج : يلوط .

وكان لأبي دواد المعلم ابنٌ ، فمرض ، فلما نزع
قال : اغسلوه . قالوا . لم يمت بعد . قال : إلى أن
يُفرغ من غسله ما (١) قد مات .

وقال شريكه : تعلم الصبيان عليك قميصٌ
جديدٌ فيسودونه عليك ؟ قال : قد اشتريت قطناً ، وقلت
لأهلنا : يغزلون قميصاً خلتاً (٢) .

قال : مروت يوماً بمعلم - والصبيان يحذفون
عينه بالقصب - وهو ساكتٌ فقلت : ويحك !!
أرى منك عجباً . فقال : وما هو ؟ قلت : أراك
جالساً والصبيان يحذفون عينك بالقصب !! فقال :
اسكت : ودعهم . فما فرحي والله إلا أن يُصيب
عيني شيء ، فأريك كيف أثيف لحي أبيهم .

كان بمحمص معلم يُكنى أبا جعفر يتعاطى علم
الحساب ، فصارت إليه يوماً امرأة ، فقالت : يا أبا جعفر :

(١) هنا لا معنى لها ولعلها زائدة والمراد : إلى أن يتم غسله
يكون قد مات .

(٢) خلقاً : بالياء .

قفيزٌ دقيقٌ بشمانية دراهم كم يصيبني بأربعة دراهم ؟
فقال لها ، بعد أن فكّر : في هذه المسألة ثلاثة أقوال :
أحدهما أن تُعطي الرجل أربعة أخرى ، وتأخذني
قفيزاً ، والآخر : لك قفيزٌ إلا بأربعة دراهم . والثالث :
تدفعين درهم درهم ، وتأخذين مكثوك (١) مكثوك
حتى تستوفين (٢) .

وصار إليه ثلاثة « روز جارتين (٣) » قد أخذوا
أجرتهم درهمين فقالوا : يا أبا جعفر ، كيف نقسم
الدرهمين ونحن ثلاثة ؟ قال : أسقطوا منكم واحداً ،
وخذوا درهماً درهماً . قالوا : سبحان الله !! كيف
نُسقط أحدهما وقد عميل ؟ قال : فزيلوا واحداً
وخذوا نصف نصف . قالوا : كيف نزيد فينا من لم
يعمل ويأخذ كرائنا ؟ قال : فخذوا نصفاً نصفاً واشتروا
بالباقى تمرّاً . وكملوه .

(١) المكوك - كتثور - : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .

(٢) في هذه العبارة من الخطأ النحوي ما هو ظاهر ويستوي في ذلك

عبارة المعلم وعبارة السائل

(٣) لفظ فارسي . وأعله علم على نوع من العمال

وسأله امرأة ، فقالت : أربعة أرطال تمر بلبرهم .
 كم يُصَيَّبُني بدانق ونصف ؟ فذكر ساعة طويلة .
 وأدخل يديه تحت ذيليه ، وجعل يحسبُ بهما ثم
 أخرج يديه وقد جمعهما ، وقال : كتلة مثل هذه
 كبيرة .

قال بعضهم مررتُ بمعلم وهو جالسٌ وحده ، وليس
 عنده من الصبيان أحدٌ ، فقلتُ له : يا معلّم ، ما فعل
 صبيانك ؟ فقال : خلف الدّور يتصافعون . فقلتُ :
 أريد أن أنظرَ إليهم . فقال : إن كان ولا بدّ فغطّ رأسك ،
 لا يحسبونك أنا فيصنعوك .

قال : ورأيت معلّمًا وقد جاء غلامان قد تعاقى
 أحدهما بالآخر ، وقال : يا معلّم ، هذا عضّ أذني .
 فقال الآخر : والله ما عضضتها ، وإنما هو عضّ
 أذن نفسه . فقال له المعلم : يا بن الخبيثة . صار
 جملاً حتى يعضّ أذن نفسه ؟

وقال : رأيتُ معلّمًا بالكوفة — وهو شيخٌ مخضوبُ
 الرأس واللحية — وهو يجلسُ يبكي فوقفتُ عليه ،

وقلتُ : يا عمّ : مِمَّ تبكي ؟ فقال : سرقَ الصبيانُ
نخبُزي .

قال : وسمعتُ معلماً وهو يقرئُ صبيّاً « (وما
أمرُنا إلا واحدةٌ كَلِمَحٍ بِالْبَصَرِ) » (١) والصبيُّ يقول :
كأحم بالبَصِلِ فقال له : يا فاعلُ ، أحسبُك تشتهي
بصليّةً .

قال : وقرأ صبيٌّ على معلّم « (الذين يقولون لا تُنفقُوا
على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) » (٢) فقال المعلمُ : من عِنْدِ
أبيك القَرْنَتَانِ (٣) أولى ؛ فإنه كثيرُ المالِ يا بنَ الفاعلةِ ،
هو ذا ٩٩ تُلْزَمُ النَّبِيُّ نَفَقَةً لا تَجِبُ عليه . أعجبتُ
كثرةُ ماله ٩٩

قال : ورأيتُ معلماً وقد جاء صبيٌّ ، فصَفَعَهُ صَفْعَةً
مُحْكَمَةً . فقال له المعلمُ : أيّها أصلبُ : هذه أم
التي صَفَعْتُكَ أَمْسَ ؟

(١) سورة القمر : ٥٠ .

(٢) سورة (المنافقون) ٧ وأولها « هم الذين يقولون » .

(٣) القرنان : الديوث المشرك في قريته .

قال : وكان بالمدينة معلّم يُفَرِّط في ضربِ الصبيان ،
ويشتمهم . فلاموه على ذلك ، فسألني أنْ أُقْعِدَ عنده ،
وأشاهدَ حاله معهم ، فقعدتُ عنده ، فإذا بصبيٍّ يقول :
يا معلّمُ : « (وإنَّ عليك اللعنةَ إلى يومِ الدينِ) » (١)
فقال : عليك وعلى أبويك .

وجاء آخرُ ، فقال : يا معلّم : « (فانخرجُ منها فانك
رجيمٌ) » (٢) قال : ذاكَ أبوك الكَشَشْخَانُ (٣) .

وجاء آخرُ ، فقال : يا معلّم : « (إني أريد أن
أُنْكِحَكَ) » (٤) قال : انكح أمّاك الفاعلة .

وقال آخرُ : يا مُعَلِّمُ : « (ما لنا في بَسَنَاتِيك من
حقٍّ) » (٥) قال : لا ، ولا كرامةَ . فلا يزالُ معهم في
مثل هذا وهو يَضْرِبُهُمْ ، وَيُزْنِّيهِمْ (٦) .

(١) سورة الحجر : ٣٥ .

(٢) سورة الحجر : ٣٤ وأولها : « قال ... »

(٣) الرجل الكَشَشْخَان : الديوث .

(٤) سورة القصص : ٢٧ . وقرأها أنكحك بفتح الهمزة .

(٥) سورة هود : ٧٩ وأولها « قالوا لقد علمت » .

(٦) يزنّيه : يقدفهم بالزنا .

قال : ومررت بمعلم وقد جاء صبي صغير ، فصفحه .
فقلت له : لِمَ تَدَعُ هذا الصبيَّ يَجْتَرِيءُ عليك ؟ فقال :
دَعُهُ فَإِنِّي أَشْكُوهُ غدا إلى أبيه .

واستفتح غلامٌ ، فقال : يا معلم «(لأن أبي يَدْعوكِ)» (١)
فقال : هاتُ (٢) نَعْلَيَّ . فقال الغلامُ : إنما استفتحتُ .
فقال : قد أنكرت أن يُفْلِحَ أبوك .

قال معلم الغلام : قُلْ «(قد أفلح مَنْ زَكَّاهَا .
وقد خاب مَنْ دَسَّاهَا)» (٣) . فقال : وقد داس مَنْ
خَبَّاهَا . فلم يزل يكرِّرُ ذلكَ عليه إلى أن أَعْيَيْتَهُ الْعِلْمَةُ .
فقال المعلم : وقد داسَ مَنْ خَبَّاهَا . فقال الغلامُ «(وقد
خابَ مَنْ دَسَّاهَا)» . فقال المعلم لأبيه : وقد قلتُ لك
إنه لا يُفْلِحُ .

* * *

(١) سورة القصص : ٢٥ .

(٢) الصحيح نحو : هاتوا .

(٣) سورة الشمس : ٩ ، ١٠ .

الباب التاسع عشر

نوادِرُ الصَّبِيَّانِ

٣٠ قال رجلٌ لابنه : ما أراك تُفْلَحُ أبداً ، فقال الابنُ :
إلاَّ أنْ يرزقني اللهُ مؤدِّباً غيرَكَ .

قال بعضهم : أحضرتُ لتعليمِ المعتزِّ - وهو صغيرٌ -
فقات له : بأيُّ شيءٍ تبتدأُ اليوم ؟ فقال : بالانصرافِ .

قال بعضهم : رأيتُ أعرابياً يعاتبُ ابناً له صغيراً ،
ويذكرُ حقَّه عليه . فقال الصبي : يا أبتَه إنَّ عَظِيمَ حَقِّكَ
عليَّ لا يُبْطَلُ صغيرَ حَقِّي عليك ، والذي تَمَسَّتْ به
إليَّ أُمْتُ بَئِلهِ إليك ، ولست أقولُ : إنا سواهُ ، ولكن
لا يَجْمُلُ الاعتداءُ .

عرباً (١) غلامٌ على قومٍ ، فأرادَ عمُّه أنْ يعاقبَه ،
ويؤدِّبَه ، فقال له : يا عمُّ : إني قد أسأتُ ، وليسَ
معي عَقْلِي ، فلا تُسَيِّءْ بي ومعَكَ عَقْلُكَ .

(١) العريضة : سوءُ الخلق .

ونظر دَمِيمٌ يوماً في المِراةَ ، وكان دَمِيماً ، فقال :
الحمدُ لله ، خلقتني فأحسنَ خَلْقِي وصورني فأحسنَ
صورتي ، وابنٌ له صغيرٌ ، يسمعُ كلامه . فاجتأ خرجَ
سألهُ رجلٌ — كان بالباب — عن أبيه فقال : هو
بالبيتِ يكذبُ على الله .

كان الفتحُ بنُ خاقان — وهو صهبي — بين يدي
المعتصم (١) ، فقال له ، وعرضَ عليه خاتَمَهُ : هل
رأيتَ — يا فتحُ — أحسنَ من هذا الفَصِّ ؟ قال :
نعم : يا أميرَ المؤمنين اليدُ التي هو فيها أحسنُ منه .

وعاد المعتصمُ أباه — والفتحُ صغيرٌ — فقال له : داري
أحسنُ أم دارُ أبيك ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، دارُ أبي
مادُمَت فيه (٢) .

(١) المعتصم العباسي : هو ثامن خلفاء العباسيين ببغداد ، ويدعى أبا
إسحاق محمد بن الرشيد بن المهدي وقد حارب الروم وانتصر عليهم ،
وفتح عبورية سنة ٨٢٣ وفي هذا الفتح نظم أبو تمام قصيدته المشهورة . وقد
توفي سنة ٨٢٧ .

(٢) أي في الدار ، والدار مؤنثة وقد تذكر .

قال ابنُ أبي ليلى : رأيتُ بالمدينة صبيّاً قد خرجَ من دار ، وبيدِهِ عودٌ مكشوفٌ ، فقلتُ له : غَطِّهْ لا ذُعِرْتَ . قال : أَوْ يَغْطِّيهِ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ ؟ لا تَلِفْتُ .

قال البلاذري : أدخِلَ الركاظُ وهو ابنُ أربع سنين إلى الرشيد ليُعجِبَ من فطنته ، فقال له : ما تحبُّ أنْ أَهَبَ لَكَ ؟ قال : جميلَ رأيك فلني أفوزُ به في الدنيا ، والآخرة ، فأمر له بدنانير ودراهم فصَبَّتْ بين يديه . فقال : اخترِ الأَحَبَّ إِلَيْكَ . قال : الأَحَبُّ إلى أمير المؤمنين ، وهذا مِنْ هَلَاتين ، وضربَ يده إلى الدنانير فضحك الرشيدُ ، وأمر أنْ يُضَمَّ إلى وَلَدِهِ ، ويُعْجَرَى (١) عليه .

اجتازَ عمرُ بنُ الخطاب — رضي الله عنه — بصبيان يلعنون ، وفيهم عبدُ الله ابنُ الزبير فتهاربُوا إِلَّا عبدَ الله

(١) يجري عليه : أي يرتب له جناية : أي راتب .

فإنه وقف . فقال له عمرُ : لِمَ لمْ تَتَفَرَّ مع أصحابك ؟
قال : لمْ يَكُنْ لي جُرْمٌ فَأَفَرَّ مِنْكَ ، ولا كان الطريقُ
ضيقاً فأوسَّعَهُ عَلَيْكَ .



الباب العشرون

نَوَادِرُ الْعَبِيدِ وَالْمَمَالِكِ

ولى بعض الأمراء مولىً بعد غيبة طويلة فقال :
أنت في الأحياء بعد . فقال : وأنا أستخير أن أموت قبل
مولاي الأمير .

قال الدارمي (١) لغلامه : بآبي أنت وأمّي لو كان
العيتقُ مثلَ الطلاقِ لستَ رنأتَ بوحدةٍ (٢) .

اعترض بعضهم غلاماً أرادَ شراءَه فقال يا غلام :
إني اشتريتكُ تُفْلَحُ ؟ فقال : فإن لم تُشْتَرِ .

قال أبو العيّن : اشتري للوائق (٣) عبدٌ فصيحٌ
من البادية ، فأتيناه وجعلنا نكتبُ عنه كلَّ ما يقولُ ،
فلما رأى ذلك ميئاً قأب طرفه وقال : « إنَّ تُرابَ
قَعْرِهَا مَلْتَهَبٌ » .

(١) هو مستكين الدارمي الشاعر .

(٢) يقصد أن العتق لا يتجزأ ولا ينفذ على مرّات كالطلاق .

(٣) اللوائق : هو أسد خلفاء الدولة العباسية .

يقال ذلك للرجل يُسَرُّ الناسُ برؤيته لا نفعهم به
وأصل ذلك : أنَّ الحافرَ يخفرُ فإنَّ خرجَ الترابُ مُرّاً
علمَ أنَّ الماءَ مِلْحٌ وإنَّ كانَ طيِّباً علمَ أنَّ الماءَ عَذْبٌ
فَأَنْتَبَهَ (١) وإذا خرجَ طيِّباً انتبهه الصبيان .

اشترى بعضُ الهاشميين غلاماً فصيحاً فبلغ الرشدَ
خبرهُ ، فأرسلَ إليه يطلبه . فقال يا أميرَ المؤمنين : لم
أشتره إلاَّ لك ، فلمَّا وقفَ الغلامُ بين يدي الرشدِ قال
له : إنَّ مَوْلَاكَ قد وهبكَ لي . فقال الغلامُ : يا أميرَ
المؤمنين ما زِلْتُ ولا زِلْتُ .

قال : فَسَرَّ . فقال : ما زِلْتُ لك وأنا في ملكه
ولا زِلْتُ عن مِلكه ، فأعجبَ الرشدُ به وقدَّمه .

قال أبو العيناء : مررت بسوق النخاسين (٢) بالبصرة ،
فلذا غلامٌ يُنادي عليه ثلاثين ديناراً والغلامُ يساوي
خمسمائة دينار ، فاشتريته وكنت أُنبي داراً فدفعْتُ إليه
عشرين ديناراً على أن يُنفقها ، فلم أزل أَصُكُّ عليه

(١) نبط الماء : نبع ، والمراد هنا : استنبط الماء وأخرجه .

(٢) النخاسة : تجارة الرقيق .

حتى أنفقَ نحوَ العشرة . ثم صهكتُ بشيءٍ آخر . فقال لي : فأين أصلُ المال ؟ قلت : ارفعْ ليَّ حسابك ، فرفعَ حساباً بعشرة دنانير . فقلت : فأين الباقي ؟

قال : اشتريت ثوباً مُصمّماً (١) وقطعته . قلت : من أمرك بهذا ؟

قال : إنَّ أهلَ المِرْوَآت والأَقْدَارِ لا يعيرون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعودُ زينةً عليهم . قال : فقلتُ في نفسي : اشتريتُ الأصمعيَّ وابنَ الأعْرَابِيِّ ولم أدِر . وكانت في نفسي امرأةٌ أردتُ تزوجها فقلتُ يا غلامُ فيك خيرٌ . قال : وهل الخَيْرُ إلّا فيَّ . فقلتُ له : قد عزمْتُ على كذا . وتزوجتها ودفعتُ إلى الغلام ديناراً وقلتُ له : خذْ لنا سمكاً هازبِي (٢) ، فأبطأ واشترى مارماهي (٣) فأنكرت عليه خلافي . فقال يا مولاي : فكسرتُ فإذا بقرطُ (٣) يقول : الهازبِي يُولّدُ السّوداءَ والمارماهي

(١) الثوب المصمّم : الذي لا يخالط لونه لون آخر .

(٢) والهازبِي : التّعباني .

(٣) السمك المارماهي : المعروف بالقرموط .

أقلُّ غائلةً . قلت : لا الذي يُقراط أنت أم جالينوس (١)
وأدخلته البيت وضربته عشرةً ، فلما قام أخذني وضربني
سبعةً وقال يا مولاي : الأَدبُ ثلاثةٌ وسبعةٌ لها قِصاص ،
فغاطني ورميته فشججته (٢) ، فمضى إلى ابنة عمي وقال
لها : « الدينُ النصيحةُ » وقال النبيُّ صلَّى الله عليه :
« من غشَّنا فليس مِنَّا » . وقال : « مولى القوم منهم » :
وأعلمك أنَّ مولاي تزوج واستكثمني ، فلما
أعلمته أني مُعرفك ما فعلَ شجني ، فوجهتُ إليَّ
بنتُ عمي بغليمانٍ ، فبسطحتُ في الدار وضربتُ
وسمته النمايح ، فما كان يتهيأ لي كلامه . فقلت : اعتقه ،
فلعلَّه يعضي عني ، فلزمني ولدٌ بي وقال : الآن وجبَ
حقُّك عليَّ ، ثم لِنَّه أرادَ الحجَّ ، فجهَّزته ، فغاب عني
عشرين يوماً ورجعَ فقمت : لم رجعتُ ؟ فقال : قُطِّعَ
علينا وفكَّرتُ ، فإذا الله جل وعز يقول :

(١) بقراط وجالينوس : من أكابر الأطباء .

(٢) شجني : جرحني في رأسي .

«(وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا)» (١) .

وكنْتُ غير مُسْتَطِيعٍ وإذا حَقُّكَ أَوْجِبُ عَلَيَّ
فَرَجَعْتُ ثُمَّ لَإِنِّهِ أَرَادَ الْغَزْوَ فَمَجَّهَتْهُ ، فلما صار
على عشرةِ فَرَسٍ بَعَثَ ما كانَ لي بالبصرةِ وخرجت
عنها خوفاً أَنْ يَرْجَعَ وَصَرْتُ إِلَى بَغْدَادِ .

قال بعضهم : استعرضتُ غلاماً فقلت له : يا غلام
تُحِبُّ أَنْ أَشْتَرِيكَ . فقال : حتى أَسْأَلَ عَنْكَ .
أَعْتَقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ (٢) غلاماً ، فقال الغلامُ :
أَكْتُبْ كَمَا أُمْلِي .

قال : فَأَمْلِ . قال : أَكْتُبُ : كُنْتُ بِالْأَمْسِ لِي ،
فَوَهَبْتُكَ (٣) لِي وَهَبْتُكَ لِي . فَأَنْتَ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَ
صَرْتَ مِثْلِي فَكُتِبَ ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَهُ وَزَادَهُ خَيْراً .

(١) سورة آل عمران : ٩٧ . أو لها « في آيات بيّات مقام إبراهيم » .

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

(٣) ضمير الرفع يعود على عبد الله بن جعفر .

قال حمّادُ بنُ إِسحاق الموصلي : كان لأبي غلامٌ
يَسْتَقِي الماءَ لمن في داره على بَغْلَيْنِ ، فانصرف أبي يوماً
وهو يَسْرِقُ البَغْلَ وقد قَرُبَ من الحوض الذي يَصُبُّ
فيه الماء . فقال : ما خبَرَكَ يا فتْحُ (١) ؟ قال : خبرني أَنَّهُ
ليس في الدَّارِ أَشَقَى مِنِّي ومَنك .

قال : وكيف ؟ قال : لَأَنكَ تُطْعِمُهُم الخُبْزَ وأنا
أُسْقِيهِم الماءَ ، فضحك منه وقال : فما تحبُّ أَنْ أَصْنَعَ
بِكَ ؟ قال : تعتقني وتَهَبُّ لي هَلْدِينَ البَغْلَيْنِ ، ففعلَ ذلك .

* * *

(١) اسم الغلام .

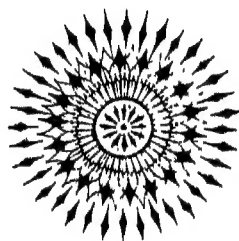
فهارس السفر الثالث

الصفحة	الموضوع
٥	الباب الرابع :
٧	نكت من كلام الحكماء
٤٥	الباب الخامس :
٤٧	جنس آخر من الأدب والحكم وهو ما جاء لفظه الأمر والنهي
٦١	الباب السادس :
٦٣	جنس آخر من الحكم والأمثال والآداب وهو ما كان أوله « من »
٧٥	الباب السابع :
٧٧	في سياسة السلطان وأدب الرعية
٩١	الباب الثامن :
٩٣	نوادير النساء المواجهن والجواري
٩٧	الباب التاسع
٩٩	نوادير القصاص
١١١	الباب العاشر :
١١٣	نوادير القضاة لمن تقدم إليهم
١٢١	الباب الحادي عشر :
١٢٣	نوادير لأصحاب النساء والزناة والزواني
١٢٧	الباب الأول :
١٢٩	كلام زياد وولده
١٣٩	الباب الثاني :
١٤١	كلام الحجاج

الصفحة	الموضوع
١٥٣	الباب الثالث :
١٥٥	كلام الأحنف
١٦٥	الباب الرابع :
١٦٧	كلام المهلب وولده
١٧٣	الباب الخامس :
١٧٥	كلام أبي مسلم
١٧٧	الباب السادس :
١٧٩	كلام جماعة من الأمراء
١٩٣	الباب السابع :
١٩٥	فضول الكتاب والوزراء وتوقيعات ونكت من كلامهم ونوادير لهم
٢١٧	الباب الثامن :
٢١٩	نكت مستحسنة للقضاة
٢٥١٢	الباب التاسع :
٢٥٣	كلام الحسن البصري
٢٧٧	الباب العاشر :
٢٧٩	نكت من كلام الشيعة
٢٨٣	الباب الحادي عشر :
٢٨٥	كلام الخوارج ^١
٣٠٣	مختصر الصاحب في الكشف عن مناهج أصناف الخوارج
٣٠٩	الباب الثاني عشر :
٣١١	الغلط والتصحيح

الصفحة	الموضوع
٣٢٣	بعض ما أخذ على العلماء من التصحيح
٣٢٩	حروف وكلمات من المصحف الذي يستعمله الناس عمداً
٣٣١	حروف وكلمات من المصحف عمداً لا سهواً
٣٣٣	الباب الثالث عشر :
٣٣٥	نواذر من النحو واللحن
٣٤٣	الباب الرابع عشر :
٣٤٥	نواذر المعنئين :
٣٥٣	الباب الخامس عشر :
٣٥٥	نواذر جحا :
٣٥٩	الباب السادس عشر :
٣٦١	نواذر أشعب
٣٦٧	الباب السابع عشر :
٣٦٩	نواذر السؤال
٣٧٣	الباب الثامن عشر :
٣٧٥	نواذر المعلمين
٣٨٣	الباب التاسع عشر :
٣٨٥	نواذر الصبيان
٣٨٩	الباب العشرون :
٣٩١	نواذر للعبيد والممالئك

1997/0/1 2 0...



طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٧

في الاقطار العربية ما يعادل
٤٥٠ ل. ص.

سعر النسخة داخل القطر
٢٢٥ ل. ص.